المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

بصيرة

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الخامس عشر
ربيع الآخر ١٤٤٦هـ

ح
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٤٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ردمد: ٣٨٨٤ – ١٦٥٨
رقم الإيداع ٩٢٤ / ١٤٢٩

المشرف العام

د. شبيب بن حسن الحقباني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عبد الله بن إبراهيم الطويل

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سليم بن سالم اللقماني **أ. د. يعقوب بن يوسف العنقري**

أ. د. علي بن أحمد الأحمد **أ. د. رائد بن فؤاد باجوري**

أ. د. الجوهرة بنت محمد العمراني

أمين المجلة

د. راشد بن محمد الجاسر

المراسـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ – الرياض ١١٤١٢

هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٥٠٩٦

بريد الجمعية الالكتروني:

Bsserah@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعـد النشــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة والرقابة والدراسات الإسلامية المعاصرة.

٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبد الوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس هيئة تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث تتضمن ملخصاً باللغتين (العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (**A4**).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (**Word Microsoft**) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٨، وحجم خط الإحالات في الهامش

بحجم ١٤ **Traditional Arabic**.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠ ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، وإرساله بالبريد الالكتروني.

سابعاً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

أما بعد:

فانطلاقاً من حرص الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في مواصلة رسالتها العلمية في دعم وتأصيل الدراسات الدعوية الرامية لترسيخ مبدأ الوسطية السمحاء الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، والذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفق منهج قائم على نبذ الأفكار والأطروحات الحزبية، وتجلية المفاهيم المغلوطة عن الدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها، وتقديم دراسات نوعية متخصصة.

وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الخامس عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١- ردَّادة البدع لقوام الدين أمير كاتب بن أمير عُمَر الأَتْقَانِيّ الحنَفِيّ، (المتوفى: ٧٥٨هـ).

٢- التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي وآثاره وضوابطه. دراسة وصفية استقرائية .

٣- قيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية وأثره في تنمية الوطن وازدهاره.

٤- المعايير البلاغية للداعية.

٥- احتساب العلماء على تحريف القرآن.

٦- دور الدعاة إلى الله في تحقيق حقوق ولاة الأمر (الحسن البصري أنموذجاً) دراسة استقرائية تحليلية دعوية.

نتطلع أن تكون هذه الأبحاث العلمية إضافة مميزة للعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى، والباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة.

وبهذه المناسبة فإنّا نهيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الالكتروني bsserah@gmail.com، وفق اشتراطات النشر العلمي،،،

وفقنا الله وإياكم لكل خير...

رئيس هيئة التحرير

أ. د عبد الله بن إبراهيم الطويل

الموضوع	الباحث	الصفحة
قواعد النشر		٧
مقدمة العدد		٩
١- ردَّادة البدع لقوام الدين أمير كاتب بن أمير عُمَر الأَتْقَانِيّ الحنَفِيّ، (المتوفى: ٧٥٨هـ)	د. أسماء بنت محمد بن عبدالله الوهيبي	١١-٥٥
٢- التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي وآثاره وضوابطه، دراسة وصفية استقرائية.	د/ فاضل محمد أحمد جبل المصباحي	٥٧-١٠٤
٣- قيمة الغرش والتشجير في الدراسات الشرعية وأثره في تنمية الوطن وازدهاره.	د. محمد بن عبد الله العبد الكريم	١٠٥-١٤٠
٤- المعايير البلاغية للداعية.	أ.د يوسف بن عبد الله العليوي	١٤١-١٨٠
٥- احتساب العلماء على تحريف القرآن.	د.فهد بن عبدالرحمن بن صالح العبدالهادي	١٨١-٢٢٥
٦- دور الدعاة إلى الله في تحقيق حقوق ولاة الأمر (الحسن البصري أنموذجاً) دراسة استقرائية تحليلية دعوية.	د. عبدالرحمن بن سيف الحارثي	٢٢٧-٢٨١

البحث رقم (١)

ردَّادة البدع

لقوام الدين أمير كاتب بن أمير عُمَر الأَتْقَانِيّ الحنَفِيّ،

المتوفى: (٧٥٨)هـ

دراسة وتحقيق

د. أسماء بنت محمد بن عبدالله الوهيبي

ملخص البحث

رسالة "ردَّادة البدع"، للعلامة قوام الدين أمير كاتب بن أمير عُمَر عَمِيد بن أمير غازِي الأَتْقَانِيّ الحَنَفِيّ، (المتوفى سنة: ٧٥٨ هـ).

يهدف هذا البحث إلى إحياء السنة، وإماتة البدعة؛ من خلال بيان بطلان بدعة بعض الزنادقة، من زعم منهم أن الحج لبيت الله ليس بفرض، وإنما الفرض زيارة قبر فلان، وأن فلانًا هذا هو الذي يَرْزُق الناسَ ويَمْنَع عنهم، وكذلك بطلان من اعتقد أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات.

وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة على نسخة واحدة. انقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وقسمين: القسم الأول: وهو القسم الدراسي: تناوَلْتُ فيه مقدمة للبحث، عرفت فيها بالمخطوط، وبأهمية تحقيقه، وسبب اختياره، ومنهجه، وإجراءاته، وقدمت فيها خطة البحث.

ثم عرفت بصاحب المتن، وذكرت: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته، ومولده، وحياته العمليَّة، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره العلميَّة، ومذهبه الفقهي، ومكانته العلميَّة، وثناء العلماء عليه، ووفاته، ثم عرفت بالمتن، من ذكر نسبته إلى مؤلفه، وموضوعه، وقيمته، وتعرضت لمنهج المؤلف، وتقويمه بذكر مزاياه والمآخذ عليه.

وفي القسم الثاني: وهو قسم التحقيق العملي، ظهر عمليًّا أهمية هذا المخطوط؛ ومادته العلمية الغزيرة، والمصادر الأصلية المعتمد عليه. المخطوط يمتاز بمميزات عديدة، فإن مؤلفه رضي الله عنه، إمام جليل من كبار علماء القرن الثامن الهجري، وتناوله مسألة بطلان بدعة إنكار فرضية الحج، وأن الرزق ليس بيد الله، وكذلك رده على من اعتقد أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات.

ثم عقبت ذلك بخاتمة أظهرت فيها أهم النتائج والتوصيات المستفادة في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السنة، البدع، الحج، الأتقاني.

والله ولي التوفيق.

Abstract

The treatise "Raddadat al-Bida", by the scholar Qawam al-Din Amir Kateb bin Amir Umar Amid bin Amir Ghazi al-Atqani al-Hanafi, (who died in the year 758 AH).
Asmaa bint Muhammad Al-Wahaibi
Email: dr.asma-mw@hotmail.com

This research aims to revive the Sunnah and dismantle al-Bid‘ah. By elucidating the incoherence and invalidity of al-Bida' of some heretics, namely those asserting that the Hajj to the House of Allah is not obligatory, but that the obligation is to visit the grave of so-and-so, and that this is so-and-so who provides for people and withholds from them, as well as the invalidity of those who believe that Allah knows the universals and does not know the particulars .
I've finished writing this message in one copy. There was an introduction and two sections to this study: The academic portion is the first section. I covered an introduction to the research, outlining the manuscript, the significance of completing it, the rationale for choosing it, its methodology, its steps, and the research plan.
Next I gave an introduction to the text's author, mentioning his name, lineage, last name, nickname, birth, career, sheikhs, students, scholarly influences, fiqh and doctrine, scholarly standing, the scholars' appreciation for him, and his passing. After that, I presented the manuscript by mentioning its lineage to its author, its subject, and its value. I presented the author's approach and evaluated it by mentioning its advantages and drawbacks.

The practical examination segment, the second part, provided a demonstration of the manuscript's relevance. Its many scientific references and the primary sources it drew upon. There are numerous features that set the work apart. One of the most eminent academics of the eighth century AH is its author, may Allah be pleased with him. He is a prominent imam. He responded to those who held the view that Allah only knew the generalities and not the specifics, as well as the absurdity of the heresy that denies the Hajj duty and that Allah is not the source of nourishment.
Then I followed this with a conclusion in which I showed the most important results and recommendations learned in this study.

Keywords: Sunnah, al-Bida’, Hajj, perfection.

مقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أمَّا بعد، فقد أنزل الله تعالى دينَ الإسلام خاتمًا ومهيمنًا على جميع الرسالات السابقة هدايةً وتشريعًا للناس أجمعين؛ فالشريعة الإسلاميَّة أوضحتْ كلَّ ما يتعلَّق بالإنسان ومصالحه في الدنيا والآخرة، دون زيادةٍ أو نُقصانٍ؛ ولهذا حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنَ الابتداع في الدين قائلًا: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ»[(١)]، وقال صلى الله عليه وسلم: «وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»[(٢)].

ومن أعظم ما يضرُّ الدينَ الإسلاميَّ، ويهدِّد كيانَ الأمَّة، ويفرِّق شملها الابتداع فيه؛ لذا وجب التحذير من أهل البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] — رحمه الله –: "فإن بيان حال أهل البدع وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب: «إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود»، رقم (٢٦٩٧)، (ص٢١٤). ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب: «نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور»، رقم (١٧١٨)، (ص٩٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: «في لزوم السنة»، (٤/٢٠٠)، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه، أبواب العلم، باب: «ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع»، (٥/٤٤)، رقم (٢٦٧٦)، (ص١٩٢١)، وابن ماجه في سننه، كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: «اجتناب البدع والجدل»، رقم (٤٦)، (ص٢٤٧٩). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة، (٢/٦١٠) رقم (٩٣٧).

(٣) هو: أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم، المعروف بابن تيمية — رحمه الله – ، ولد سنة: (٦٦١هـ)، سمع من ابن عبد الدائم والقاسم الأربلي والمسلم بن علان وغيرهم، أخذ عنه: الذهبي وابن كثير وابن القيم، وغيرهم ، تفقه، وتميز، وصنف ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجبًا في سرعة الاستحضار، والتوسع في المنقول والمعقول، وصارت له محن كثيرة؛ لثباته على المعتقد، ورده على أهل البدع، من مصنفاته: مجموع الفتاوى، الصارم المسلول على شاتم الرسول، توفي سنة: (٧٢٨هـ). ينظر: معجم الشيوخ الكبير، (١/٥٦-٥٧)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (١/١٦٨-١٨٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، (٢٨/٢٣١).

ولأهمِّيَّة هذا الموضوع قمتُ بتحقيق هذه الرِّسالة المخطوطة، التي عنوانها: «ردَّادة[1] البدع»، وقيل باسم: «نقادة[2] البدع»، للإمام العلَّامة أمير كاتب الأَتْقَانِيّ الحَنَفِيّ – رحمه الله – المتوفى سنة: (٧٥٨هـ)، والتي جاء فيها الردُّ على بعض الزنادقة، من زعم منهم أنَّ الحجَّ لبيت الله تعالى ليس بفرضٍ، وإنَّما الفرضُ زيارة قبر فلان، وأنَّ فلانًا هذا هو الذي يَرْزُق الناسَ ويَمْنَع عنهم، وأيضًا ردّه على مَن اعتقد أنَّ الله يعلم الكلِّيَّات ولا يعلم الجزئيَّات، وبيَّن – رحمه الله – أنَّ هذا كفْرٌ محضٌ مخالفٌ لنصوص القرآن الكريم.

أهميَّة البحث:

لهذا الموضوع أهميةٌ كبيرةٌ؛ وذلك لما يأتي:

أوَّلاً: أنَّه يتعلَّق بأمرٍ عظيمٍ مِن أمور الدين، وهو إثباتُ فرضيَّة الحجّ، وأنَّ الله سبحانه هو الذي يرزق العباد.

ثانيًا: إبراز ترجمة عَلَمٍ مِنْ أعلام الدَّعوة إلى الله تعالى والدِّين في القرن الثامن الهجري، وهو في الوقت ذاته مجهولٌ لدى كثيرٍ من المثقَّفين والمتخصِّصين المسلمين، وهو أمير الشيخ كاتب الأَتْقَانِيّ الحنفي رحمه الله، وإبراز ترجمة لكتابه: "ردَّادة البدع".

ثالثًا: التَّعريف بهذا المخطوط الصغيرِ في حجمه، الكبيرِ في مضمونه، والمهمِّ في موضوعه، والذي يتعلق ببيان أهمِّيَّة خطورة الابتداع في الدين.

رابعًا: الاستفادة مِن علوم الشيخ قوَّام الدين أمير كاتب الأَتْقَانِيّ الحنفي – رحمه الله –، وتضلُّعه في المعقول والمعاني والعربية.

خامسًا: الاستفادة من دراسة شخصيّة المؤلِّف؛ وذلك بمعرفة مناقبه، وأحواله، واجتهاداته، ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى.

سادسًا: أنَّ إحياء التراث الإسلاميّ بدراسته وتحقيقه هو مِن أهمِّ ما ينبغي أن يشتغل به الباحثون بوجهٍ عامٍّ، والباحثون بمجال الدعوة الإسلاميَّة بوجهٍ خاصٍّ.

---

(١) من مادة (رَدَّ)، وتدور في اللغة على معنى: صرف الشيء ورجعه، تقول: رددت الشيء أردُّه ردًّا. وسُمِّي المرتد؛ لأنَّه ردَّ نفسه إلى كفره. والرد: عماد الشيء الذي يرده، أي يرجعه عن السقوط والضعف. ينظر: مقاييس اللغة، (٣٨٦/٢)، المحكم والمحيط الأعظم، (٢٦٦/٩)، لسان العرب، (١٧٢/٣).

(٢) من مادة (نقد) النون والقاف والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إبراز شيءٍ وبروزه. وتقول العرب: ما زال فلان ينقد الشيء، إذا لم يزل ينظر إليه، ويقال ناقدت فلانًا إذا ناقشته في الأمر. ينظر: مقاييس اللغة، (٤٦٧/٥)، لسان العرب، (٤٢٥/٣).

أسباب اختيار الرسالة:

من أهم الدوافع والأسباب التي دعتني إلى اختيار تحقيق هذه الرِّسالة ما يأتي:

١- إبراز بطلان بدعة بعض الزنادقة، من زعم منهم أن الحج لبيت الله الحرام ليس بفرض، وإنما الفرض زيارة قبر فلان؛ وأن فلانًا هذا هو الذي يَرْزُق الناسَ، ويَمْنَع عنهم.

٢- عدم وقوفي -فيما أعلم- على دراسة علميَّة سابقة حقَّقت هذه الرِّسالة المخطوطة تحقيقًا علميًّا وفق ما أردتُ القيام به.

٣- المشاركة في إثراء مكتبة العلوم الإسلامية بالمصادر والمراجع المخطوطة التي تحوي فكر علماء السلف ودعاتهم؛ لينهل من معينها الباحثون والمتخصصون في العلوم الشرعية عامة، وعلم الدعوة إلى الله تعالى خاصة.

٤- القيمة العلمية للرسالة، حيث تناول الإمام قوام الدين الأتقاني – رحمه الله – بطلان بدعة بعض الزنادقة بصورة مستفيضة.

خطَّة البحث:

يتكوَّن البحثُ من: مقدِّمةٍ، وقسمٍ دراسيٍّ، وقسمٍ تحقيقيٍّ، وخاتمةٍ، وفهرسٍ.

قسَّمت البحث إلى: مقدِّمة، وقسمين، وخاتمة.

المقدِّمة، واشتملت على: أهمِّيَّة البحث، وأسباب اختياره.

القسم الأَوَّل: القسم الدِّراسي، التعريف بالمؤلِّف، وبالرسالة، وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: التعريف بالمؤلِّف، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوَّل: اسمه، ونسبه، ولقبه، وكنيته.

المطلب الثَّاني: مولده، وحياته العمليَّة.

المطلب الثَّالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرَّابع: آثاره العلميَّة.

المطلب الخامس: مذهبه الفقهيّ.

المطلب السَّادس: مكانته العلميَّة، وثناء العلماء عليه.

المطلب السَّابع: وفاته.

المبحث الثَّاني: التعريف بالرِّسالة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوَّل: توثيق اسم الرِّسالة، ونسبتها للمؤلِّف

المطلب الثَّاني: موضوع الرِّسالة، وقيمتها العلمية.

المطلب الثَّالث: منهج المؤلِّف في رسالته.

المطلب الرَّابع: موارد الرِّسالة ومصطلحاتها.

المطلب الخامس: نقد الرِّسالة (تقويمها بذكر مزاياها والمآخذ عليها).

القسم الثَّاني: التَّحقيق، واشتمل على الآتي:

أولًا: وصف المخطوط ونسخه.

ثانيًا: بيان منهج التَّحقيق.

ثالثاً: النَّصُّ المحقَّق.

الخاتمة: واشتملت على أهمِّ نتائج البحث، وأهمِّ التَّوصيات.

الفهارس: واشتملت على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

القسم الأَوَّل: القسم الدِّراسي

التعريف بالمؤلِّف، وبالرسالة

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: التعريف بمؤلِّف الرِّسالة.

المبحث الثَّاني: التعريف بالرِّسالة.

المطلب الأوَّل: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته

أ- اسمه ونسبه:

هو: الإمام أمير كاتب، وقيل: لطف الله بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الفارابيّ الإتقاني، أبو حنفية، قوام الدين: فقيه حنفي(١).

الإتقاني: بالكسر، وقيل بالفتح، نسبةً إلى (أتقان، وقيل: إتقان) قصبةٌ من قصبات فاراب(٢)، ناحيةٌ وراءَ نهر سيحون(٣).

ب- لقبه وكنيته:

كان – رحمه الله – يُكنى بأبي حنيفة، وكان يُلقَّب بقوام الدين(٤).

المطلب الثَّاني: مولده، وحياته العمليَّة

أ- مولده:

اتَّفقت كتب التراجم والتاريخ على أنَّ مولده في إتقان (بفاراب)، واختلفوا في إيراد سنة مولده **على قولين:**

القول الأوَّل: ليلة السبت، التاسع عشر من شهر شوال سنةَ ٦٨٥هـ(٥).

---

(١) ينظر ترجمته في: أعيان العصر وأعوان النصر، (٦٢٢/١)، الوفيات، لابن رافع، (٢٠٥/٢)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٤٩٣/١)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، (١٠١/٣)، تاج التراجم، (ص١٣٨)، طبقات الحنفية، (٣٨/٣)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، (٢٢١/٢)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، (٣٤٤/١)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (٨٦٨/١)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٣١٦/٨)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (١٥٨/١)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، (٥٠/١)، الأعلام للزركلي، (١٤/٢).

(٢) فارَابُ: بعد الألف راء، وآخره باء موحدة: ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون. وهي مدينة تاريخية مهجورة حاليا. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (٢٢٥/٤)، وينظر: موقع ويكيبيديا على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%A8.

(٣) لب اللباب في تحرير الأنساب، (٦/١)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، (٥٠/١)، الأعلام للزركلي، (١٤/٢).

(٤) ينظر: مصادر ترجمته، هامش رقم (١).

(٥) المقفى الكبير، (١٦٩/٢)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٤٩٣/١)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، (١٠٣/٣).

المطلب الرابع: آثاره العلميَّة

للإمام أمير كاتب الإتقاني – رحمه الله – **تصانيف كثيرة، من أبرزها ما يأتي**[١]:

١- الرسالة العلائية في التفسير[٢].

٢- رسالة بعنوان: ردادة البدع، وهي محلّ التحقيق.

٣- رسالة في رفع اليد في الصلاة وعدم جوازه عند الحنفية[٣].

٤- الشامل في شرح أصول الإمام البزدوي[٤].

٥- شرح على الهداية في فقه الحنفية، سماه (غاية البيان ونادرة الأقران في آخر الزمان)[٥].

المطلب الخامس: مذهبه الفقهي

كُلُّ من ترجم له أكّد على أنّه كان حنفيَّ المذهب، بل ذكر بلوغَه منزلةً عالية في المذهب الحنفي؛ حتَّى قال ابن حبيب [٦] – رحمه الله –: "كان رأسًا في مذهب أبي حنيفة [٧]، بارعًا في الفقه

---

(١) يُنظر: تاج التراجم، (ص١٤)، بغية الوعاة، (٤٦٠/١)، طبقات الحنفية، (٤٠/٣)، ديوان الإسلام، (٨٩/١)، الأعلام للزركلي، (١٤/٢)، هدية العارفين، (٨٣٩/١)، معجم المؤلفين، (٤/٣).

(٢) والكتاب لم يطبع بعد، وتوجد منه نسخة بمكتبة جامعة ليدن بهولندا، برقم (١٦٨٥). ينظر: خزانة التراث – فهرس مخطوطات، (٥٨٦/٤٤).

(٣) والكتاب لم يطبع بعد، وتوجد منه نسخة بمكتبة برنستون، برنستون، الولايات المتحدة الأمريكية، برقم (٩٣١). يُنظر: خزانة التراث – فهرس مخطوطات، (٣٧٦/١١٠).

(٤) وقد طبع بتحقيق ودراسة: فيصل بن عامر الذويبي، من مباحث السبب والعلة والشرط والعلامة وأقسامها إلى آخر الموجود من الكتاب، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم أصول الفقه، ١٤٢٣-١٤٢٤هـ).

(٥) والكتاب لم يطبع بعد، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، برقم (٤٤٥/١). ينظر: خزانة التراث – فهرس مخطوطات (٢/٥٣).

(٦) هو: أبو محمد، بدر الدين، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، ولد سنة: (٧١٠هـ)، مؤرخ، من الكتاب المترسلين، سمع من: الكمال ابن النجاس وأبي طالب عبد الرحيم بن العجمي، من تصانيفه: النجم الثاقب من أشرف المناقب، نسيم الصبا، توفي سنة: (٧٧٩هـ). ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٥٠٨/١)، الأعلام للزركلي (٢٠٨/٢).

(٧) هو: النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، أبو حنيفة الكوفي – رحمه الله –، إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق، وهو أحد أئمة المذاهب الأربعة المشهورين ، وإليه يُنسب المذهب الحنفي، وكان فقيهًا زاهدًا ورعًا؛ ومن المصنَّفات التي نُسبت إليه: الفقه الأكبر، والفقه الأبسط، مات سنة: (١٥٠هـ). ينظر: منازل الأئمة الأربعة، (ص١٦٣)، الجواهر المضية في طبقات الحنيفة، (٥٠/١)، طبقات الحنفية، (١٦٠/١-١٧١).

واللغة والعربية"[١].

وخيرُ شاهدٍ على انتسابه للمذهب الحنفي ترجمةُ كتب الحنفيَّة له؛ فهو أقوى دليلٍ على انتسابه لهذا المذهب، كذلك مؤلَّفاته الفقهيَّة؛ ومن مؤلَّفاته في ذلك شرحه لأصول الإمام البزدوي، المسمَّى: "الشامل في شرح أصول الإمام البزدوي"، فكتاب الإمام البزدوي[٢] هذا من أهمِّ متون الحنفيَّة في أصول الفقه، وقام بشرحه الإمام الإتقاني – رحمه الله –، معتمدًا فيه على تقرير أصول المذهب الحنفي.

المطلب السَّادس: مكانته العلميَّة، وثناء العلماء عليه

حَظِيَ الإمام أمير كاتب الإتقاني – رحمه الله – بمكانةٍ علميَّةٍ عظيمةٍ، وعلا كعبه في الفقه الحنفي، ويظهر ذلك من خلال ثناء العلماء عليه، **ومن ذلك:**

قال صلاح الدين الصفدي[٣]: "الشيخ الإمام العلَّامة قوام الدين... الحنفي، كان قيِّمًا بمذهب أبي حنيفة – رحمه الله – ، شديد التعصُّب على الشافعيَّة"[٤].

- **وقال المَقْرِيزي**[٥] – رحمه الله –: "وكان عارفًا بالعربيّة واللغة، يقول شعرًا سمجًا[٦]"[٧].

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر، (٦٢٢/١)، المقفى الكبير، (١٦٩/٢)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، (٤٩٣/١)، تاج التراجم، (ص١٣٩)، طبقات الحنفية، (٤٠/٣).

(٢) هو: أبو الحسن، فخر الإسلام، علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، البزدوي، النسفي، الحنفي، ولد سنة: (٤٠٠هـ)، فقيه أصولي، من أكابر الحنفية وعالم ما وراء النهر، محدث، مفسر، صاحب كتاب: «كشف الأستار» في التفسير، توفي سنة: (٤٨٢هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، (٥١٣/١٠)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، (١٢٤/١).

(٣) هو: أبو الصفاء، صلاح الدين، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الشافعي، وُلد سنة: (٦٩٦هـ)، برع في الأدب نثرًا ونظمًا وكتابةً، وقرأ يسيرًا من الفقه، وصنف الكثير في التاريخ والأدب، أخذ عن الشهاب محمود وابن سيد الناس وابن نباتة، وصحب الشيخ ابن تيمية، ولازمه واستفاد منه، وكانت له همة عالية في التحصيل، من تصانيفه: «الوافي بالوفيات»، «أعيان العصر وأعوان النصر»، توفي سنة: (٧٦٤هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/١٠)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٨٩/٣).

(٤) أعيان العصر وأعوان النصر، (٦٢٢/١).

(٥) هو: أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المقريزي، الحنفي، الحسيني، العبيدي، البعلي الأصل، القاهري، سبط ابن الصائغ، السلفي، مؤرخ الديار المصرية، سمع من: الآمدي، والنجم بن رزين، والتنوخي. من مصنفاته: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، ولد سنة: (٧٦٩هـ)، وتوفي سنة: (٨٤٥هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢١/٢)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، (٥٥٧/١).

(٦) أي: قبيحًا. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (٣٢١٤/٥).

(٧) المقفى الكبير، (١٧٠/٢).

- **وقال ابن حَجَر**[١] – رحمه الله –: "وَكَانَ إِمَامًا متفنِّنًا علاَّمةً مناظرًا"[٢].

- **وقال عمر رضا كحالة**[٣] – رحمه الله –: "فقيه، لغويٌّ، محدِّثٌ"[٤].

المطلب السَّابع: وفاته

وبعد رحلةٍ طويلةٍ في سبيل العلم، وبثِّ علوم الشَّريعة، توفِّي الإمام أمير كاتب الإتقاني – رحمه الله – بالقاهرة، يوم السبت، الحادي عشر من شوّال، سنة ثمانٍ وخمسين وسبعِ مائة، ودُفِن بالقرب من قُبَّة النصر[٥].

---

(١) هو: أبو الفضل، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد، الشهير بابن حجر، وهو أشعري في بعض ما ذهب إليه، ولد سنة: (٧٧٣هـ)، عُني بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، وبرع فيه، وتقدم في جميع فنونه، وانتهت إليه الرحلة والرياسة في الحديث في الدنيا بأسرها، من مصنفاته: فتح الباري، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الإصابة في تمييز الصحابة، توفي سنة: (٨٥٢هـ). ينظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، (٣٥٢/١)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، (٣٦٣/١).

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٤٩٥/١).

(٣) هو: عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشقي، مؤرخ موسوعي، ولد سنة: (١٣٢٣هـ)، هو واحد من المؤرخين المسلمين، له مؤلفات عديدة ساهمت في توثيق وثبت العديد من جوانب التاريخ الإسلامي، منح وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى عام ١٤٠٢هـ، من مصنفاته: معجم المؤلفين، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، توفي سنة: (١٤٠٨هـ)، ينظر: تتمة الأعلام – محمد خير رمضان (٧٣/٢)، تكملة معجم المؤلفين (ص ٣٩٧).

(٤) معجم المؤلفين، (٤/٣).

(٥) أعيان العصر وأعوان النصر، (٦٢٤/١)، الوفيات لابن رافع، (٢٠٥/٢)، المقفى الكبير، (١٦٩/٢).

المبحث الثَّاني:

التعريف بالرِّسالة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأَوَّل: توثيق اسم الرِّسالة، ونسبتها للمؤلِّف.

المطلب الثَّاني: موضوع الرِّسالة، وقيمتها العلميَّة.

المطلب الثَّالث: منهج المؤلف في رسالته.

المطلب الرَّابع: موارد الرِّسالة ومصطلحاتها.

المطلب الخامس: نقد الرِّسالة (تقويمها بذكر مزاياها والمآخذ عليها).

المطلب الأَوَّل: توثيق اسم الرِّسالة، ونسبتها للمؤلِّف

هذه الرسالة: "رَدَّادة البِدَع"، وقيل باسم: "نقادة البدع"، تأليف: الإمام العلَّامة أمير كاتب بن أمير عُمَر عَمِيد بن أمير غازِي الإتْقَانِي الحَنَفِيّ – رحمه الله – المتوفى سنة: (٧٥٨هـ).

ونسبتها إليه أكيدة لا يعتريها أدنى شكٍّ، **وذلك للأسباب الآتية:**

أولًا: نَصَّ الإمام الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – على ذلك صراحةً في أوَّلها.

حيث جاء في أول المخطوط: "هذه رسالة نقادة البدع في بيان مسائل أجاب عنها العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد المدعو بقوّام الفارابي الأتقاني".

ثانيًا: ما ذكره مؤلِّفها "الإمام الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – " في خاتمة الرِّسالة: "كتبه العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد...".

وبهذا يتأكَّد عنوان الرِّسالة، ونسبتها للعلامة أمير كاتب الأَتْقَانِيّ – رحمه الله –؛ فاسمها: "رَدَّادة البِدَع".

المطلب الثَّاني: موضوع الرسالة، وقيمتها العلميَّة

يظهر موضوع الرسالة من خلال عنوانها الذي اختطَّه مؤلِّفها: "نقادة البدع"، وهي رسالة وجيزة لطيفة في الردّ على بعض الزنادقة؛ **حيث قال في مقدِّمة الرسالة:** "هذه رسالة نقادة البدع في بيان مسائل أجاب عنها العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب...".

وبهذا يتَّضح أَنَّ الموضوع الذي من أجله ألَّف الإمام الأَتْقَانِي – رحمه الله – رسالته متعلِّقٌ بالعقيدة.

وبهذا تبرز قيمة الرِّسالة في كونها تُسلِّط الضَّوء على أمرٍ يتعلَّق بركنٍ عظيمٍ من أركان الإسلام، الركن الخامس، وهو الحج، حيث يتناول فيها الردَّ على بعض الزنادقة، مَن زعم منهم أنَّ الحج لبيت الله ليس بفرض، وإنما الفرض زيارة قبر فلان، وأن فلانًا هذا هو الذي يَرْزُق الناسَ ويَمْنَع عنهم! والعياذ بالله، وأيضًا رد في هذه الرسالة على من اعتقد أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، وبيَّن – رحمه الله – أن هذا كفر محض مخالف لنصوص القرآن الكريم.

كذلك تبرز –من خلال هذه الرسالة– المكانة العلميَّة الرَّفيعة التي تبوَّءَها العلَّامة أبو حنيفة أمير كاتب الأَتْقَانِيّ – رحمه الله –؛ حيث احتلَّ مكانةً عاليةً عند علماء الحنفيَّة، والتي حفلت بوصفه بالإمامة والإفتاء، وذلك لعظم مكانته في الفقه.

المطلب الثَالث: منهج المؤلِّف في رسالته

بالتَّتبُّع والاستقراء، فإنَّه يمكن استقاء منهج المؤلِّف وإبرازه في الآتي:

١- استهلَّ الشَّيخ أمير كاتب الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – رسالته بمقدِّمةٍ، وذكر فيها موضوع الرِّسالة.

٢- اعتمد على تقرير المذهب الحنفي.

٣- نسبة الأقوال إلى أصحابها في غالب الأحيان.

٤- وضوح أسلوب المؤلف، وخلوّه من الغموض والتَّعقيد.

٥- نلاحظ في منهج أمير كاتب الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – استدلاله في المسألة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية وغيرهما.

٦- براعة الاستهلال الذي ابتدأ به الشرح، حيث بدأ بتعريف الزنديق، وبيان الخلاف في استتابة المرتد.

٧- ظهرت شخصيَّة الشَّيخ الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – العلميَّة من خلال اختياراته وترجيحاته، حيث قال: "والذي ثبت عندي أنَّ الزنادقة هم...".

المطلب الرَّابع: موارد الرسالة ومصطلحاتها

أولًا: موارد الرسالة:

بالنظر في رسالة: رَدَّادة البِدَع" تبيَّن أنَّ الإمام الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – رجع إلى عدَّة مؤلَّفاتٍ، **ومن أهمِّها ما يأتي:**

١- الأجناس في فروع الفقه الحنفي، لأحمد بن محمد بن عمر الجرجاني – رحمه الله –.

٢- تلبيس إبليس، لأبي الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) – رحمه الله –.

٣- الخراج، للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة (ت١٨٢هـ) – رحمه الله –.

٤- السير الصغير، لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) – رحمه الله –.

٥- شرح مختصر الطحاوي للجصاص – رحمه الله –.

٦- المجرد، للحسن بن زياد اللؤلئي – رحمه الله –.

٧- مختصر الإمرار.

٨- المغرب في ترتيب المعرب، لبرهان الدين الخوارزمي (ت٦١٠هـ) – رحمه الله –.

٩- مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت٣٨٧هـ) رحمه الله

١٠- نوادر معلى بن منصور الرازي الحنفي – رحمه الله -.

ثانيًا: مصطلحات الرِّسالة:

من أبرز المصطلحات التي وردت في الرِّسالة ما يلي:

أهل الذمَّة	الباطنيَّة	البدع	البَغْي	معرَّة	النفاس
الجزئيَّات	الجهميَّة	الحشر	الحيض	النشر	المُلْحِد
الربق	الزنديق	الساحر	الشطرنج	النَّرْد	المرتد
الطَّرَب	الفقه	الكُلِّيَّات			

المطلب الخامس:

نقد الرسالة (تقويمها بذكر مزاياها والمآخذ عليها)

أ- مزايا الرِّسالة:

تظهر أهمِّيَّة الرِّسالة ومزاياها من خلال الأمور الآتية:

١- كونها تتعلَّق ببيان أمرٍ عظيمٍ من أمور الإسلام، حيث يتناول فيها الردَّ على بعض الزنادقة، وعلى مَنِ اعتقد أنَّ الله يعلم الكلِّيَّات ولا يعلم الجزئيَّات، وبيَّنَ – رحمه الله – أنَّ هذا كُفْرٌ محضٌ مخالفٌ لنصوص القرآن.

تميَّزت المخطوطة بصغر حجمها، وسهولة عبارتها.

٢- نسبة الأقوال إلى أصحابها في غالب الأحيان.

٣- مكانة مؤلِّفها العلميَّة، الذي قام بشرحها.

٤- اعتماده في شرحه على صحيح السُّنَّة.

ب- المآخذ على الرِّسالة:

١- عدم عزو الأقوال -في بعض الأحيان- إلى أصحابها.

٢- لم يضع منهجًا للرِّسالة في مقدِّمته.

٣- لم يحرص على ذكر جميع المذاهب الأربعة في المسألة؛ بل اعتمد على تقرير المذهب الحنفي، وهذا إنْ دلَّ يدلُّ على تعصُّبه للمذهب الحنفي.

القسم الثاني: التحقيق

ويشتمل على الآتي:

أولًا: وصف المخطوط ونسخه.

ثانيًا: بيان منهج التَّحقيق.

ثالثًا: النَّصُّ المحقَّق

أولًا: وصف المخطوط ونسخه:

أ- وصف المخطوط:

١- عنوان الرسالة المخطوطة: رَدَّادة البِدَع.

٢- اسم المؤلف: شيخ الحنفية بالديار المصرية، والشامية، عالم زمانه: أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر – رحمه الله –.

٣- مكان وجودها: مكتبة دار الكتب المصرية ضمن مجاميع تيمور.

٤- رقمها: (٤٦).

٥- تاريخ النَّسخ: سنة: (٧٧٨هـ).

٦- اسم النَّاسخ: نسخة نفيسة منقولة من خط المؤلف؛ الإمام، الأَتْقَانِيّ – رحمه الله –.

٧- عدد الأوراق: ٤ لوحات.

٨- أوَّلُ الرِّسالة: "هذه رسالة نقادة البدع في بيان مسائل أجاب عنها العبد الضعيف أبو حنيفة – رحمه الله –".

٩- آخر الرِّسالة: "كتبه العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد المدعو بقوام الفارابي الإتقاني في الثالث عشر من شعبان من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة".

١٠- عدد الأسطر في اللَّوحة الواحدة: ١٧سطرًا.

١١- عدد الكلمات في السَّطر: ١٥ كلمة.

ب- صور الرِّسالة المخطوطة.

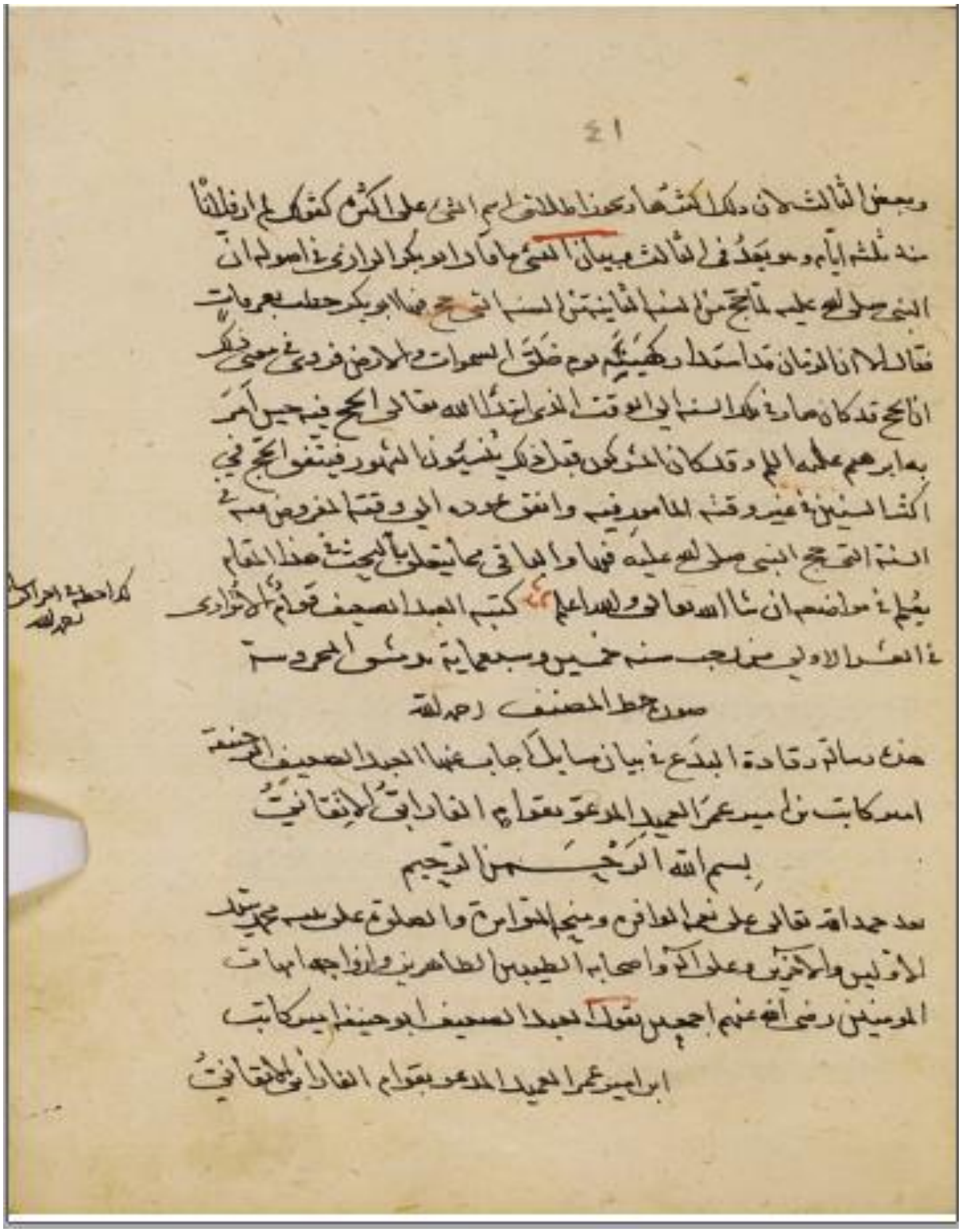

٤١

وبعض الثالث لان ذلك اكثرها وهذا ما لا تتم الا على اكثر كقولك ارتفلنا
منذ ثلثة ايام وهو بعد في الثالث وبيان الشيء ما قاله ابو بكر الرازي في اصوله ان
النبي صلى الله عليه لما حج من المدينة في السنة التي حج فيها ابو بكر خطب بعرفات
فقال الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض فوجدنا في معنى ذلك
ان الحج قد كان صادفه ذلك السنة التي وقت الذي ابتدأ الله تعالى الحج فيه حين امر
بها ابراهيم عليه السلام وقد كان المشركون قبل ذلك يتسيئون الشهور فيتقدمون الحج في
الثانية عشرة غير وقته الذي امر فيه وافق عوده الى وقته المفروض في
السنة التي حج النبي صلى الله عليه فيها وايضا في بحثه على بابه البحث في هذا المقام
يعلم في موضعه ان شاء الله تعالى ولله اعلم كتبه العبد الضعيف قوام الاثري
في العشر الاول من شهر جمادى سنة خمس وسبعين ومائة بعد الالف من الهجرة

كذا خط المصنف رحمه الله

صورة خط المصنف رحمه الله

هذه رسالة ردادة البدع في بيان مسائل اجاب عنها العبد الضعيف الراجي عفو
ربه الكريم ابو حنيفة ابن كابت بن امير عمر الحميد المدعو بقوام الفاراني الافغاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى على نعمه الوافرة ومننه المتواترة والصلوة على سيد محمد سيد
الاولين والآخرين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين وازواجه امهات
المؤمنين رضي الله عنهم اجمعين يقول العبد الضعيف ابو حنيفة ابن كابت
ابن امير عمر الحميد المدعو بقوام الفاراني الافغاني

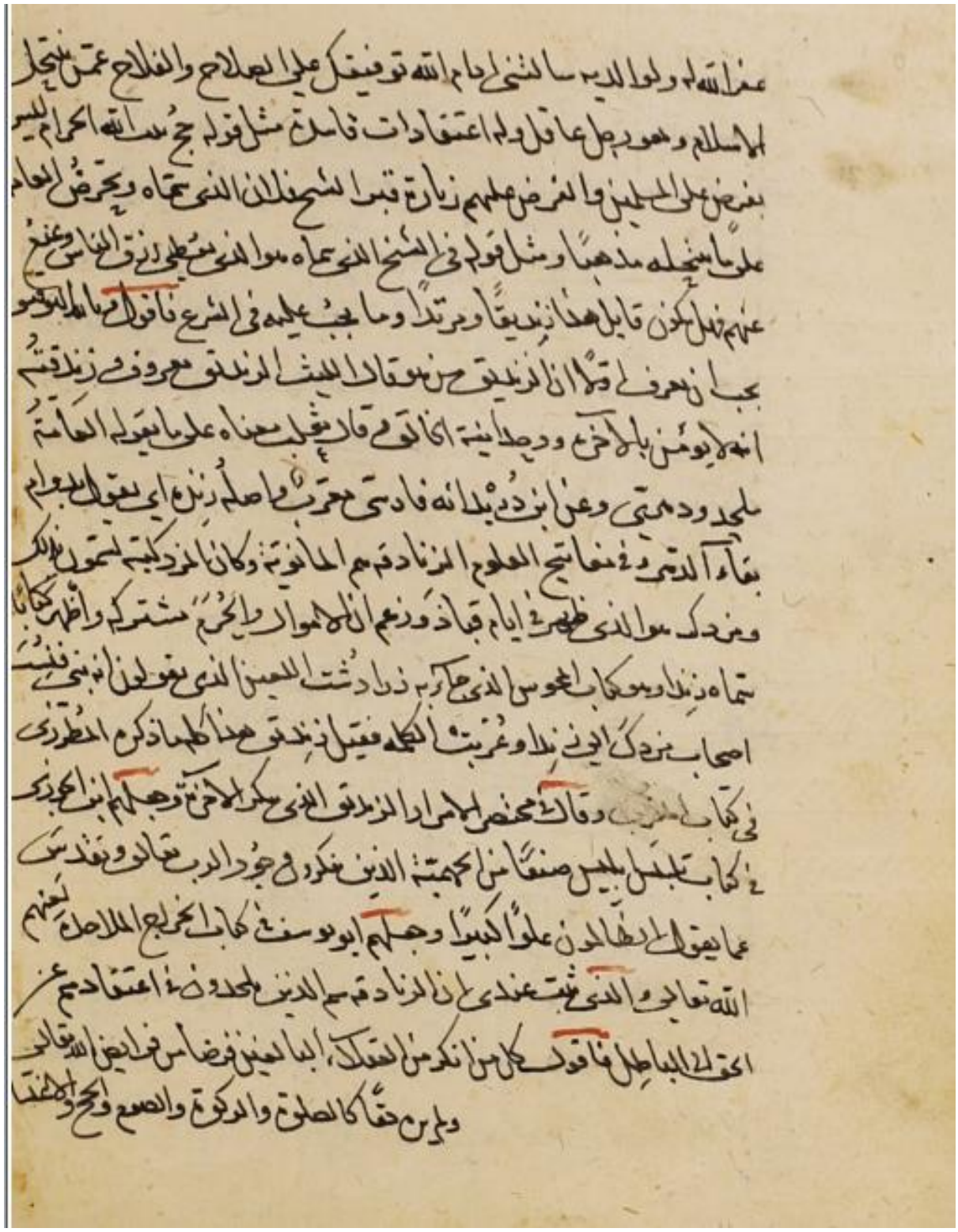

٤٨

كفى الله شرهم ونفاهم عن وجه الأرض والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد
سيدنا وآله أجمعين كتب العبد الضعيف أبو حنيفة أسير كابت بن أسير عمر
العبيد المدعو بقوام الفارابي الأنقاني في الثالث عشر من جمادى من سنة
إحدى وخمسين وسبعمائة ما الفاهر المحروس كما خطه أو هاطه الله
ومن خطه انضاد رحمه الله
هذه رسالة شداخه الحسنة عملها العبد الضعيف أبو حنيفة أسير كابت بن
أسير عمر العبيد المدعو بقوام الفارابي الأنقاني عفى الله عنه ولوالديه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الضعيف أبو حنيفة أسير كابت بن أسير عمر العبيد بن العبيد
أسير غافر عفى الله عنه ولوالديه قال الله المحسن عنا الله عنه ما هفا في قال
تعالى ربنا وبناه في انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني ورد ربي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فحملوا إليه كردوس
ما رجلهم وهو قول يا ابن آدم ما عبدتني حق عبادتي ورد ربي العزة قائلة أن
سئل الله المحسن في نفي الرؤية وعليكم بالأصل الذي ما كذبت كالفريق بل ثبت
بكل حشيش فلو ثبت عاصحح في الرؤية من الأحاديث الصحاح معرضا عن عويلهم
لكان مقتفيا الدين هدى الاعتبار وهو خليق طريقا بآثار الأحمق فالقاصد
سنة عن اتباع إجماع كما قال تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وقد سئل البخاري
في مجلس الصحيح وقال حدثنا أبو الجهان قال أخبرنا

أبو الجهان أعلم من ناقد
العبد في جمع صحيحين
عرد وتسعين في

ثانيًا: بيان منهج التَّحقيق:

١- خرَّجتُ الآيات القرآنيَّة بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- خرَّجتُ الأحاديث التي لم ينصَّ على تخريجها المصنِّف، مع الاكتفاء بالصحيحين إنْ وردت فيهما أو في أحدهما، وإن وردتْ فيما دونهما أُخرّجها من مظانِّها، مع بيان حكم العلماء عليها.

٣- عرَّفتُ بالأعلام المنصوص عليهم في الرِّسالة.

٤- بيَّنتُ الغريب مِنَ العبارات الفقهيَّة التي تحتاج لإيضاح.

٥- عرَّفتُ بغريب البلدان.

٦- عرَّفتُ بالكتب والمصنَّفات التي جاء ذكرها في الرِّسالة.

٧- اجتهدتُ قدْر الإمكان في المحافظة على كتابة المؤلِّف في الرِّسالة، إلَّا ما لا بُدَّ منه مثل اتبّاع الرَّسم الإملائيّ الحديث، ولم أُشِرْ إلى ذلك في الحاشية.

٨- أثبت أرقام ألواح المخطوط عند انتهائها، في المتن هكذا [...].

٩- ذيَّلتُ التَّحقيق بذكر المصادر والمراجع التي رجعتُ إليها.

١٠- اكتفيتُ في العزو باسم الكتاب والجزء -إن وجد- والصفحة، وتركت ذكر المؤلف ومعلومات الطَّبعة إلى فهرس المراجع، وذلك للتَّخفيف من طول الحواشي.

١١- التزمت عند التعريف بالمراجعِ التي وردت في المخطوط الإشارةَ إلى اسمِ الكتاب، ثم اسمِ المؤلف، ثم المحقِّقِ، - إن وُجد، - ثم معلوماتِ النشر، وهي: الناشر، بلدُ النشر، ورقم الطبعة، وتاريخُها-، وإذا لم يتم الإفصاح عن دار النشر في صفحة معلومات الكتاب الذي رجعت إليه فيُرمَز بِالرمز: (د. ن)، وعند عدم ذِكر بلدِ النشر، فيُرمَز إليه بِالرمز: (د. ب)، وعند عدم ذِكر رقمِ الطبعة فيُرمَز إليه بِالرمز: (د. ط)، وعند عدم ذِكر تاريخِ النشر، فيُرمَز إليه بِالرمز: (د. ت).

١٢- وضعتُ خاتمةً في نهاية البحث تتضمَّن نتائج البحث والتوصيات.

ثالثًا: النَّصُّ المحقَّق:

[٤١] صورة خطّ المصنف – رحمه الله –:

هذه رسالة نقادة البدع في بيان مسائل أجاب عنها العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد المدعو بقوّام الفارابي الأتقاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله تعالى على نعمه الوافرة ومنحه المتواترة، والصلاة على نبيِّه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سيِّد الأوَّلين والآخرين وعلى آله وأصحابه الطيِّبين الطاهرين وأزواجه أمَّهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، يقول العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد المدعو بقوام الفارابي الأتقاني [٤٢] – غفر الله له ولوالديه(١)–:

سألتني –أدام الله توفيقك– على الصلاح والفلاح عمن ينتحل الإسلام، وهو رجل عاقل، وله اعتقادات فاسدة مثل قوله: "حجّ بيت الله الحرام ليس بفرضٍ على المسلمين"، والفرض عليهم زيارة قبر الشيخ فلان الذي سماه، ويحرض العامة على ما ينتحله مذهبًا، ومثل قوله في الشيخ الذي سمّاه: "هو الذي يعطي رزق الناس ويمنع عنهم"، فهل يكون قائل هذا زنديقًا ومرتدًا؟ وما يجب عليه في الشرع؟

فأقول –وبالله التوفيق–: يجب أن نَعْرِفَ أوَّلًا أنَّ الزنديق مَن هو:

قال الليث(٢): الزنديقُ معروفٌ زندقتُهُ، وأنَّه لا يُؤمن بالآخرة ووحدانيَّة الخالق(٣).

وقال ثعلب(٤): –معناه على ما يقوله العامة– ملحد ودهري(٥).

---

(١) سبق التعريف به في القسم الدراسي (ص١٠).

(٢) هو: الليث بن المظفر ، وفي اسم أبيه اختلافٌ كبيرٌ، اللغويُّ، النحويُّ، روى عن الخليل بن أحمد وغيره، أخذ عنه النحْو واللغة وأملى عليه ترتيب كتاب (العين)، روى عنه: قتيبة بن سعيد وغيره. وكان مِن أكتب الناس في زمانه، بارعًا في الأدب، بصيرًا بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتبًا. ينظر: إنباه الرواة، (٤٢/٣)، بغية الوعاة، (٢٧٠/٢)، معجم الأدباء، (٢٢٥٣/٥).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، (٢٩٧/٩)، المحيط في اللغة، (١٣/٢)، مادة: (ز ن د ق).

(٤) هو: ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. من كتبه: (الفصيح)، و (قواعد الشعر)، و (شرح ديوان زهير). ينظر: مراتب النحويين، (ص١٥١، ١٥٢)، طبقات النحويين واللغويين، (ص١٤١–١٥٠).

(٥) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٢٥٦/١)، تاج العروس من جواهر القاموس، (٤١٩/٢٥)، مادة: (ز ن د ق).

وعن ابن دريد[١] أنَّه فارسي معرب وأصله زنده، أي: يقول بدوام بقاء الدهر[٢].

وفي مفاتيح العلوم[٣]: الزنادقة هم المانوية، وكان المزدكية يسمون بذلك، ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ، وزعم أن الأموال والحرم مشتركة وأظهر كتابًا سمَّاه زندا، وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت[٤] اللعين الذي يقولون: إنه نبي؛ فنسب أصحاب مزدك إلى زندا وعربت الكلمة فقيل: زنديق[٥]، هذا كله ما ذكره المطرزي[٦] في كتاب المغرب[٧].

وقال في مختصر الإمرار[٨]: الزنديق: الذي ينكر الآخرة، وجعلهم ابن الجوزي[٩] في كتاب تلبيس

---

(١) ابن دريد: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الأزدي البصري، كان رأسًا في العربية وأشعار العرب، ومن مصنفاته: جمهرة اللغة، وأدب الكاتب، توفي سنة: (٣٢٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٥٩٤/٢)، إنباه الرواة، (٩٢/٣)، سير أعلام النبلاء، (٩٦/١٥).

(٢) ينظر: لسان العرب، (١٤٧/١٠)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٢٥٦/١)، مادة: (ز ن د ق).

(٣) هو كتاب: مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، توفي سنة: (٣٨٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، [دار الكتاب العربي د. ب، ط (٣)، د. ت].

(٤) زردشت هو: زرادشت بن أسفيمان، كان زرادشت- فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب- من أهل فلسطين، خادمًا لبعض تلامذة إرميا النبيّ خاصًّا به، أثيرًا عنده؛ فخانه، فكذب عليه، فدعا الله تعالى عليه فبرص، فلحق ببلاد أذربيجان، هو رجل دينٍ فارسيٍّ يُعدُّ مؤسِّس الديانة الزرادشتية، وقد عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهور الإسلام. ينظر: الأخبار الطوال، (ص٢٥)، تاريخ الطبري، (٥٤٠/١، ٥٦١).

(٥) ينظر: مفاتيح العلوم، (ص٥٦).

(٦) هو: المطرزي، أبو الفتح، ناصر بن عبد السيِّد، الخوارزمي، أديب، عالم باللغة، من فقهاء الحنفية، كان رأسًا في الاعتزال، روى عن: أبيه، وغيره. روى عنه: إسماعيل بن الحسين، وغيره، له: الإيضاح، المغرب في ترتيب المعرب، توفي سنة: (٦١٠هـ). ينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، (٢٩٣٩/٧)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٣٣٩/٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، (ص٣٠٣).

(٧) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، (ص٢١١).

(٨) لم أهتد إليه.

(٩) هو: جمال الدّين، أبو الفَرَج بن الْجَوْزيّ، الحنبليّ، الواعظ. عُرِف جدُّهم بالجَوْزيّ لجوزة في وسط داره بواسط، ولم يكن بواسط جَوْزة سواها. سمع من ابن الحصين، وعليّ الدِّينَوَرِيّ، وغيرهما. روى عَنْهُ ابنه محيي الدّين، وسِبْطه شمس الدّين الواعظ وغيرهما. له مصنفات كثيرة منها: زاد المسير في علم التفسير، كتاب صفة الصَّفْوة، كتاب الحمقى والمغفّلين. توفي سنة: (٥٩٧هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد، (١١٠٠/١٢)، الوافي بالوفيات، (١١٠/١٨)، طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٤٨٠).

إبليس[١]صنفًا من الجهمية[٢] الذ ين ينكرون وجود الرب تعالى وتقدَّس عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا[٣].

وجعلهم أبو يوسف[٤] في كتاب الخراج[٥] الملاحدة لعنهم الله تعالى[٦].

والذي ثبت عندي أن الزنادقة هم الذين يُلحدون في اعتقادهم عن الحق إلى الباطل، فأقول: كل من أنكر من العقلاء البالغين فرضًا من فرائض الله تعالى ولم يره حقا كالصلاة والزكاة والصوم والحج والاغتسال [٤٣] من الجنابة والطهارة من الحدث فهو كافر بالله تعالى مرتد[٧].

وفي استتابة المرتد خلاف، قال أبو يوسف في كتاب الخراج، وأما المرتد عن الإسلام إلى الكفر فقد اختلفوا فيه: فمنهم من رأى استتابته[٨]، ومنهم من لم ير ذلك، وكذلك الزنادقة الذين يلحدون وقد كانوا يظهرون الإسلام، وكذلك اليهودي والنصراني والمجوسي يسلم ثم يرتد، فيعود إلى دينه الذي قد كان خرج منه، وكل قد روى في ذلك آثارًا احتج بها، فمن رأى أن لا يستتيب فيقول: قال رسول الله: «من

---

(١) هو كتاب: تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، [دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ب، ط (١)، ١٤٢١هـ].

(٢) هم أتباع جهم بن صفوان، ظهرت بدعته، بترمذ وقتله سالم المازني بمرو. ينظر: المقالات والفرق: (ص٦)، التبصير في الدين، (ص٩٦).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس، (ص٢١).

(٤) هو: يعقوب بن إبراهيم القاضي الأنصاري، أبو يوسف – رحمه الله –، ولي القضاء لثلاثة خلفاء: المهدي، والهادي، والرشيد، سمع من: هشام بن عروة، وغيره. تفقَّه به: محمد بن الحسن، ومعلى بن منصور، وعدد كثير. وروى عنه: يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، وله من التصانيف: "الأمالي"، كتاب "الصلاة"، "كتاب "الزكاة" وكتب أخرى، مات – رحمه الله – ببغداد سنة: (١٨٢هـ)، وقيل غير ذلك. ينظر: الجواهر المضية، (٢/٢٢٠)، تاج التراجم، (ص٣١٥)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، (ص٢٢٥).

(٥) هو كتاب: الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى سنة: ١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، [المكتبة الأزهرية للتراث، د. ب، ط (١)، د. ت].

(٦) ينظر: الخراج لأبي يوسف، (ص١٩٦).

(٧) وهذا تعريف المصنف – رحمه الله – تعالى.

(٨) وقد اختلف العلماء في استتابة المرتد، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل، روينا هذا القول عن عمر، وعثمان، وعلي. وبه قال عطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومالك، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي.

القول الثاني: أن يقتل ولا يستتاب، هذا قول عبيد بن عمير، وطاووس.

القول الثالث: اختلف فيه عن الحسن، روى عن عطاء قولاً آخر قال: إذا كان مسلمًا ممَّن ولد في الإسلام، ثمَّ ارتد، لم يستتب، ويقتل. وإذا كان مشركا ثم أسلم، ثم ارتد، يستتاب.

ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر، (٨/٥٣)، اختلاف العلماء، (٣/٥٠١)، الإقناع في مسائل الإجماع، (٢/٢٧١).

بدل دينه فاقتلوه»[١].

ومَن رأى أنْ يستتيب[٢] فيحتجُّ بما رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم مِن قوله: «أُمرت أنْ أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله؛ فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقّها، وحسابهم على الله تعالى»[٣]، إلى هنا لفظ أبي يوسف في كتابه[٤].

ونقل الشيخ أبو العباس الناطفي[٥] في كتاب الأجناس [٦] عن كتاب المجرد تصنيف الحسن ابن زياد[٧]صاحب أبي حنيفة [٨]، قال: قال في المجرد: قال أبو حنيفة في الزنادقة: من كان زنديقًا منهم من الأصل على الشرك أخذ منه الجزية، وترك على شركه إذا كان من أهل الذمة[٩]، يعني إذا كان من العجم وإن كان مسلمًا فتزندق، وأقر بذلك ثم تاب كف عنه. وإن عاد فتزندق عوقب وحبس حتى يظهر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: «حكم المرتد والمرتدة»، رقم (٦٩٢٢)، (ص٥٧٧).

(٢) ورد ذلك عن عمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنه. وبه قال عطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومالك، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي. ينظر: اختلاف العلماء، (٥٠١/٣)، بداية المجتهد، (٨٧/١)، الشرح الصغير، (٢٣٨/١)، مغني المحتاج، (٣٢٧/١)، المهذب، (٥١/١)، كشاف القناع، (٢٦٣/١)، المغني، (٤٤٢/١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب: «فضل استقبال القبلة»، رقم (٣٩٢)، (ص٣٤).

(٤) ينظر: الخراج لأبي يوسف، (ص١٩٦).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن عمر، أبو العباس، الناطفي، الحنفي الفقيه رحمه الله، أحد الفقهاء الكبار، وروى عن أبي حفص بن شاهين وغيره، ومن مصنفاته: كتاب "الأجناس والفروق" في مجلد، و"الواقعات" في مجلدات، وتوفي بالري سنة: (٤٤٦هـ). ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (١١٤/١)، تاج التراجم، (ص١٠٢).

(٦) هو كتاب الأجناس في فروع الفقه الحنفي، لأحمد بن محمد الجرجاني، أبي العباس الناطفي الطبري الحنفي – رحمه الله –، تحقيق: كريم بن فؤاد بن محمد اللمعي، وغيره، دار المأثور، (٢٣٦/٢).

(٧) هو: الحسن بن زياد اللؤلئي الكوفي، أبو عليّ، القاضي الفقيه – رحمه الله –، من أصحاب أبي حنيفة – رحمه الله –، أخذ عنه وسمع منه، وكان عالِمًا بمذهبه. من كتبه: أدب القاضي، كتاب الخصال، ومعاني الإيمان، توفى سنة: (٢٠٤هـ) . ينظر: تاريخ بغداد، (٤٨/٥). وتاريخ الإسلام، (٢٧٥/٨).

(٨) سبق ترجمته (ص١٥).

(٩) أهل الذمَّة، هم: أهل العهود، والذمَّة هي العهد؛ لأنَّ نقضه يوجب الذم، وتفسر بالأمان والضمان، وكل ذلك متقارب. ومنها قيل للمعاهدين من الكفار: ذمِّيٌّ لأنَّه أُوْمِنَ على ماله ودمه بالجزية. ويُسمَّى محلَّ التزام الذمَّة بها في قولهم: ثبت في ذمَّه كذا. وفي الصحاح: الذمَّة: أهل العقد. والذمة: الأمان في قوله ﷺ: "ويسعى بذمَّتهم أدناهم". ينظر: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، (ص٦٥)، معجم لغة الفقهاء، (ص٢١٤).

خشوع التوبة، وإن هو جحد وقامت عليه البينة أنه تزندق فقال: أنا بريء من الزندقة وأنا مقيم على الإسلام، قبل ذلك منه وكف عنه. وإن لم يقر بالإسلام، وأقر أنه لم يزل زنديقًا منذ كان، وشهد عليه قوم بالإسلام، وأنه قد صلى المكتوبة في جماعتهم، عرض عليه الإسلام، فإن أسلم وإلا قتل، والمرأة تحبس وتجبر على الإسلام، وأما الغلام إذا تزندق قبل أن يدرك، ثم أدرك وهو على الزندقة [٤٤] ولم يصف إسلامه بعد إدراكه، ولم يصل في جماعة، أجبر على الإسلام، ولا يقتل، ويحبس حتى يسلم. وفي نوادر المعلى[١] قال أبو حنيفة في الزنديق: نقتله ولا نستتيبه، وهو قول أبي يوسف[٢]. وأما الساحر، قال في المجرد: قال أبو حنيفة: إذا علم منه أنه ساحر لا يستتاب، ولا يقبل قوله: إني أترك السحر وأتوب منه إذا شهد الشهود أنه الآن ساحر، وأقر بذلك، وبمثله لو قال: كنت مرة أسحر، وقد تركت ذلك، قُبل منه. وكذلك لو شهدوا أنه كان مرة ساحرا وقد ترك، لا يقتل لأجل ذلك السحر، ما لم يشهدوا أنه الآن ساحر، إلى هنا لفظ كتاب الأجناس[٣].

ثم قال فيه: وأما المرتدون[٤] الذين أظهروا الكفر لا على وجه الزندقة؛ فإنه يقبل توبتهم ولو طلب التأجيل أجله الإمام ثلاثة أيام، ذكره في السير الصغير[٥] فإن تاب وعاد إلى الإسلام ثم عاد إلى الكفر حتى فعل ذلك ثلاث مرات وفي كل مرة طلب من الإمام التأجيل أجله الإمام ثلاثة أيام؛ فإن عاد إلى الكفر رابعًا ثم طلب التأجيل؛ فإنه لا يؤجله فإن أسلم وإلا قتل ذكره في كتاب الارتداد[٦] للحسن بن زياد إلى هنا

(١) وهو: كتاب نوادر معلى الرازي الحنفي – رحمه الله –، وقد حقق جزء منه في رسالة ماجستير، للباحث: حمد بن شديد الثقفي، من أول الكتاب باب: «الدعوى حتى نهاية بقية الأيمان والنذور»، دراسة وتحقيقًا، ولم أقف على هذا الموضع في الجزء المحقق من الكتاب.

(٢) سبقت ترجمته هامش (٢)، (ص٣٢).

(٣) ينظر: الأجناس في فروع الفقه الحنفي، (٢/٢٣٨).

(٤) المرتد: اسم فاعل من الارتداد، وهو الرجوع على الإطلاق لغة. وفي الشريعة: هو الرجوع من الدين الحق إلى الباطل؛ فمن ارتد –والعياذ بالله– عرض عليه الإسلام وكشفت شبهته؛ فإن استمهل حُبس ثلاثة أيام؛ فإن تاب وإلا قُتل. ينظر: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، (ص٦٧)، التعريفات الفقهية، (ص٢٠١).

(٥) ينظر: السير الصغير، (ص٢٢٣).

(٦) ولعل الكتاب مفقود، لم أهتد إليه.

لفظ كتاب الأجناس[١] وقال الجصاص[٢] -وهو أبو بكر أحمد بن علي الرازي، صاحب أحكام القرآن، تلميذ الشيخ[٣] أبي الحسن الكرخي[٤]- في شرحه لمختصر الطحاوي قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريدة[٥] وحديث ابن عباس [٦]: «قاتلوا من كفر بالله»[٧]، يدل على قتال جميع أصناف الكفار وقتلهم، وأن أحدًا منهم لا يقر على ما هو عليه من الكفر إلا بالجزية منهم وإلا فالإسلام أو السيف؛ كنحو من يعطي الإقرار بجملة التوحيد، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ، وينقضه برد المنصوص مثل القرامطة المتسمية بالباطنية[٨] لعنهم الله، وأن استحقاق القتل لا يزول عنهم بزعمهم أنهم مقرون بجملة التوحيد والله أعلم [٤٥]؛ لأنهم ينقضون ذلك في الحال بقولهم: أن للشريعة باطنًا مرادًا غير ما نقلته الأمة، وكذلك أشباههم من سائر الملحدين؛ لأن هذه الطوائف من الملحدين غير مقرين بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله لردهم لشرائعه المنصوص عليها، وإنما إقرارهم بدءًا بالجملة تلاعب بالدين،

---

(١) ينظر: الأجناس في فروع الفقه الحنفي، (٢/٢٣٨).

(٢) هو: أحمد بن علي، أبو بكر، الرازي الحنفي الجصاص – رحمه الله –، الإمام، العلامة، المفتي، المجتهد، علم العراق، صاحب التصانيف، تفقه بأبي الحسن الكرخي، وكان صاحب حديث ورحلة، لقي أبا العباس الأصم، وطبقته بنيسابور، وعبد الباقي بن قانع، ودعلج بن أحمد، وطبقتهما ببغداد، والطبراني. وصنف وجمع، وإليه المنتهى في معرفة المذهب، توفي – رحمه الله – سنة: (٣٧٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٦/٣٤٠)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (١/٨٤).

(٣) في المخطوط "اليخ"، ولعلها تصحيف من الناسخ؛ والمثبت هو الصواب اعتبارًا بمقتضى السياق.

(٤) هو: عبيد الله بْن الْحُسَيْن بن دلال، أبو الحسن، الكرخي – رحمه الله –، شيخ الحنفية بالعراق، كان علامة كبير الشأن، أديبًا بارعًا، انتهت إليه رياسة الأصحاب، توفي سنة: (٣٤٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد، (١٢/٧٤)، تاريخ الإسلام، (٧/٧٤٢)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (١/٣٣٧).

(٥) بُرَيدة: هو الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي ، أبو عبد الله، ويقال: أبو سهل، ويقال: أبو ساسان، ويقال: أبو الحصيب، توفي سنة: (٦٣هـ). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (١/٢٨٦).

(٦) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف K، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن؛ فكان يُسمَّى البحر والحبر؛ لسعة علمه. ينظر: الطبقات الكبرى، (٢/٣٢٠)، معرفة الصحابة، (٢/٩٣٣).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: «تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها»، رقم (١٧٣١)، (ص٩٨٥).

(٨) الباطنية، وهم: قوم زعموا أنَّ الله سبحانه خلق شيئًا، ثمَّ خلق منه شيئًا آخر؛ فدبر العالم بأسره، ويسمونها العقل والنفس، تارة العقل الأول والعقل الثاني، وهو من قول الثنوية في النور والظلمة، إلا أنهم غيروا الاسمين. قال: ولهم مقالات سخيفة في النبوَّات، وتحريف الآيات، وفرائض العبادات... إلخ ما قال الحافظ – رحمه الله –. ينظر: فتح الباري، (١٢/٣٧٠).

وتخوف من أن لا يحتملوا على إظهار ما أسروه من الإلحاد، وليس سبيل هؤلاء سبيل المنافقين الذين أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقتلهم مع علمه بكفرهم؛ لأنهم كانوا يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم الإسلام، ولم يظهروا له الكفر، وإنما يظهرونه لأصحابهم كما قال تعالى: (وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا) [(١)]، وهؤلاء مع إظهارهم التوحيد يظهرون نقضه بقولهم: إنَّ له باطنًا غير الظاهر المعقول منه[(٢)]، إلى هنا لفظ أبي بكر الرازي[(٣)].

ثمَّ قال[(٤)]: والذي عندي مِن مذهب أبي حنيفة — رحمه الله – أنَّ هذه الفرقة –أعني القرامطة المتسمية بالباطنية– لا يُقبل منهم التوبة بعد أنْ وقف على اعتقاد الواحد منهم، وأنه مباح الدم بذلك؛ لأن أبا حنيفة قد قال في الساحر[(٥)]: أنه لا يستتاب، واعتل في ذلك بأنه جمع إلى الكفر البغي[(٦)] في الأرض بالفساد، وفساد هذه الطائفة على الله والنفوس أعظم من فساد الساحر. وإنما لم يتكلم أصحابنا في حكم هذه الطائفة وغيرهم من الملحدين لأنه لم يكونوا حدثوا في ذلك الزمان، وإنما حدثوا بعدهم،

---

(١) [البقرة: ١٤].

(٢) قال الماتريدي: أنَّهم كانوا يظهرون لهم الإسلام والإيمان، ثمَّ إذا خلوا قالوا: إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ؛ فقال بعضهم لبعض: لا تُظهروا لهم الإسلام؛ فيحاجوكم عند ربكم في الآخرة.

وقال الواحدي: فإن قيل: كيف يصحُّ النفاق مع المجاهرة بقولهم: (أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ) [البقرة: ١٣]؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم، لا عند المؤمنين؛ لأنَّ الله تعالى قد قال: (وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا) [البقرة: ١٤]. أو أنهم لم يفصحوا بهذا القول، وإنما أتوا بما يفهم عنهم به هذا المعنى، ولا تقوم به حجة توجب الحكم من جهة المشاهدة، كقوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ) [محمد: ٣٠]، وهو خلاف الإفصاح.

يُنظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، (٤٠٥/٢)، البسيط، (٥٣٤/٢). وينظر: معالم التنزيل، (٦٧/١)، لباب التأويل، (٣٤/١).

(٣) ينظر: شرح مختصر الطحاوي، (٤١/٧).

(٤) أي: الجصاص، في موضع آخر.

(٥) الساحر، هو: الكاهن، وهم الكهَّان الذين كان يتحاكم إليهم بعض القبائل بعمل الأسحار، ابتغاء أذية الناس. ينظر: تفسير ابن جرير، (١٨/٣-١٩)، تيسير العزيز الحميد، (ص٣٣).

(٦) البَغْي: مصدر، وهو الخروج عن طاعة الإمام الحقّ، وبتشديد الياء: الفاجرة، والبِغاءُ: الفجور، والبُغيةُ بالضمّ: الحاجة، وبالكسر: ما ابتُغِي. ينظر: التعريفات الفقهية، (ص٤٦).

فأردنا أن نبين حكمهم، لكن إن اتفق في مستقبل الزمان إمام للمسلمين يغضب لدين الله تعالى أن يتلاعب به الملحدون، ويسعوا في إطفاء نوره، فأجرى عليهم حكم الله تعالى، وإن كان مجرد ذلك بعيدا في عصرنا، والله ولي دينه وناصر شريعته. إلى هنا لفظ أبي بكر الرازي في شرحه(١).

أقول: هذا الشخص المسؤول عنه وهو الذي أنكر فرض الحج، ورأى الرزق من غير الله تعالى، وحرض [٤٦] غيره على هذا الاعتقاد، واسمه كافر؛ لإنكاره فرض الحج، ومرتد لأنه رجع إلى الكفر بعد ادعائه الإسلام، وزنديق ملحد(٢)؛ لأنه ألحد في اعتقاده بهواه من الحق إلى الباطل الذي لا سبيل إلى صحته، وقرمطي باطني؛ لرده بهواه المنصوص من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ) (٣)، ومشرك؛ لأنه أشرك بالله غيره لأنه جعل غير الله معطيًا مانعًا رازقًا، والله تعالى هو المعطي وهو المانع وهو الرزاق، قال الله تعالى: (تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ) (٤)، الآية، وقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) (٥)، وقال تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا) (٦)، وقال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) (٧)، وقال تعالى: (وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) (٨). فالحاصل أنَّ هذا الشخص اجتمع فيه صفات ذميمة قبيحة وهو أنه كافر مرتد زنديق ملحد قرمطي باطني مشرك؛ فحكمه عندي أنه لا يقبل توبته، ولا يشتغل باستتابته، بل يقتل ويقسم ماله بين ورثته المسلمين إن كانوا، وإلا فإلى بيت المال؛ لأنه جمع إلى الكفر البغي في الأرض بالفساد، وليس

---

(١) ينظر: شرح مختصر الطحاوي، (٤٣/٧).

(٢) الملحد: هو مَن مَالَ عن الشرع القويم إلى جهةٍ من جهات الكفر؛ كالباطنية، أو الطاعنُ في الدين مع ادِّعاء الإسلام، أو الذي يُؤوِّل في ضروريات الدين؛ لإجراء أهوائه. ينظر: التعريفات الفقهية، (ص٢١٦).

(٣) [آل عمران: ٩٧].

(٤) [آل عمران: ٢٦].

(٥) [الذاريات: ٥٨].

(٦) [هود: ٦].

(٧) [العنكبوت: ٦٠].

(٨) [النمل: ٦٤].

كسائر المرتدين الذين جرى على ألسنتهم كلمة الكفر؛ فإن توبتهم مقبولة، وإن طلبوا التأجيل أجلوا ثلاثة أيام، فإن أسلموا وإلا فالسيف؛ لأنه لم يوجد منهم إلا مجرد الكفر لا البغي في الأرض بالفساد؛ فصار الملحد كالساحر، وقاطع الطريق، حيث لا يقبل توبتهما؛ لسعيهما في الأرض بالفساد، قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ) [(١)] الآية.

ومن جملة الملحدين في زماننا الذين يشتغلون بعلوم الفلاسفة من الإلهيات والطبيعيات والمنطق، ويعتقدون [٤٧] في مثل أبي علي بن سينا[(٢)] الذي اعتقاده أن الله لا يعلم الجزئيات[(٣)] وإنما يعلم الكليات[(٤)] وهو كفر محض مخالف لنصوص القرآن، قال تعالى: (أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) [(٥)]، وقال تعالى: (وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا) [(٦)]، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾[(٧)]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ

---

(١) [المائدة: ٣٣].

(٢) هو: أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا، صاحب التَّصانيف في الفلسفة والطب والمنطق، توفي سنة: (٤٢٨هـ) قال عنه الشَّيخ – رحمه الله –: "وابن سينا تكلَّم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع، ولم يتكلم فيها سلفه... وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد". ومن مصنفاته الكثيرة كتاب "الإشارات والتنبيهات" في المنطق والحكمة. ينظر: وفيات الأعيان، (٢/١٥٧-١٦٢). والرد على المنطقيين، (ص١٤١، ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء، (١٧/٥٣١-٥٣٦).

(٣) والجزئيات: ما يكون مندرجًا تحت الكليات وأخص منه، كالاسم؛ فإنه أخص من الكلمة ومندرج تحتها، والجزئيات المندرجة تحت الكليات؛ إمَّا أن يكون تباينها بالذاتية، أو بالعرضيات، أو بهما، والأول يسمى أنواعًا، والثاني أصنافًا، والثالث أقسامًا. ينظر: التعريفات، (ص١٧٥).

(٤) الكُلِّيَّات في الإسلام هي الأمور العامة التي جاءت في الأصول، أي في القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، والمرتبطة بالأساس بالمقاصد التي نزلت الشريعة الإسلاميَّة لحمايتها وصيانتها، وهي: حفظ الدين، والنفس، والمال، والعقل، والنسل أو العرض، وما اتصل بها من أمور. ينظر: التعريفات الفقهية، (ص١٢٣).

(٥) [الملك: ١٤].

(٦) [الأنعام: ٥٩].

(٧) [الأنعام: ٥٩].

مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦١﴾[3]، ويظهرون الإسلام والمذهب السني، ويقرون بالله ويصدقون بالرسول ظاهرًا خوفًا من معرة[4] السيف لا اعتقادا على الحقيقة؛ فإذا اطلعت على ما في بواطنهم الخبيثة وجدتهم أخبث الناس اعتقادًا، أشر خلق الله فاسدين مفسدين في الدين، منكرين للحشر[5] والنشر[6]، وطاعنين في الشريعة، وأحكامها، وذامين من يشتغل بالفقه[7] الذي هو علم النبي صلى الله عليه وسلم، ويعيبون ما في علم الشريعة من أحكام الحيض[8] والنفاس[9]

---

(٨) [سبأ: ٢].

(١) [سبأ: ٣].

(٢) [يونس: ٦١].

(٣) مَعِرة ومَعْراءُ مَعِرَ الشَّعرُ والريشُ ونحوُهما، والمَعَرُ هو: سقوط الشعر. وقد مَعِرَ الرجل فهو مَعِرٌ. والأمْعَرُ: القليلُ الشعرِ، والمكانُ القليلُ النبات. وأرضٌ مَعِرَةٌ: قليلة النبات. وتَمَعَّرَ شعره: تساقط. وتَمَعَّرَ لونه عند الغضب: تغيَّر. وأمْعَرَ الرجل: افتقر. ينظر: الصحاح في اللغة والعلوم، (ص٤٩٣٢)، الغريبين في القرآن والحديث، (١٢٥٠/٤).

(٤) الحشر هو: جمع الناس يوم القيامة. ينظر: غريب الحديث، (٢٨٣/١).

(٥) النشر في اللغة: يأتي بمعنى البسط، والانتشار، وتقلُّب الإنسان في حوائجه، ويأتي بمعنى التفرُّق. والنشور في الاصطلاح: يُطلق ويُراد به معنى البعث، وهو انتشار الناس من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء. ينظر: الموسوعة العقدية – الدرر السنية، (٣٠٧/٤)، معجم التوحيد (٤٧٧/٣).

(٦) الفقه: هو في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلِّم مِن كلامه، وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعيَّة العمليَّة المكتسب مِنْ أدلَّتها التفصيليَّة. ينظر: التعريفات، (ص١٦٨).

(٧) الحيض معناه في اللغة: السيلان، ومنه الحوض. ينظر: لسان العرب، (١٤٣/٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤٦٨/١). وفي الاصطلاح: الدم الخارج من الرحم لا لولادةٍ و

لا لعلَّةٍ. وقيل الحيض: معاهدة اندفاع الدم العفن الذي هو في الدم بمنزلة البول. ينظر: فتح الغفار، (٩٨/٣)، والتقرير والتحبير، (١٨٨/٢)، وحاشية قليوبي، (٩٨/١)، التوقيف على مهمات التعاريف.

(١٠) أما النفاس فمعناه في اللغة: الولادة. ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع، (ص٥٨)، مقاييس اللغة، (٤٦٠/٥). وفي الاصطلاح: الدم الخارج عقب فراغ الرحم من الحمل. ينظر: فتح الغفار، (٩٨/٣)، والتقرير والتحبير، (١٨٨/٢)، وحاشية قليوبي، (٩٨/١).

ويرونها قبيحًا، وذلك رد لحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ويفسدون اعتقاد أولاد الأمراء والأغنياء بصحبتهم الفاسدة، ويفتحون لهم أبواب البدع [١] والإباحة واللهو والطرب[٢]،ويشاركهم في الشرب ولعب النرد[٣] والشطرنج[٤] والهزل والمزاح الذي يأباه الشرع، ويفتخرون بأنهم أهل المعقول والرياضيات، ويفضلون علوم الفلاسفة على سائر العلوم، وهم ببعد المشرقين عن علوم الشريعة من التفاسير والأحاديث والفقه، وقد رفضوا ونقضوا شعائر الدين، ولابسوا المحظورات والمنكرات، واستهانوا بأوامر الشرع ونواهيه، وخلعوا ربقة[٥] الإسلام عن أعناقهم [٤٨] كفى الله شرهم ونفاهم عن وجه الأرض، والحمد لله رب العالمين، وصلاته على محمد سيدنا وآله أجمعين. كتبه العبد الضعيف أبو حنيفة أمير كاتب ابن أمير عمر العميد المدعو بقوام الفارابي الإتقاني في الثالث عشر من شعبان من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة. كذا خطَّه في آخرها – رحمه الله –.

والحيض والنفاس لا يؤثران في أهلية الوجوب، ولا في أهلية الأداء، إلا أنهما اعتبرا من العوارض؛ لأن الطهارة منهما شرط لصحة كل عبادة يشترط فيها الطهارة كالصلاة مثلا. ينظر: التلويح على التوضيح، (٢/١٧٦-١٧٧).

(١) البدع، جمع بدعة، والبدعة في الدِّين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، وهو ما لم يأمر به أمرَ إيجابٍ ولا استحباب. ينظر: الانتصار لأهل الأثر المطبوع باسم نقض المنطق، (ص١٥٨).

(٢) الطَّرَب: خِفَّةٌ تصيب الإنسان لشدَّة حزنٍ أو سرورٍ. ينظر: التعريفات الفقهيَّة، (ص١٣٥).

(٣) النَّرْدُ: الكَعْبُ الذي يُلْعَبُ به. ومِن لَعِبَ بالنَّرْد فكأنَّما غَمَسَ يَدَيْهِ في لَحْمِ الخِنزيرِ. ينظر: العين، (٨/٢٢)، معجم ديوان الأدب، (٣/٣٢٠).

(٤) الشَّطرنج: فارسيٌّ معرَّبٌ، وهو هذا المعروف، والنرد: معروف أيضًا، وهو أعجمي معرب. ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع، (ص٥٠٠).

(٥) الربق: حبيل يشد فِي عنق الْحمل أَو البهمة، وَالْجمع أرباق، وَالشَّاة مربوق وربيق، وأخرج فلَان ربقة الْإِسْلَام من عُنُقه إِذا فَارق الْجَمَاعَة، وإذا ضيَّع ما أعْطى من العَهْدِ، وخرج على النَّاسِ. ينظر: العين، (١/١١٩)، جمهرة اللغة، (١/٣٢٣)، الصحاح في اللغة والعلوم، (ص١٧٧٥)، مادة (ربق).

الـخـاتـمـــة

الحمد لله أنْ وفَّقني لإتمام دراسة هذه الرِّسالة المخطوطة وتحقيقها علميًّا، وقد توصَّلت إلى عددٍ من النَّتائج والتَّوصيات، **أذكرها على النَّحْو الآتي:**

أَوَّلًا: أهمُّ النَّتائج:

١- أَنَّ الرِّسالة المخطوطة موضوعُ هذا البحث ثابتةُ النِّسبةِ إلى مؤلِّفها: العلَّامة أمير كاتب الأَتْقَانِيّ – رحمه الله –؛ لنصِّه على ذلك صراحة في أوَّلها.

٢- كشفتْ الرِّسالة عن منزلة العلَّامة أمير كاتب الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – في الفقه الحنفي؛ حيث احتل مكانة عالية عند علماء الحنفية، والتي حفلت بوصفه بالإمامة والإفتاء.

٣- جمع الإمام الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – بين الحفظ والفهم، مما يجعل له قدمًا راسخة في الْمَعْقُولات، وعَارِفًا بالأصول والمعاني والعربية.

٤- بيَّن المخطوط أن الشَّيخ الأَتْقَانِيّ – رحمه الله – اعتمد في شرحه على تقرير المذهب الحنفي.

٥- كشف المخطوط أنّ من أنكر فرضية الحج، ورأى الرزق من غير الله تعالى، وحرّض غيره على هذا الاعتقاد فهو كافر ومرتد.

٦- كشف المخطوط أنّ اعتقاد علم الله تعالى بالكليات فقط، ونفي علمه سبحانه بالجزئيات؛ يُعد كفرًا محضًا، مخالفًا لنصوص القرآن الكريم.

٧- أن هذا المخطوط قد عُنِيَ بالتحذير من البدع، وتفنيد شبهات أصحابها والرد عليها، وخاصة تلك البدع المتعلقة بالبدع العقدية.

٨- تبين من المخطوط أن أهم المضامين العلميّة والدعوية التي اشتمل عليها، هي:

- الدفاع عن علوم الشريعة بوجه عام، وعن علم الفقه بوجه خاص.
- الكشف عن منهج الملاحدة في إفساد الأمراء وأبنائهم.
- دفاعه عن الفقه والفقهاء، وردِّ الشبه التي تُثار حولهم.
- موقف الشيخ – رحمه الله – مِنَ الفلسفة والمشتغلين بها.
- إجابة الشيخ – رحمه الله – عن سؤال مَنِ ادَّعى أنَّ غير الله يرزق، أو أنكر فريضةً من فرائض الدين.
- حكم قياس المرتدين على المنافقين، ورد هذه الشبهة.
- تعرضه لبعض الفرق؛ كالقرامطة، والتحذير منهم.

- موقف الشيخ الأَنْقَانِيّ — رحمه الله – من توبة المرتد.

ثانيًا: أهمُّ التَّوصيات:

في ختام هذا البحث أقدم التَّوصيات الآتية، والتي من أهمِّها:

١- أوصي العلماء، وطلاب العلم، ببذل المزيد من الجهد والبحث؛ للعناية بنتاج الشَّيخ العلَّامة أمير كاتب الأَنْقَانِيّ، وبتحقيق مخطوطاته ونشرها؛ لما تميز به — رحمه الله – من سعة العلم، ودقة الفهم.

٢- أُهيب بالباحثين دراسة كتب أهل العلم السابقين ؛ لأنها هي التي شكَّلتْ وجدان المسلمين على مدار القرون السابقة.

٣- أوصي المهتمين بالبحث العلمي؛ بالعمل على إخراج جميع المخطوطات القيّمة، والعناية بها تحقيقًا ودراسة؛ لاحتوائها على فوائد ودرر، ولكونها تعين الباحثين في بحوثهم.

وفي الختام: أسأل الله بمنّه وفضله أن يجعله عملًا خالصًا متقبلًا، نافعًا لمن كتبه وقرأه؛ فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأجناس في فروع الفقه الحنفي، لأحمد الجرجاني، أبي العباس الطبري الحنفي، تحقيق: كريم اللمعي، وغيره، [دار المأثور، (د. ب/ط/ت)].

٢- الأخبار الطوال، أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، [وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ط (١)، ١٩٦٠م].

٣- الإشراف على مذاهب العلماء، أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق: صغير الأنصاري، [مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، ط (١)، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م].

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٥هـ].

٥- الأعلام، خير الدِّين بن محمود الزِّركلي، [دار العلم للملايين، بيروت، ط (١٥)، ٢٠٠٢م].

٦- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عشمة، د. محمد موعد، [دار الفكر المعاصر، بيروت، ط (١)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م].

٧- الإقناع في مسائل الإجماع، علي بن محمد الحميري الفاسي، تحقيق: حسن الصعيدي، [الفاروق الحديثة، د. ب، ط (١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م].

٨- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [دار الفكر العربي، القاهرة، ط (١)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م].

٩- الانتصار لأهل الأثر (المطبوع باسم: نقض المنطق)، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قائد، [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط (١)، ١٤٣٥هـ].

١٠- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله الرومي، تحقيق: يحيى مراد، [دار الكتب العلمية، (د. ط) ١٤٢٤هـ- ٢٠٤٤م].

١١- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، تحقيق: محمد صبحي، [دار المغني، الرياض، د. ط، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م].

١٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني اليمني، [دار المعرفة، بيروت، (د. ب/ط/ت)].

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [المكتبة العصرية، لبنان، (د. ط/ت)].

١٤- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، لأبي العباس أحمد الخلوتي، تحقيق: د. مصطفى وصفي، [دار المعارف، (د. ب/ط/ ت)].

١٥- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، [دار سعد الدين، د. ب، ط (١)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م].

١٦- تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، تحقيق: محمد خير يوسف، [دار القلم، دمشق، ط (١)، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م].

١٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج، [مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط/ت)].

١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، [دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

١٩- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار معروف، [دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١)، ١٤٢٢هـ].

٢٠- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر شاهفور، تحقيق: كمال الحوت، [عالم الكتب، د. ب، ط (١)، ١٩٨٣هـ].

٢١- التعريفات الفقهية، محمد عميم البركتي، [دار الكتب العلمية، ط (١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م].

٢٢- التعريفات، علي الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤٠٣هـ].

٢٣- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن علي الواحدي، النيسابوري، (المتوفى:٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، [عمادة البحث العلمي-جامعة الإمام، ط (١)، ١٤٣٠هـ].

٢٤- تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد شاهين، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٥هـ].

٢٥- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن كثير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، [دار هجر، ط (١)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م].

٢٦- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لمحمد الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، [دار الكتب

العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م].
٢٧- التقرير والتحبير، أبو عبد الله، شمس الدين محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، [دار الكتب العلمية، د. ب، ط (٢)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م].
٢٨- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، [دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م].
٢٩- تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي الجوزي [دار الفكر، بيروت، ط (١)، ١٤٢١هـ] ..
٣٠- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد مرعب، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (١)، ٢٠٠١م].
٣١- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري، [عالم الكتب، القاهرة، ط (١)، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م].
٣٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، [المكتب الاسلامي، بيروت، ط (١)، ١٤٢٣هـ].
٣٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، [دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط (١)، ١٤٢٢هـ].
٣٤- جمهرة اللُّغة، أبو بكر محمد بن الحَسَن الأَزْدِيُّ. تحقيق: رمزي منير بعلبكي، [دار العِلم للملايين، بيروت، ط (١)، ١٩٨٧م].
٣٥- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، [مير محمد كتب خانه – كراتشي، (د. ط/ت)].
٣٦- حاشيتا قليوبي وعميرة، لأحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، [دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م].
٣٧- حُسن المُحاضَرة في تاريخ مصر والقاهرة، جَلال الدِّين السُّيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [دار إحياء الكُتُب العربية، بيروت، ط (١)، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م].
٣٨- الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبتة الأنصاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف

سعد، سعد حسن محمد، [المكتبة الأزهرية للتراث، د. ب، ط (١)، د. ت].

٣٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، [مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط (٢)، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م].

٤٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدي، [دار التراث، القاهرة، (د. ط/ت)].

٤١- ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م].

٤٢- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، الحسني الفاسي، تحقيق: كال يوسف الحوت، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م].

٤٣- الرد على المنطقيين، لابن تيمية، [دار ترجمان السنة، باكستان، ط (١)، ١٩٧٦م].

٤٤- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة»، تحقيق: محمود الأرناؤوط، [مكتبة إرسيكا، تركيا، د. ط، ٢٠١٠م].

٤٥- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، [دار الرسالة العالمية، ط (١)، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م].

٤٦- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد عبد الحميد، [المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط/ت)].

٤٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: بشار معروف، [دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. ط، ١٩٩٨م].

٤٨- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، [مؤسسة الرسالة، د. ب، ط (٣)، ١٤٠٥هـ].

٤٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، [دار الكتب العلمية، لبنان، ط (١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م].

٥٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، [دار ابن كثير، بيروت، ط (١)، ١٤٠٦هـ].

٥١- شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، [مكتبة صبيح، مصر، (د. ط/ت)].

٥٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: د حسين العمري، ومطهر الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، [دار الفكر المعاصر، بيروت، ط (١)، ١٤٢٠هـ].

٥٣- الصحاح في اللغة والعلوم، عبد الله نديم العلايلي، وأسامة مرعشلي، [بيروت، دار الحضارة العربية، ط (١)، ١٩٧٥م].

٥٤- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط/ت)].

٥٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي، [دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ط/ت)].

٥٦- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤٠٣هـ].

٥٧- طبقات الحنفية، علاء الدين علي الحميدي، المعروف بابن الحنائي، تحقيق: محيي هلال سرحان، [ديوان الوقف السني، بغداد، ط (١)، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م].

٥٨- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين الغزي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، [دار الرفاعي، (د. ب/ط/ت)].

٥٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي، [هاجر، د. ب، ط (٣)، ١٤١٣هـ].

٦٠- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد الدمشقي، تحقيق: د. الحافظ خان، [عالم الكتب، بيروت، ط (١)، ١٤٠٧هـ].

٦١- الطبقات الكبرى، أبي عبد الله محمد البغدادي المعروف بابن سعد، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٠هـ].

٦٢- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الأندلسي الإشبيلي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، [دار المعارف، (د. ب/ط/ت)].

٦٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد المكي، تحقيق: محمد عطا، [دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٩٩٨م].

٦٤- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، [مكتبة الهلال، (د.ب/ ط/ ت)].

٦٥- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، [جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط (١)، ١٤٠٥هـ].

٦٦- الغريبين في القرآن والحديث، أبي عبيد أحمد الهروي، تحقيق: أحمد المزيدي، [مكتبة نزار الباز، السعودية، ط (١)، ١٤١٩هـ].

٦٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد حجر العسقلاني، تحقيق: نظر الفاريابي، علق عليه الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، عبد الرحمن البراك، [دار طيبة، الرياض، ط (٤)، ١٤٣٢هـ].

٦٨- فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، الحسن بن أحمد بن يوسف الرُّباعي الصنعاني، تحقيق: مجموعة بإشراف علي العمران، [دار عالم الفوائد، ط (١)، ١٤٢٧هـ].

٦٩- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد اللكنوي الهندي، تحقيق: محمد النعساني، [دار السعادة، مصر، ط (١)، ١٣٢٤هـ].

٧٠- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن صلاح الدين البهوتي، [دار الكتب العلمية، د. ب، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م].

٧١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، [مكتبة المثنى، بغداد، د. ط، ١٩٤١م].

٧٢- لب اللباب في تحرير الأنساب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، [دار صادر، بيروت، (د. ط/ ت)].

٧٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، [دار صادر، بيروت، ط (٣)، ١٤١٤هـ].

٧٤- مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، د. ط، ١٤١٦هـ].

٧٥- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، [دار الكتب

العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م].

٧٦- المحيط في اللغة، أبو القاسم الصاحب إسماعيل الطالقاني، تحقيق: محمد آل ياسين، [عالم الكتب، بيروت، ط (٢)، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م].

٧٧- مختصر اختلاف العلماء، أبو جعفر أحمد المعروف بالطحاوي، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، [دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط (٢)، ١٤١٧هـ].

٧٨- مراتب النحويين، لعبد الواحد الحلبي، تحقيق: محمّد أبو الفضل، [المكتبة العصريّة، (د. ب/ط)، ١٤٣٠هـ].

٧٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، [المكتبة العِلمية، بيروت، (د. ط/ت)].

٨٠- المطلع على ألفاظ المقنع، لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، [مكتبة السوادي، د. ب، ط (١)، ٢٠٠٣م].

٨١- معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، [دار طيبة، الرياض، ط (٤)، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م].

٨٢- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، [دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م].

٨٣- مُعجَم البلدان، شهاب الدِّين، أبو عبد الله ياقوت الرومي الحَمَوِيُّ، [دار صادر، بيروت، ط (٢)، ١٩٩٥م].

٨٤- معجم التوحيد-دراسة شرعية لمفردات ألفاظ ومسائل التوحيد مرتبة على الحروف الهجائية-، أبي عبد الرحمن أبا حسين، [دار القبس، ط (١)، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م].

٨٥- معجم الشيوخ الكبير، شمس الدين أبو عبد الله بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، [مكتبة الصديق، الطائف، ط (١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م].

٨٦- معجم المؤلفين، عمر كحالة الدمشقي، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط/ت)].

٨٧- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، [مؤسسة دار الشعب، القاهرة، د. ط، بب١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م].

٨٨- معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي- حامد قنيبي، [دار النفائس، د. ب، ط (٢)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م].

٨٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، [دار الفكر، (د. ب/ط)، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م].

٩٠- معرفة الصحابة، أبي نعيم أحمد الأصبهاني، [دار الوطن، الرياض، ط (١)، ١٤١٩هـ_١٩٩٨م].

٩١- المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، [مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط (٢)، ١٩٧٩م].

٩٢- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، [دار المعرفة، بيروت، ط (٣)، ١٤٢٨هـ].

٩٣- المغني، أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد قدامة المقدسي، [مكتبة القاهرة، القاهرة، (د. ط/ت)].

٩٤- مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، [دار الكتاب العربي، د. ب، ط (٣)، د. ت].

٩٥- المقالات والفرق، سعد بن عبد الله القمي، [مطبعة حيدري، طهران، (د. ط/ت)].

٩٦- المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، [دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط (٣)، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م].

٩٧- منازل الأئمة الأربعة، أبو زكريا يحي بن إبراهيم الأزدي السلماسي، تحقيق: محمود بن عبد الرحمن قدح، [مكتبة الملك فهد الوطنية، ط (١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م].

٩٨- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، حققه ووضع حواشيه: د. محمد أمين، [الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ب/ط/ت].

٩٩- المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبي إسحاق الشيرازي، تحقيق: د. محمد الزحيلي، [دار القلم، دمشق، ط (٢)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م].

١٠٠- الموسوعة العقدية-الدرر السنية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي السقاف، [موقع الدرر السنية على الإنترنت: https://dorar. net/aqeeda].

١٠١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري الظاهري الحنفي، [دار الكتب، مصر، (د. ط/ت)].

١٠٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدِّين أبو السعادات ابن الأثير. تحقيق: طاهر الزازي،

[المكتبة العِلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ].

١٠٣- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل البغدادي، [وكالة المعارف الجليلة، استانبول، د. ط، ١٩٥١م].

١٠٤- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، [دار إحياء التراث، بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م].

١٠٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، [دار صادر، بيروت، (د. ط/ت)].

الوفيات، تقي الدين السلامي، تحقيق: صالح مهدي، د. بشار معروف، [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٢هـ].

البحث رقم (٢)

التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي وآثاره وضوابطه

دراسة وصفية استقرائية

د. فاضل محمد أحمد جبل المصباحي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة نجران

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

تناول البحث التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، وضوابطه وآثاره، مستهدفا تحديد مفهوم الذكاء الاصطناعي، وتوظيفه الدعوي، وبيان ضوابطه وآثاره الدعوية، متبعا المنهج الوصفي والاستقرائي، في دراسته، للتوصل إلى النتائج، التي من أهمها: توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال الدعوي، بما يخدم الدعوة، مع وجوب الالتزام بالضوابط الدعوية، عند استخدامه، وأن آثاره الإيجابية على الدعوة كبيرة، إذا استخدم بذكاء وفطنة، وله آثاره السلبية التي يجب الحذر منها، وأنه قد يوازي الذكاء البشري في القدرات الذهنية والحركية، لما يتميز به من السهولة والسرعة، في النشر والتحليل والتدقيق، لكنه لا يستطيع القيام بالدور المعنوي والعاطفي للداعية، ثم أوصى الباحث ببعض التوصيات، التي من أهمها؛ إدراج الذكاء الاصطناعي ضمن المقررات الدراسية العليا، للأقسام العلمية، في الجامعات، وإجراء البحوث العلمية حوله، بما يخدم الدعوة، وإدراجه وتوظيفه ضمن عمل المؤسسات الدعوية، في الأعمال الدعوية، وتطوير قدرات الدعاة التقنية والمهنية، وتفريغ بعضهم لدراسته وصناعته وبرمجته.

الكلمات المفتاحية: الذكاء، الاصطناعي، التوظيف، الدعوي، الضوابط، الآثار.

Research Summary

Tanawal albahth altawzif aldaewia lildhaka' alaistinaeii, wadawabitih watharuhu, mustahdifan tahdid mafhum aldhaka' alaistinaeii, watawzifih aldaeawi, wabayan dawabitih watharih aldaeawiati, mutbiean almanhaj alwasfi walaistiqrayiyi, fi dirasatihi, liltawasul 'iilaa alnatayija, alati min 'ahmuha: tawzif aldhaka' alaistinaeii fi almajal aldaeawi, bima yakhdim aldaewata, mae wujub alailtizam bialdawabit aldaeawiati, eind aistikhdamihi, wa'an atharuh al'iijabiat ealaa aldaewat kabiratan, 'iidha austukhdim bidhaka' wafitanatin, walah atharuh alsalbiat alati yajib alhadhr minha, wa'anah qad yuazi aldhaka' albasharia fi alqudrat aldhihniat walharakiati, lima yatamayaz bih min alsuhulat walsureati, fi alnashr waltahlil waltadqiqi, lakinah la yastatie alqiam bialdawr almaenawii waleatifii lildaaeiti, thuma 'awsaa albahith bibaed altawsiati, alati min 'ahmuha; 'iidraj aldhaka' alaistinaeii dimn almuqararat aldirasiat aleulya, lil'aqsam aleilmiati, wa'iijra' albuhuth aleilmiat hawlahu, bima yakhdim aldaewata, wa'iidrajah watawzifah dimn eamal almuasasat aldaeawiati, fi al'aemal aldaeawiati, watatwir qudrat aldueaat altaqniat walmihniati, watafrigh baedihim lidirasatih wasinaeatih wabarmajatihi.

Keywords: Intelligence, artificial, employment, advocacy, controls, effects.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلان على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن تقنية الذكاء الاصطناعي من الوسائل الجديدة التي صارت تحاكي البشر في أداء العمل، وتقديم النصائح والحلول، واتخاذ القرارات، والحفاظ على المعارف والعلوم، ودخلت في كثير من المجالات العلمية والصناعية، مما أسهم في التطور العلمي والتكنولوجي، مما حدا بالباحث أن يبحث في مفهوم هذه التقنية، وتوظيفها في المجال الدعوي، ومعرفة ضوابطها وآثارها الدعوية.

مشكلة البحث:

فرضت التطورات المتسارعة في العلوم والتقنيات الحديثة، خاصة الذكاء الاصطناعي، الذي تزايد استخدامه في الفترة الأخيرة، حتى شمل جميع جوانب الحياة، مما أدى إلى تحديات كبيرة، في المجتمع الإسلامي المعاصر، بسبب غياب الرقابة، وضعف الإطار الأخلاقي، في الاستخدام دون ضوابط واضحة، فلذا كان لا بد من الاهتمام بدارسة مفهوم الذكاء الاصطناعي، وكيفية توظيفه في الجانب الدعوي، والضوابط والآثار الدعوية، المترتبة على استخدامه، ولقلة الدراسات في هذا المجال، جاء هذا البحث لدراسة هذه الظاهرة، وبيان مجال التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، وآثاره، وفق ضوابط محددة، لردم الفجوة، وسد جزء من الفراغ، الذي تركت تناوله الدراسات السابقة، من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في الدعوة؟
- ما هي الضوابط الدعوية للذكاء الاصطناعي؟
- ما هي الآثار الدعوية للذكاء الاصطناعي؟

أهمية البحث: تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١. يكتسب البحث أهميته من أهمية الوسائل الدعوية الموصلة إلى الدعوة، ونفعها وخدمتها لها.

٢. أهمية توظيف الذكاء الاصطناعي في تحسين العمل الدعوي، ونشر العلوم النافعة.

٣. أهمية الذكاء الاصطناعي في خدمة الدعوة، وتطوير القدرات والمهارات الدعوية للدعاة.

٤. أهمية معرفة الضوابط والآثار الدعوية للذكاء الاصطناعي.

٥. اعتقاد البعض بأن الشريعة الإسلامية تتصادم مع التطور العلمي والتقني، وهذا يستلزم مثل هذه الدراسة التي تزيل هذا اللبس.

أسباب اختيار الموضوع:

١. إثراء المكتبة الدعوية بالعلوم المتنوعة والجديدة، بما يعود على الدعوة بالفائدة.

٢. مواكبة التطور التقني، فيما يخدم الدعوة، ويطورها ويحسن من انتاجها.

٣. حداثة الموضوع وجدته، وعدم وجود دراسة موضوعية تناولت توظيفه وضوابطه وآثاره الدعوية بشكل خاص.

٤. حفظ المؤلفات والخبرات والتجارب الدعوية، مما يسهل الرجوع إليها.

أهداف البحث: حيث يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان كيفية التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي.

٢. بيان الضوابط الدعوية للذكاء الاصطناعي.

٣. بيان الآثار الدعوية للذكاء الاصطناعي.

حدود البحث:

سوف يقتصر البحث في بيان مفهوم الذكاء الاصطناعي، وتوظيفه الدعوي، وضوابطه وآثاره، والتعريف بمصطلحات البحث، ما عدا مصطلح الدعوة، لأنه من المصطلحات المتداولة والمعروفة.

الدراسات السابقة:

بعد المطالعة والمتابعة في المكتبات والمواقع العلمية، ظهر للباحث عدم وجود رسالة علمية مستقلة، تطرقت لتوظيف وضوابط وآثار الذكاء الاصطناعي الدعوية، بنفس المحتوى، مع أن الباحث قد وجد بعض الأبحاث التي تناولت تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي، والأنظمة الخبيرة، والذكاء الاصطناعي، وفي مجالات معينة؛ كالطب والقانون والاقتصاد والمحاسبة، وتطرقت بعض الأبحاث للمجالات الشرعية والدعوية، لكن ذلك في إطار ضيق، ومن هذه الدراسات، ما يلي:

الدراسة الأولى: ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في ضوء التربية الأخلاقية المستنبطة من القرآن والسنة: د. أحمد محمد عقلة الزبون، مجلة العلوم التربوية، العدد الحادي والعشرون، الجزء الأول، ربيع آخر ١٤٤١هـ، والتي استخدم الباحث فيها المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي، لدراسة الضوابط الأخلاقية والاجتماعية والثقافية، في استخدام شبكات التواصل الاجتماعية، المستنبطة من القرآن والسنة، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الضوابط الأخلاقية والاجتماعية والثقافية، عند استخدام شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية.

الدراسة الثانية: الذكاء الاصطناعي وآثاره على حرية التعبير في مواقع التواصل الاجتماعي: د. محمد أحمد سلامة مشعل، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، العدد٧٧، سبتمبر٢٠٢١م، ولم يذكر الباحث المنهج المتبع، لدراسة أثر الذكاء الاصطناعي على حرية التعبير، عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومظاهر إساءة استخدامها، في نشر الكراهية والتمييز العنصري، ومدى تأثير هذه التقنية على حرية التعبير، والضوابط والقيود التي تتحكم في حرية التعبير، خاصة مع تعدد المنصات الرقمية، وكيفية مواجهة وسائل التواصل الاجتماعي للدعوات العنصرية، والخطاب التحريضي، والمعلومات المضللة، والاخبار المزيفة، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن الحقوق والحريات ليست بمنأى عن التأثر بتقنيات الذكاء الاصطناعي، وأن مواقع التواصل الاجتماعي بيئة خصبة لانتشار خطاب العنف والكراهية، وأنها أصبحت ساحة من ساحات الحرب بين القوى الكبرى،

وأنها قد تؤثر سلبيا على حرية التعبير، وان الحل الأمثل هو الاستعانة بالذكاء الاصطناعي لمعالجة خطاب الكراهية والعنف.

الدراسة الثالثة: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله: ابتسام عبدالله الحربي، رسالة ماجستير (غير منشور)، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٩-١٤٤٠هـ، والتي استخدمت الباحثة فيها المنهج الاستقرائي، لدراسة الذكاء الاصطناعي، وخصائصه وتطبيقاته وميادينه وإيجابياته، وتوظيفه في الدعوة إلى الله، وقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن تقنيات الذكاء الاصطناعي تساعد الدعاة في ابتكار أحدث الوسائل الدعوية، وتنويعها، وأهمية توظيفها في الدعوة إلى الله، مع التزام الضوابط التي تحفظ الداعية من الوقوع في المحظور، وأن لهذه التقنيات إيجابيات يجب الاستفادة منها، وسلبيات يجب معرفتها والحذر منها.

الدراسة الرابعة: الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله: أ. روابي بنت محمد الصاعدي ود هند بنت مصطفى شريفي، مجلة القلم، السنة العاشرة، العدد الثامن والثلاثون، يوليو– أغسطس ٢٠٢٣م، والتي استخدم الباحث فيها المنهج الوثائقي والاستقرائي لدراسة الأنظمة الخبيرة وأنواعها ومراحل بنائها، وأهميتها في الدعوة، والمهارات اللازمة لها، وكيفية الانتفاع منها في المجالات الدعوية التي يمكن استخدامها فيها، والمعوقات التي تحد من توظيفها، والحلول للتغلب على هذه المعوقات، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن للأنظمة الخبيرة منافع دعوية إذا وظفت في المجال الدعوي، وأنها لا تزال في بدايتها، وأنها لا تخلو من العوائق والصعوبات التي تحد من توظيفها الدعوي.

والفرق بين هذه الدراسات وموضوع البحث، أن هذه الدراسات تناولت الذكاء الاصطناعي بشكل عام، ومن اتجاهات مختلفة، وتخصصات متعددة، واستخدمت المنهج الوصفي والاستنباطي والاستقرائي والوثائقي، بحيث لم تستوعب التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، ولا الضوابط والآثار الدعوية له، مع أن الباحث قد استفاد من هذه الدراسات في إثراء البعد النظري، مما أسهم في نضوج الفكرة، والتي أشار إليها الباحث في

مضمون البحث، ولذلك تميزت هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة، أن اتجاهها ينطلق من منظور دعوي وثقافي، يكشف عن كيفية التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، والمجالات الدعوية، التي يمكن التوظيف فيها، وضوابط استخدامه، وآثاره الدعوية، وأهمية الاستفادة منه في نشر الدعوة، والقيم الإسلامية الفاضلة، وأنها الدراسة الأولى التي جمعت التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، وضوابطه وآثاره في بحث مستقل.

منهج البحث:

المنهج المستخدم في البحث؛ هو المنهج الوصفي والاستقرائي، الملتزم بقواعد البحث العلمي، في جمع المعلومات، وتتبعها، واستخراجها، من مصادرها العلمية، ووصف وبناء الإطار النظري لدراسة التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، وضوابطه وآثاره، ووصف هذه المشكلة والظروف المحيطة بها، بطريقة علمية منطقية، للوصول إلى النتائج التي تتعلق بالبحث، وبلورتها إلى التوصيات والمقترحات التي ساقها الباحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة وأهدافها تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأهميته وأسباب اختياره، وأهدافه وحدوده ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث التمهيدي: وفيه بيان مفاهيم البحث:

المبحث الأول: التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجانب النظمي والإداري.

المطلب الثاني: الجانب الفكري والدعوي.

المطلب الثالث: الجانب القيمي والأخلاقي.

المبحث الثاني: الضوابط الدعوية للذكاء الاصطناعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الضوابط الدعوية.

المطلب الثاني: الآداب الدعوية.

المبحث الثالث: الآثار الدعوية للذكاء الاصطناعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار الدعوية الإيجابية.

المطلب الثاني: الآثار الدعوية السلبية.

المبحث التمهيدي: بيان مفاهيم البحث

أولاً: مفهوم الذكاء الاصطناعي:

الذكاء الاصطناعي لغةً: الذكاء مأخوذ من شدة وهَجِ النارِ؛ يقال: ذكيتُ النارَ إذا أتممتُ إشعالَها، ويدل على حدة الفؤاد، وسرعة الفطنة، وجودة الفهم، تقول: قلب ذكي، وصبي ذكي، إذا كان سريع الفطنة، ويقال: ذكا يذكو ذكاءً، فهو ذكيٌّ، ويقال: ذكُوَ قلبُه يذكُو إذا حيَّ بعد بلادةٍ، فهو ذكيٌّ على فعيلٍ، والذكاء في الفهم يدل على ملكة راسخة في النفس، تصقل بمهارة التحليل واستخراج النتائج والحلول(١)، وأما اصطناعي فهي مأخوذة من صنعه يصنعه صنعاً، فهو مصنوع، والصناعةُ: حِرفةُ الصانِع وصنعته، تسمى صَّنْعة، والمصانعُ: ما يصنعُه الناسُ من الآبار والأَبنية والحصون وغيرها، والاصطِناع: افتعالٌ من الصنيعة، وهي العطيةُ والكرامةُ والإحسان، واستصنعَ الشيءَ: دعا إلى صنعه، واصطنعَه: اتَّخذه، قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي أَنِ {طه/٤١}، أي اخترتكَ لإقامة حجتي، وقيل: ربّيتكَ لخَاصة أَمري الذي أَردته، وَقال تَعَالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي أَنِ {طه/٣٩}، قِيلَ: لتغذى وتربَّى بمَرأى مني، يقال: صنع فلان جاريته إذا غذاها ورباها، وصنع فرسه إذا قام بعلفه وتسمينه، وتصنَّعت المرأَة إذا صنعت نفسها، وامرأَة صَناع اليد أَي حاذِقةٌ ماهِرة، ورجلٌ صنعُ اليدِ، أَي صانعٌ حاذِقٌ، يقال: رجل صنع، وامرأَة صناع، إذا كان لهما صنعة يعملانها بأَيديهما ويكسبان بها، وقومٌ صَناعيةٌ أَي يصنعون المال ويسمِّنونه، ورجلٌ صنعُ اللسان، يقال ذلك للشَّاعر، ولكل بيِّن، مما يدل على صناعة الشيء بعناية(٢).

الذكاء الاصطناعي اصطلاحاً: يعد الذكاء الاصطناعي شكلا من أشكال الحوسبة والأنظمة الذكية، التي تحاكي العقل البشري، بما تجمعه من معلومات، وتصاميم وبرامج حاسوبية متطورة، تحاكي الذكاء البشري، وعندها القدرة على أداء المهام والأنشطة التي تحتاج إلى إدراك وفهم وتفكير وكلام وسمع وتعلم وحركة، وتحليل بيانات، ومحاكاة

---

(١) انظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ). (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، (١٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، المرجع السابق، (٨/٢٠٨ – ٢١٣).

القدرات العقلية للبشر، بأسلوب منطقي ومنظم[١]، مما يعني أن الذكاء الاصطناعي، عبارة عن: **"الآلات والحواسيب والبرمجيات، التي تكتسب صفة الذكاء، وعندها القدرة على الفهم والتفكير والإدراك، والقيام ببعض مهام الإنسان"**، وتستخدم في تنفيذ الأعمال، وتقديم النصائح والحلول، واتخاذ الإجراءات والقرارات، بسرعة وسهولة.

ثانياً: مفهوم التوظيف:

التوظيف لغة: من الفعل وظف، بمعنى إلزام الشيء، ووضعه في مكانه، من الوظيف والتوظيف والمواظفة والاستيعاب والمؤازرة والملازمة والتعيين والتقدير، حيث يقال وظف فلانا توظيفا، إذا تبعه، ووظف له الرزق، ولدابته العلف، ووظف على الصبي حفظ آيات من القرآن، أي عيّن وقدر له وقتا محددا[٢]، بمعنى أن التوظيف لغة يدل على كل ما يُقّدر ويحدد من عمل وطعام ورزق، وغير ذلك، في زمن معين، وبمعنى الخدمة المعينة، والالتزام، والحفظ والمتابعة.

التوظيف اصطلاحاً: يأتي بمعنى الاستثمار والاستلهام والاستخدام والاستدعاء والاستيحاء، وكلها تدور حول الاستفادة من الشيء، أو الفائدة المعنية التي يحققها الشيء، أو بمعنى الأسلوب أو الطريقة للحفظ والملازمة، والعمل الخاص والمميز، لعضو في مجموعة مرتبطة الأجزاء ومتضامنة، كالوظائف الفسيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية[٣].

---

(١) انظر معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وعبدالحميد عمر، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، (٨١٨/١)، الذكاء الاصطناعي وآثاره على حرية التعبير في مواقع التواصل الاجتماعي، د. محمد أحمد سلامة مشعل، (مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، العدد ٧٧، سبتمبر ٢٠٢١م)، (٤٤٨-٤٤٩)، الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في أثناء جائحة كورونا وآثاره السلبية على المنظومة الأخلاقية، حنان محمد إبراهيم عوض، (مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد ٨، العدد١، ٢٠٢٣م)، (ص١١٢)، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، د. عادل عبدالنور، (مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، السعودية، ٢٠٠٥م)، (ص٧)، تطبيقات الذكاء الاصطناعي والربورت، د. احمد سعد علي البرعي، (مجلة دار الإفتاء المصرية، المجلد١٤، العدد: ٤٨، (ص٢٣).

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، (٦٤٩/٢)، القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيرزو آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، (ط٨، مكتب تحقيق التراث ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ)، (ص١٧٦٤)، مادة وظف.

(٣) انظر أسس التصميم، روبرت جيلام سكوت، ت: محمد محمود يوسف، (القاهرة دار النهضة، ١٩٦٨م)، (ص٧)، معجم المعاني للمترادف والتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعبير، نجيب إسكندر، (بغداد، مطبعة الزمان، ١٩٧١م)، (ص١٠٢)، المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، (القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م)، (ص٢١٥)، التراث والسرد، حسن علي المخلف، (الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ٢٠١٠م)، (ص٢١٢).

ثالثاً: مفهوم الضوابط:

الضـوابط لغـة: جمـع ضـابط، مـن ضـبط يضـبط ضـبطا فهـو ضـابط، بمعـنى الحفـظ والحـزم، أي حفظـه حفظـا بليغـا، وبمعـنى الإتقـان والإحكـام، يقـال: أحكـم الشـيء واتقنـه، ويقـال: ضـبط الـبلاد، أي قـام بأمرهـا قيامـا حازمـا، لـيس فيـه نقـص، ويطلـق الضـابط علـى الحكـم الكلـي المنطبـق علـى جزئياتـه، وعلـى مـا يضـبط ويـنظم مـن المبـادئ والقواعـد، وعلـى رجل الشرطة، الضابط القوي الشديد [١].

الضـوابط اصـطلاحا: تأتي بمعـنى الأمـر الكلـي الـذي ينطبـق عليـه جزئيـات كثـيرة، أو مجموعـة القـوانين والمواثيـق الـتي تـنظم العمـل بـين فئـات معينـة، وقـد يطلـق الضـابط علـى الشـروط والواجبـات، وهـذه القواعـد والأحكـام والشـروط والواجبـات، مسـتنبطة مـن القـرآن والسـنة، وقـيم المجتمـع الإسـلامي، وهـي عبـارة عـن: "جملـة مـن القواعـد والأحكـام الـتي يلتـزم بهـا الإنسان في تصرفه وتعامله مع غيره"[٢].

رابعاً: مفهوم الآثار:

الآثار لغـة: جمـع أثـر وأثـور، بمعـنى مـا بقـي مـن رسـم الشـيء، وإبقـاء العلامـة في الشـيء، والعـزم علـى فعـل الشـيء، واقتفـاء الأثـر وتتبعـه، ونقـل الخـبر والحـديث وروايتـه، وتفضـيل الـنفس علـى الغـير، يقـال: أثـر في الأرض يـؤثر تأثـيرا؛ أي أبقـى فيهـا رسـما وشـكلا، ويقـال: أثـر فيـه؛ أي تـرك فيـه أثـراً، وتأثـر الشـيء؛ أي ظهـر فيـه الأثـر، ويقـال للطريـق المسـتدل بـه عليـه مـن تقـدم آثار [٣]، ممـا يـدل علـى أن الأثـر لغـة يـدور حـول بقيـة الشـيء، ورسمـه

---

(١) انظـر لسـان العـرب، ابـن منظـور، مرجـع سـابق، (٥٠٩/٢)، القـاموس المحـيط، الفـيروز آبادي، مرجـع سـابق، (ص٨٧٢)، المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ط٣، (المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ)، (ص٤٨٧).

(٢) انظـر معجـم مصـطلحات العلـوم الشـرعية: مجموعـة مـن المـؤلفين، بإشـراف: مدينـة الملـك عبـدالعزيز للعلـوم والتقنيـة، ط٢، ١٤٣٩هـ -٢٠١٧م، (٤٧٢/٢)، القواعـد والضـوابط الفقهيـة عنـد ابـن تيميـة، عبدالسـلام بـن إبـراهيم بـن محمـد الحصـين، (القـاهرة، دار التأصـيل، ٢٠٠٢م)، (٧٢/١)، القواعـد والضـوابط الفقهيـة التعريـف بهمـا، والتفريـق بينهمـا، أهميتهمـا، نشـأتهما، علـي خضـر محمـد الغامـدي، (مجلـة الدراسـات الإسـلامية والبحـوث الأكاديميـة، العـدد٨٠)، (ص٨٠)، ضـوابط اسـتخدام شـبكات التواصـل الاجتمـاعي في ضـوء التربيـة الأخلاقيـة المسـتنبطة مـن القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة، د. أحمد محمد عقلة الزبون، (مجلة العلوم التربوية، العدد٢١، ربيع الآخر، ١٤٤١هـ، الجزء١)، (ص٤٠١).

(٣) انظـر مختـار الصـحاح، زيـن الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن أبي بكـر بـن عبـد القـادر الحنفـي الـرازي (ت ٦٦٦هـ)، المحقـق: يوسـف الشـيخ محمـد، ط٥، (المكتبـة العصـرية – الـدار النموذجيـة، بـيروت، صـيدا، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)، (ص١٣)، القـاموس المحـيط، الفـيروز آبادي، مرجـع سابق، (٣٤٥/١)، لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، (٥/٤-٧)، مادة أثر.

وظهوره، ورواية الخبر، وترك علامة في المؤثر فيه، سواء كانت العلامة حسية كضربة السيف أو معنوية كالتطبع.

الأثر اصطلاحاً:

علامة على وجود الشيء، وبقاء رسمه، والنتيجة المترتبة على التصرف، من حكم وقضاء، ونقل الحديث والخبر، واللوازم المعللة بالشيء والتأثير على الغير، من ناحية الأفكار والمشاعر والسلوك(١)، مما يعني أن الآثار هي عبارة عن: العلامة الباقية في الشيء، والنتيجة الحاصلة من الشيء.

خامساً: مكانة الذكاء الاصطناعي وأهميته:

في ظل التطور التقني والرقمي، وما نتج عن العقل البشري من تطور وإبداع، يجدر بالمسلمين أن يكونوا على اطلاع مستمر على التقنيات الحديثة(٢)، خاصة وأن علماء الذكاء الاصطناعي يصرحون بأن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يُطوّر ليكون له إحساس، حيث يشير المختصون بالذكاء الاصطناعي إلى قدرة الأجهزة الحاسوبية والبرامج الآلية على تنفيذ مهام تشابه أنشطة البشر، من خلال استنتاج البيانات، واتخاذ القرارات الذكية، كما صرح بذلك خبراء الذكاء الاصطناعي، بالقول: إن الجهود التي تبذل لتطوير آلات لها قدرة التفكير، وتُشكل تهديدا وجوديا للجنس البشري، وأن الاشكال البدائية من الذكاء الاصطناعي التي طورت الى الآن اثبتت فائدتها، وأن بعض نتائج تطوير تقنية الذكاء الاصطناعي تعادل ذكاء البشر أو تتفوق عليه، وأن هذه الآلات الذكية قد تحل مكان البشر، وبذلك يخسر الملايين منهم الوظائف التي كانوا يقومون بها، وأن الذكاء الاصطناعي من "أكبر التهديدات الوجودية" على المدى الطويل(٣)، وإن تطوير روبوت يشبه الإنسان، من المفترض عند اكتماله أن يكون قادرا على فهم ما نريده، وفهم الطريقة التي يسير بها

(١) انظر التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، (مصر، القاهرة، دار عالم الكتب، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، (١/ ٣٤)، التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، (ص٩).

(٢) انظر مخاطر الذكاء الاصطناعي على الامن ومستقبل العمل، أوسوندي أ.أوسوبا ووليليام ويلسر الرابع، مرجع سابق، (ص٢).

(٣) انظر بي بي سي أونلاين، على الرابط: https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2014/12/141201_stephen_hawking_artificial_intelligence (٣ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٤م)، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٣/٩/٣٠م

العالم، ويمتلك المهارات اللازمة لتنفيذ أوامرنا[١]، وإن الروبوت بات يتمتع بقدرات الإدراك والتعبير عن الأفكار والمشاعر، ومزود بأحاسيس البشر، ويستطيع أن يشعر ويضحك ويلعب ويحزن ويغضب، ولو وصل الروبوت إلى هذه الدرجة من الوعى، فسيطور نفسه ذاتياً، لأنه سيمتلك تلك القدرة[٢]، خاصة وأنه قد أثبت كفاءته في مجالات متعددة؛ كالطب والتعليم، والأعمال التجارية والصناعية، والنقل، وغيرها، وفهم طبيعة الذكاء الإنساني، ومحاكاة سلوكه الإنساني المتميز بالذكاء، بحيث يتمكن البرنامج من اتخاذ القرارات المستقلة، دون الرجوع إلى مستخدمه، وتعلم الآلة، والتعلم العميق، ومعالجة اللغة الطبيعية، وتحليل البيانات والتعرف على الأنماط، ما يعني أن الروبوت سيكون صاحب قرارات ذاتية يتخذها لنفسه، ويطورها بحسب أصل البرمجة، مما قد يؤدي إلى إحداث الضرر بالبشر، واستخدام الاحتيال الاوتوماتيكي، والخداع البصري والسمعي، واختراق الخصوصيات، ونشر الشائعات، ومراقبة الناس، وتفاصيل حياتهم، والتعرف على الملامح والصورة والصوت، وتزييفها للإضرار بالأفراد والشركات والهيئات، أو شن الحروب الالكترونية، وتعطيل البُنى التحتية للدول، وهذا ينذر البشرية بخطر كبير، لا سيما أن أصحاب تلك البرمجيات لا يحملون دينا ومروءة وأخلاقا تضبطهم وتردعهم[٣].

المبحث الأول: التوظيف الدعوي للذكاء الاصطناعي

بسبب التطور التقني والرقمي، وظهور التقنيات الحديثة، فإنه يجدر بالمسلمين أن يستفيدوا منها، ويقوموا بتوظيفها في العمل الدعوي، من خلال الاستفادة من هذا التطور التكنولوجي، بابتكار وسائل دعوية حديثة، تخدم الدعوة، وتساهم في جودة اعمالها، وتحسين أدائها، وزيادة إمكاناتها وكفاءتها، وعدد المتأثرين بها، وحمايتها من أعدائها، وتخفيف الضغوط التي تستنزف طاقة الدعاة وقدراتهم، دون المساس بالقيم الإسلامية[٤]،

(١) انظر بي بي سي أونلاين، على الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/articles/c03jnkjwr69o
(٣٠ أغسطس/ آب ٢٠٢٣م)، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٣/٩/٣٠م.

(٢) انظر العربية، على الرابط: https://www.alarabiya.net/politics/2022/06/16، والقبس على الرابط: https://www.alqabas.com/article/45279، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/٩/٣٠م.

(٣) انظر توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (١١٠-١١٣).

(٤) انظر المرجع السابق، (٢١- ٣٣).

خاصة وأن الذكاء الاصطناعي يستطيع القيام بالمهام الدعوية، وحفظها وتعليمها وتطبيقها وتطويرها، وإيصالها لجميع البشر، حسب متطلبات العصر، وذلك لما يتسم به من السرعة في أداء العمل، مقارنة بالعمل البشري، وتوفيره للوقت والجهد، وتتسم قرارته بالاستقرار والثبات، ولا يتأثر بالعوامل النفسية والاجتماعية، لدى البشر، التي تَحد من اتخاذ القرار، ولذلك يجب استثمار هذه التقنية وتطبيقها في الأنظمة الدعوية[١]، لما تحويه من إمكانيات هائلة، والجدير بالمؤسسات الدعوية أن تدرس هذه التقنيات، وتوظفها في المجالات الدعوية، وهو ما سنتكلم عنه في المطالب التالية:

المطلب الأول: الجانب النظمي والإداري:

النظم الإسلامية عبارة عن مجموعة من المبادئ والأحكام الشرعية، التي تقوم عليها حياة الناس، وبها تنتظم أمورهم وشئونهم، في دينهم ودنياهم [٢]، ويمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في هذا المجال، من خلال:

الفرع الأول: إدارة الموارد البشرية والمالية، ومتابعتها وتقسيمها وتوزيعها، ومعرفة نتائجها، وتحليل متطلباتها، وتحسين جودتها، وتطوير أداء ومهارات وخبرات ومؤهلات الإداريين، وتقييم وتحليل أدائهم، وانتظامهم وانضباطهم بطرق أكثر كفاءة، ومعرفة احتياجاتهم، ومعرفة المشكلات التي تواجههم، وإعطاء الحلول المناسبة لهم، وتحليل تقارير وبيانات الرواتب والمكافآت [٣].

الفرع الثاني: التخطيط، ووضع الاستراتيجيات، ومعالجة خطط التنمية والتطوير،

---

(١) عبارة عن مجموعة من الأحكام والقواعد والتشريعات والأسس المستمدة من الشريعة الإسلامية، الهادفة إلى تنظيم حياة الناس، في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والإدارية، انظر مذكرة مادة الثقافة الإسلامية: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، بدون، (ص١)، التعريف بالنظم الإسلامية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، بدون، (ص١)، الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله، روابي بنت محمد الصاعدي وهند بنت مصطفى شريفي، (مجلة القلم، السنة العاشرة، العدد٣٨، يوليو- أغسطس ٢٠٢٣م)، (٣٠٤-٢٠٥).

(٢) انظر مدخل لدراسة النظم الإسلامية، د. مفرح سليمان القوسي، (مجلة الدرعية، السنة السابعة، العدد السابع والثامن والعشرون، رمضان ذو الحجة ١٤٢٥هـ - أكتوبر – يناير ٢٠٠٥م)، (ص ٣٦١)، بتصرف.

(٣) انظر الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله، روابي بنت محمد الصاعدي وهند بنت مصطفى شريفي، مرجع سابق، (ص٣٠٦)، توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله: ابتسام عبدالله الحربي، مرجع سابق، (ص٥٩).

وتصنيف وتحليل وتقييم وتنفيذ ومتابعة الموارد البشرية والمالية، بما يفيد المؤسسات الدعوية، في متابعة وتنمية مشاريعها، والتنبؤ واستنتاج النتائج المرجوة، من التخطيط والاستراتيجيات المتبعة (١).

الفرع الثالث: بناء قاعدة بيانات قوية، لموارد وإدارة المؤسسات الدعوية، وتكييف القوانين والأنظمة والسياسات، بما يتناسب مع المجال الدعوي، والبحث والتطوير الابتكاري، وإنشاء الحكومة الإلكترونية، واتخاذ القرارات الدعوية المناسبة، وحل المشكلات العالقة، بما توفره من بدائل وحلول، اعتمادا على قاعدة المعرفة المدخلة، وفرض العقوبات الرادعة على من يستخدمها بطرق سلبية، ويسيء للدعوة ويشوهها (٢).

الفرع الرابع: إدارة النظام السياسي والاقتصادي، للحكومات الإسلامية، والعمل على تحسين أداء الأنظمة المصاحبة لعملها، باستخدام الإدارة الالكترونية، في أنظمتها القضائية والتشريعية والاجتماعية والأمنية، وتضمين استراتيجية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي ضمن الخطط الاقتصادية والتنموية، لما لها من قيمة إضافية في حجم النمو الاقتصادي، وزيادة الإنتاج والطلب على المنتجات والخدمات، وكفاءة القوى الدعوية، وتخفيض التكاليف والمخاطر، ورفع المؤشرات القياسية التنافسية، وتطوير الأسواق، وجعلها ذات قيمة اقتصادية عالية(٣).

المطلب الثاني: الجانب الفكري والدعوي:

الفكر الإسلامي هو عبارة عن مجموعة من المعارف والعلوم، واجتهاد العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف، في إطار المبادئ الإسلامية؛ عقيدة وشريعة وسلوكا(٤).

ولأن الذكاء الاصطناعي اقتحم الساحة العلمية والتعليمية، وغير طرائق التعليم والتعلم، واحتوائه على ثروة هائلة من العلوم والمعارف والمهارات المتعددة والمختلفة، وقدرته

---

(١) انظر الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله، روابي بنت محمد الصاعدي وهند بنت مصطفى شريفي، مرجع سابق، (ص٣٠٦).

(٢) انظر المرجع السابق، (ص٣٠٦).

(٣) انظر المرجع السابق، (ص٣٠٦).

(٤) انظر الفكر الإسلامي المفهوم المصادر الخصائص التحديات – دراسة مقارنة، د. محمد بحر محمد حسن، (مجلة أسيوط لبحوث الدراسات الإسلامية، العدد١، يناير ٢٠١٩م)، (ص ٢٦٨).

على جعل الواقع الافتراضي كالواقع الحقيقي، وتوظيفه جميع الوسائل والأساليب، والحواس البشرية، وجذب الانتباه، والتشويق والتفاعل، وترسيخ المعارف وتعميقها في العقول، وبقاء آثارها، وظهور التعلم الالكتروني، والتعليم عن بعد، فصارت الاستفادة منه في تسهيل العلوم، وغرس القيم والمفاهيم الإسلامية، مهمة من المهمات الدعوية اللازمة، التي يجب العمل عليها، وتطويرها بما يتواكب مع متطلبات العصر، وتوظيفه في بناء قاعدة إسلامية معرفية قوية، تحتوي المصادر والمراجع، وتنشر العلوم والمعارف الإسلامية الصحيحة، وتفند الشبهات والأباطيل(١)، فقد وجب الاستفادة منه، وتوظيفه في الجانب الفكري والدعوي من خلال:

الفرع الأول: حفظ الفكر الإسلامي، ومصادره الشرعية، ومعارفه العلمية والإنسانية، وخبراته الحضارية والتاريخية، ودمج العلوم الإسلامية الشرعية بأنواعها، في الآلات والحواسيب الذكية، وتعليمها وغرسها في عقول المستهدفين، وتزويدهم بالمبادئ والقيم الإسلامية العليا، وإكسابهم العلوم والمعارف والمهارات والخبرات الإنسانية، التي تتوافق مع قيم الإسلام، ومعاييره ومقاصده، وتطوير المجتمع الإسلامي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وفكريا، وحمايته من الانحراف والانزلاق، ورد الشبهات ودحضها، وتقديم الاستشارات الدعوية(٢)، والعناية بالنصوص والمصادر الأساسية الثابتة، التي لا يناقضها الاجتهاد، مع احترام قواعد الاجتهاد، لأنها أداة التواصل بين النصوص الثابتة، والمصالح المتجددة.

الفرع الثاني: نشر الدعوة والثقافة الإسلامية، ومعارفها النظرية والكونية والسلوكية، وبرمجتها آليا إلى اللغات المختلفة، وإيصالها لكل البشر، بجميع لغاتهم وأجناسهم وألوانهم، والسعي لأن تكون سائدة، ومثمرة ومؤثرة، في الأوساط العلمية والثقافية والفكرية، ورد الشبهات التي تفسد الدين والخلق، وتحرف الفرد والمجتمع والإسلامي عن مبادئه وقيمه وأخلاقه(٣)، من خلال توظيف الذكاء الاصطناعي لتعليم القران الكريم وحفظه، وتعاليم

---

(١) انظر توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (٧٩-٨٣).

(٢) انظر الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله، روابي بنت محمد الصاعدي وهند بنت مصطفى شريفي، مرجع سابق، (٢٠٦-٢٠٧)، توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (ص٧٩)، خصائص الفكر الإسلامي، محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، (دمشق، دار الأوزاعي، بدون)، (ص٢٦).

(٣) انظر توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (٦٦-٦٩)، (٧٩-٨٠).

الدين واللغة العربية، ورفع جودة الحياة، وخدمة المجتمع في المجال الدعوي والثقافي.

الفرع الثالث: تحليل النصوص، وتفسيرها وترجمتها، بلغة المدعوين ونوعيتهم، والتعرف على احتياجات الدعاة والمدعوين وميولهم، وتقديم الفتاوى والنصائح لهم، فيما يسهم في تحقيق المصلحة الدعوية، كما في تقنية سكيل[١] للحوسبة الفقهية، التي تعمل على معالجة الفقه الإسلامي، واسترجاع الحكم الفقهي، والإجابة على الأسئلة الدقيقة المتناثرة، ومعرفة الأشباه والنظائر، واستخراج القواعد الفقهية، وربط المعارف الفقهية بأدلتها[٢].

الفرع الرابع: تدريب الدعاة وتأهليهم، وتوفير التفاعل الإيجابي، والتطبيق العملي للمعارف والمهارات الدعوية المكتسبة، ومساعدتهم على استرجاعها، وتطبيقها في المواقف الدعوية المتعددة، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم الدعوية وتطويرها، بما يخدم الدعوة، ويرتقي بالعمل الدعوي [٣].

المطلب الثالث: الجانب القيمي والأخلاقي:

القيم الإسلامية عبارة عن فضائل دينية وخُلقية واجتماعية، تقوم عليها حياة المسلمين قياما صحيحا، ينشأ عليها المسلم، وينطبع بها انطباعا يبعث في نفسه الالتزام والانضباط والعمل والسلوك، والتخلق بالأخلاق الحسنة، مع الآخرين، ومن خلالها يحكم على الأفكار والأشخاص والأعمال والأفعال، ويعرف الحسن منها والقبيح [٤]، ولنشر هذه القيم، وتعميمها على المستوى العالمي، يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في هذا الجانب،

---

(١) هو عبارة عن نظام يقوم بتسهيل وتنظيم عملية إدارة الأشياء، بطريقة فعّالة وبسيطة، كبرمجة الفقه الإسلامي على الحواس، باستخدام نموذج هيكلي مستوحى من علم أصول الفقه، يستطيع إصلاح بالروابط الدلالية بين عناصر المعرفة، انظر: تقنية سكيل الذكية للحوسبة الفقهية: الأسس والتطبيقات: د. أحمد عباس مبروك ود. رقية حسين فلاتة، المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، المجلد٨، العدد٢، يونيو ٢٠٢٠م، (ص١).

(٢) انظر الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله، روابي بنت محمد الصاعدي وهند بنت مصطفى شريفي، مرجع سابق، (ص٣٠٨).

(٣) انظر المرجع السابق، (ص٢٠٧).

(٤) انظر القيم الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الشامل وتحقيق السلم الاجتماعي- دراسة تأصيلية تطبيقية، محمد سليمان المومني، (الأردن، وزارة الأوقاف وشؤون المقدسات الإسلامية، العدد ٢٣، يونيو ٢٠١٩م)، (ص٨٤٩)، القيم الإسلامية وسبل تعزيزها – قيمة اتقان العمل أنموذجا، د. رجاء بنت سيد علي المحضار، (مكتبة نور، ١٤٣٨هـ)، (ص ١٠).

من خلال، الحفاظ على:

الفرع الأول: القيم الدينية، العقدية والعبادية والتشريعية والسلوكية، والتعبير عن قيم المجتمع الإسلامي، وأصالته وتراثه الفكري والعقائدي، وجعله النموذج المثالي الذي يجب اتباعه، وتجديد الخطاب الديني بأسلوب محفز، قائم على التشجيع والمكافأة، واتباع الطرق الصحيحة، وتصحيح السلوك السيء، وتعميق الثقة لدى المدعوين، بالمنهج والقيم والمبادئ الإسلامية، واستقطاب أحاسيسهم ومشاعرهم، وبناء معتقداتهم وفكرهم وقيمهم وسلوكهم على هذه المبادئ والقيم[١].

الفرع الثاني: القيم الاجتماعية، الإسلامية، بتعظيم شأن الحياة الزوجية والأسرية والاجتماعية، وحق الوالدين والأقارب والجيران والمجتمع المسلم، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، ومواساة الآخرين، وترك الجدال والمراء وبذل المعروف، وإغاثة الملهوف، والإصلاح بين الناس، والمشاركة الفاعلة في الاعمال الخيرية التطوعية، ومكانة المرأة والرجل في تحقيق الاستقرار والأمن والسلام والتعاون والتكافل الاجتماعي، وحمايتهم من الاستقطاب والابتذال الخلقي السيء، وتعبئتهم ضد الفساد الأخلاقي، والانحراف القيمي، واشعارهم بالأمان، وتوسيع مداركهم وعلاقاتهم، وإصلاحهم اجتماعيا وأخلاقيا ونفسيا وفكريا، وضبط نزواتهم وشهواتهم ومطامعهم، وحمايتهم من الانانية والأثرة والدونية، وحفظهم وتماسكهم ووحدتهم، وتطبيق هذه القيم في حياتهم[٢].

الفرع الثالث: القيم الأخلاقية، النبيلة، وحسن المعاملة للناس، بالتخلق بأخلاق الإسلام، المتمثلة في الكرم والإحسان والتسامح والتواضع والأمانة والحلم والصدق والحياء والعفة والصبر والبشاشة والمدارة، وطيب الكلام، وحمايتها من التغيير والتبديل، والانزلاق في أوحال الأخلاق الفاسدة؛ كالظلم والفسق والفجور والزنا والشذوذ والخيانة والكذب والسرقة والرشوة والتجسس والغيبة والنميمة، وسوء الظن والعشرة.

الفرع الرابع: القيم البشرية، المتمثلة في العدل والرحمة والمساواة والجمال والنظام والإخاء والكرامة والحرية والشجاعة والانضباط والاحترام، والوقوف مع المظلومين ونصرتهم، والالتزام

---

(١) انظر أثر الإعلام الخيري في نشر قيم الدعوة الإسلامية وتفعيلها، بلجيلالي خيرة، (مجلة البدر، المجلد ١٠، العدد٦، ٢٠١٨م)، (٦٢٠- ٦٢١).

(٢) انظر أثر الإعلام الخيري في نشر قيم الدعوة الإسلامية وتفعيلها، بلجيلالي خيرة، مرجع سابق، (٦٢٠- ٦٢١).

بحق البشر في الكرامة والحرية، والعيش المشترك، وحسن التعامل معهم، دون تفرقة بينهم، على أساس اختلاف النسب، أو الأصل، أو اللون، أو العرق، أو الجنس، ونبذ الشر والحقد والظلم والكراهية والغواية والفساد.

المبحث الثاني: الضوابط الدعوية للذكاء الاصطناعي

هناك تجدد معرفي يتطور كل يوم في العالم، وعلى المسلمين أن يكيفوا أنفسهم مع هذا التطور، ويستغلوه ويوظفوه لمصلحة دينهم ودعوتهم، باستخدام المؤهلات والمهارات اللازمة، لفهم ثقافة المعلومات والاتصالات العصرية، وأساليبها ومتطلباتها، ويراعوا الضوابط والآداب الإسلامية، عند استخدام هذه الوسائل، ولا يذوبون في المعمعة الغربية الغير أخلاقية، ويعرفون مبادئ الإسلام وقيمه، من مصادره الأصيلة الصحيحة، لا من أعدائه الذين يُوظفون الوسائل العصرية للحرب عليه وتشويهه، لأن تسخيرها لا يتحقق إلا بالتمكن من استخدامها واستعمالها، والانتفاع منها.

قال تعالى(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) {الجاثية/١٣}، ونظرا لأن وسائل الدعوة تتجدد بتجدد الزمان والعصر، فقد وجب أن تتواكب مع كل عصر وزمان، وتتلاءم مع كل فئة، وأن تضبط بالضوابط والآداب الدعوية، وهو ما سنتكلم عنه في المطالب التالية:

المطلب الأول: الضوابط الدعوية للذكاء الاصطناعي:

هناك ضوابط ومعايير دعوية، يجب على المسلم أن يراعيها عند استخدمه للذكاء الاصطناعي، وأن يلتزم بها، ولا يخالفها، ومن هذه الضوابط، ما يلي:

أولاً: التحقق من صحة المعلومات المأخوذة من الذكاء الاصطناعي، قبل العمل بها، حتى لا يعمل عملا، أو ينشر منشورا، أو حديثا موضوعا، أو يفهم فهما خاطئا، وفق معلومة أو تصور خاطئ، فتثار الفتنة والشبهة في عقله وفكره، وعقول وأفكار غيره، ممن تأثروا بهذه المعلومات الخاطئة، وهو يظن أنه يعمل الخير، وذلك لأن وسائل التقنية الحديثة، تعج بالمعلومات المغلوطة، والمفاهيم الخاطئة، التي تؤثر على الفكر والسلوك، ويتأثر بها جهلة الناس وعوامهم، ويتناقلوه بينهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولاتَرْجُوهَا {الإسراء/٣٦}، وقال ﷺ:

"كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع"(١).

ثانياً: التثبت من صدق المعلومات المنشورة في الذكاء الاصطناعي، والتأني قبل نشرها، وعدم الاستعجال في تصديق كل ما يُسمع ويُشاهد، من علوم وأخبار، حتى يتثبت ويتبين من صحتها ومصدرها وأهدافها، ويتجنب نشر الاخبار المضللة، والإشاعات المغرضة، ونشر الفواحش والرذائل، وما يثير الغرائز والشهوات، لأنها تغير النفوس والأخلاق، وتفسد العلاقات، وتشوه السمعة، وتهتك العرض، وتنشر الكذب والشك والبهتان، وتزرع الشقاق والنفاق، وتسبب البلبلة والفرقة، والنزاع بين الناس، حينما يسمعون ويشاهدون الأخبار والقصص والإشاعات المنشورة، فيصدقونها، ويظنون أنها الحقيقة، خاصة إذا جاءت هذه الاخبار والمعلومات عبر وسائل الإعلام، والتواصل الاجتماعي، والذكاء الاصطناعي، أو غيرها من الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة.

قال تعالى(وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا) {النساء/٨٣}.

حيث دلت الآية على وجوب الرجوع إلى المصادر الصحيحة، وأهل الاختصاص وأصحاب الرأي والفكر والعقل، قبل النقل والتصديق، لأن العلماء والمختصين وأهل الرأي أعلم بالمصالح والمفاسد، من غيرهم، والمنهج الإسلامي يمنع نقل الاخبار دون تثبت، أو تصديق الاشاعات، دون تمحيص، وتأكد من صحتها.

ثالثاً: الاستناد إلى المصادر الدعوية الصحيحة، الموافقة للكتاب والسنة، والمنهج الدعوي السليم، من مصادرها الأصلية والموثوقة، وعدم الاعتماد على كل ما ينشره الذكاء الاصطناعي، وعدم الخروج عن مقاصد الشريعة وغاياتها إلا عند الإكراه والاضطرار، وأن تكون خالية من المحاذير الفاسدة، والشبهات والبدع المضللة، وألا تسبب ضررا بالدعوة أو الدعاة، أو تكون سببا في فتنة المدعوين، وإبعادهم عن الدعوة وفهمها، لأن درء المفسدة

(١) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (١/ ١٠/ رقم ٥).

أولى من جلب المصلحة[١].

رابعاً: إتقان العمل الدعوي الإلكتروني، عبر تقنية الذكاء الاصطناعي، وإخراجه بجودة عالية، ومراعاة المعايير العلمية، والأخطاء اللغوية والإملائية والتقنية، وسلامة وصحة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والقواعد الأصولية، والأقوال المأثورة، قال ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"[٢]، لأن عادة الناس اللجوء للأنظمة المختصة، التي تجيد التصميم والاتقان[٣].

خامساً: التركيز على الثوابت والأصول الكلية، في الدعوة والتوجيه والتعليم، عبر تقنية الذكاء الاصطناعي، والإعذار والتسامح في المسائل الظنية، والمتغيرات الدعوية، التي يجوز فيها أكثر من وجه ووسيلة وأسلوب، وعدم التعصب لها، لأن الاختلاف والتنوع في الفروع والأفكار والافهام والآراء والطبائع سنة كونية، وطبيعة بشرية، قال تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ولا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ) {هود/١١٨}، بعكس العقائد والأصول الواضحة، فإن الاجتماع عليها واجب، والخلاف فيها شر، قال تعالى: (وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ) {آل عمران/١٠٣}، فالواجب الاجتماع على هذه الأصول اليقينية، وإعذار الناس والتسامح معهم في المسائل الظنية الخلافية، التي تحتمل عدة أوجه، وتتغير بتغير الزمان والمكان، والحالة والمقصد والهدف.

سادساً: مخاطبة الناس حسب الفهم والإدراك، عبر تقنية الذكاء الاصطناعي، لأن الناس يتفاوتون في مداركهم وأفهامهم، ويختلفون في طبائعهم وميولهم، فمنهم العالم، ومنهم الجاهل، ومنهم الذكي، ومنهم البليد، ومنهم سريع الفهم، ومنهم البطيء، ومنهم المسلم، ومنهم الكافر، ومنهم المؤمن، ومنهم الفاسق والفاجر والمنافق، ومنهم من يقتنع بالدليل النقلي، ومنهم من يقتنع بالدليل العقلي، ولهذا فإن مراعاة هذه الاختلافات، من أهم

---

(١) انظر قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط١، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤٢٠هـ)، (ص٣٤٧).

(٢) مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧ هـ)، المحقق: حسين سليم أسد [ت ١٤٤٣ هـ]، ط١، (دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، مسند عائشة، (٣٤٩/٧/ رقم٤٣٨٦)، وإسناده لين.

(٣) انظر توظيف التقنيات الحديثة في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية، عباس علي ومحمد خالد وسليمان مصطفى، (المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، مجلد٤، العدد٢، ٢٠١٦م)، (ص٢٦).

الضوابط المهمة في إيصال المعلومات الدعوية[١]، قال ﷺ: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"[٢]، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم فتنة"[٣].

سابعاً: مراعاة خصوصية الناس، وحقوقهم الفكرية والمادية والإلكترونية، وعدم التعدي عليها، بالنشر والإعلان والاستعمال، دون إذن أصحابها، أو التشهير والفضيحة، أو القرصنة الالكترونية، لأن التعدي على هذه الحقوق، جريمة نكراء، يستحق صاحبها الذم والعقوبة، وقد نهى الله عن التعدي، فقال تعالى: (**وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**) {المائدة/٨٧}، ومن ذلك حقوق التأليف والاختراع والابتكار، فإنها مصونة شرعا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها، كما في فتوى مجمع الفقه الإسلامي، الصادر عام ١٤٠٩هـ[٤]، ويدخل في ذلك المواقع الالكترونية، فإنها حق خاص، لا يجوز التعدي عليها، ولا قرصنتها، ولا نشر ما فيها، إلا بموافقة ورضا من أصحابها.

ثامناً: تكوين العلاقات الدعوية والاجتماعية، عبر الذكاء الاصطناعي، لأنه وسيلة فاعلة وإيجابية، في نشر الدعوة، وتحقيق وتكوين العلاقات، وحصول التفاهم، وتقريب وجهات النظر، مما يزيد من ضبط التواصل، وتحسين العلاقات الإنسانية، ونشر الخير بين الناس[٥]،

---

(١) انظر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في ضوء التربية الأخلاقية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد محمد عقلة الزبون، مرجع سابق، (ص٤٢٨).

(٢) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، ط٥، (دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، (١/٥٩/ رقم ١٢٧).

(٣) صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مرجع سابق، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، مسلم، (١/١١/ رقم ٥).

(٤) انظر الأحكام الفقهية للتعاملات الالكترونية "الحاسب الآلي وشبكة المعلومات"، عبد الرحمن السند، ط١، (بيروت: دار الوراق، ٢٠٠٤م)، (ص١٣)، ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في ضوء التربية الأخلاقية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد محمد عقلة الزبون، مرجع سابق، (ص٤٣٤)، توظيف التقنيات الحديثة في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عباس علي ومحمد خالد وسليمان مصطفى، مرجع سابق، (ص٢٦).

(٥) انظر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في ضوء التربية الأخلاقية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد محمد عقلة الزبون، مرجع سابق، (ص٤٢٢).

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ) {الحجرات/١٣}.

المطلب الثاني: الآداب الدعوية للذكاء الاصطناعي:

الآداب عبارة عن الأفعال المندوبة والمستحسنة، والمحامد والخصال الحميدة، التي تليق بالشخص، والابتعاد عن الصفات الذميمة [١]، وعما يُحترز به عن الخطأ، والتزام المسلم لما ندب إليه الشرع، في السلوك والتعامل [٢]، وعند نشاطه الإلكتروني، واستخدم الذكاء الاصطناعي، كما يلتزمها في حياته وعلاقاته العادية، ومن هذه الآداب، ما يلي:

أولاً: الصدق والأمانة، في نقل المعلومات والأخبار، عبر تقنية الذكاء الاصطناعي، وعدم الكذب والتلفيق والخداع، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) التوبة: ١١٩، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) {الأنفال/٢٧}، حتى لا يفقد المتابع ثقته بالمضمون الدعوي، أو يفهم المضمون فهما مغايراً [٣]، فتتشوه الدعوة، ويبتعد الناس عنها، ويفقدون ثقتهم بها وبأهلها.

ثانياً: الخطاب الدعوي الحسن، عند استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي، والرفق واللين، والمعاملة الحسنة، لأن تأثيرها كبير في تأليف النفوس، وجذب القلوب، وتقوية العلاقات، وهذا ما يميزالإسلامعن غيره من الأنظمة والأديان، كونه يأمر اتباعه بالرفق واللين، واختيار الألفاظ الحسنة،وتَمثل الأخلاق الحسنة، والدعوة إلى الحقّ، بأحسن صورة وطريقة حسنة، دون قصد المغالبة والعلو،لأنهأدعى لتقبل الرأي وتصديقه، والتأثير على مشاعر المتلقي واستمالته، (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ) النحل: ١٢٥

وقال تعالى: (وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا) الاسراء: ٢٨

قال تعالى: (فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، (٤٣/١).

(٢) انظر التعريفات، علي بن محمد علي الزين الشريف الجرجاني، مرجع سابق، (ص١٥).

(٣) انظر توظيف التقنيات الحديثة في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية، عباس علي ومحمد خالد وسليمان مصطفى، مرجع سابق، (ص٢٦).

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ) {آل عمران/١٥٩}،

وقال تعالى: (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ) {العنكبوت/٤٦}، سواء كانت الدعوة مباشرة، أو التواصل عبر وسائل التقنية الحديثة، والذكاء الاصطناعي.

ثالثاً: التزام الردود الحسنة، وتجنب الردود المتشنجة والجارحة، والألفاظ النابية، عبر تقنية الذكاء الاصطناعي، ووسائل التواصل الاجتماعي، لأنها تفسد الود، وتقطع أواصر المحبة، وتسبب القطيعة والشحناء والبغضاء، وتحدث البلبلة، وتدل على سوء الخلق، قال تعالى: (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا) {الإسراء/٥٣}.

وقال تعالى: (وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) {الأنعام/١٠٨}.

رابعاً: غض البصر، والعلاقات المحرمة، وما يثير الشهوة، ويفسد القلب، وينشر الفساد، ويضعف الإيمان، ويميت الحياء والأخلاق، المنتشرة في التقنيات الحديثة، والذكاء الاصطناعي، كون هذه الوسائل التقنية الحديثة، سهلت التواصل، وتكوين العلاقات، بين الذكر والأنثى، ويغلب فيها الإثارة والتشويق، والتفاعل معها أكبر، وسهولة التواصل بها أسرع وأضمن، ووجود التافهين والأفاكين والكذابين وأصحاب الشهوات أكثر.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ) {النور/٢١}، وقال تعالى: (قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ) {النور/٣٠}، وقال تعالى: (فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا) {الأحزاب/٣٢}.

المبحث الثالث: الآثار الدعوية للذكاء الاصطناعي

الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، وبيانه للناس، واجب المسلمين، قال تعالى:ٱتَّبَعَنِيۖ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ {يوسف/١٠٨}.

حيث دلت الآية على لزوم الدعوة إلى الله، وتبليغ الإسلام إلى البشر، باستخدام الوسائل والأساليب الموصلة لها، ما دامت مباحة، ومن هذه الوسائل في الوقت الحاضر،

التقنيات الحديثة، التي غزت العالم، بوسائلها وأشكالها المختلفة، واخترقت حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والدينية، وأثرت على مجريات الحياة العامة والخاصة، سلبا وإيجابا، وصارت قادرة على محاكاة الطريقة التقليدية، ومن ذلك الذكاء الاصطناعي، الذي يعد من الوسائل العلمية الحديثة، لعلم الحاسوب، ويتميز بتأثيره الإيجابي والسلبي على مختلف جوانب الحياة البشرية، بسبب اتصافه بصفات إيجابية، تجعله قادرا على إنشاء أنظمة وبرامج قادرة على محاكاة الذكاء البشري؛ كالتعلم والاستنتاج والتخطيط والابتكار والإبداع، وغيرها، وتطوير العمل، وإدارته وزيادة كفاءته، ومرونة إنتاجه، وتوفيره الوقت والتكاليف، وتحسين جودة الخدمات والاتصال، وتبادل المعلومات، عبر تطوير الحلول الذكية، والتواصل مع الأنظمة الأخرى، كما أنه يتسم ببعض الصفات السلبية، التي يتخوف منها الناس، ومن ذلك فرض تحكمه في الأعمال والأنظمة والحروب البيولوجية، والتأثير على سوق العمل والوظائف، واستغلال منتجه ومطوره، الغير أخلاقي، في التجسس والتشويه والمحاكاة، والاطلاع على خصوصية الأفراد والهيئات والدول(١).

فكان لا بد من تسليط الضوء على هذه الآثار الإيجابية والسلبية، من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الآثار الدعوية الإيجابية:

للذكاء الاصطناعي آثاره الإيجابية على الدعوة، إذا استطاع المسلمون صناعته وبرمجته وتطويره وتطويعه، وأحسنوا استخدامه، بشكل إيجابي، وأسلوب حسن، لنشر الدعوة وتعليمها وإيصالها إلى جميع البشر، وتعميقها في نفوسهم، وتطبيقها في واقع حياتهم، بطريقة سهلة وميسرة، مما يساعد على تأثر الناس بها، وانتشارها ورواجها، وهو ما سنتطرق إليه في النقاط التالية:

الفرع الأول: بيان حقيقة الدعوة ونشرها:

للذكاء الاصطناعي أثر كبير في بيان حقيقة الدعوة، وتعليمها، والتأثير على المدعوين، من خلال:

---

(١) انظر تطبيقات الذكاء الاصطناعي: مدخل لتطوير التعليم في ظل تحديات جائحة فيروس كورونا (covid-١٩)، عبدالرزاق مختار، (المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد٣، العدد٤، ٢٠٢٠م)، (١٨٢-١٩٠)، مخاطر الذكاء الاصطناعي على الامن ومستقبل العمل، أوسوندي أ.أوسوبا ووليام ويلسر الرابع، (مؤسسة راند، ٢٠١٧م)، (٤-١٧).

أولاً: نشر الإسلام وتبليغه، وإلقاء الدروس والمحاضرات، وتفنيد الشبهات، والوصول إلى فئات وجماهير مختلفة من المستهدفين، في مختلف أنحاء العالم، بكل اللغات واللهجات، واستخدام المنصات الإلكترونية، والروبوتات والتطبيقات والمنصات، والترجمة الآلية، ووسائل التواصل الاجتماعي، وغيرها من التقنيات، التي تعتمد الذكاء الاصطناعي، خاصة في الظروف الحرجة، والقيود التي تفرضها بعض الدول في قوانينها، وتحد من انتشار الدعوة.

ثانياً: تعلم العلوم الشرعية وتعليمها؛ كالقرآن والحديث وعلومهما، والفقه وأصوله، والعقيدة واللغة العربية، وغيرها من العلوم الإسلامية، بواسطة برامج التعليم، التي تستفيد من الذكاء الاصطناعي، لتسهيلها، والتعرف على الكلام، والتحليل الصوتي، والترجمة الآلية، وتصحيح التلاوة، والحفظ والتفسير، والإجابة على الاستفسارات الدينية التي يطرحها المستفتون، كتطبيق [آيات]، ومشروع فتاوى اسئلة وأجوبة، التي تستخدم تقنيات ذكية، لاستخراج المعلومات والتصنيف والتوليد النصي، وتقديم إجابات مبنية على المصادر الشرعية، وتهدف إلى تطوير نظام قادر على إجابة الأسئلة الدينية الشائعة، بشكل آلي وسريع.

ثالثاً: إنشاء المحتوى الدعوي المتنوع والمتخصص، وتطويره بشكل آلي، مدعما بالأفلام والمقالات والفيديوهات والبودكاستات والألعاب والتطبيقات، لجميع المستهدفين، وجذب انتباههم، وزيادة تفاعلهم، وتأثرهم بالرسالة، وإنشاء محتوى دعوي مخصص لكل شخص بناءً على اهتماماته ومستواه ولغته، كتطبيق [أوبتيموس] [1]، لتنظيم المحتوى الدعوي، وإنشاء الرامج المتنوعة والمتخصصة.

رابعاً: إيصال الحقائق بطريقة مبسطة ومشوقة، وتقديم المعلومات الدقيقة والموثوقة عن الإسلام والمسلمين، باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، التي تتميز بعرض الصوت والصورة، والرسوم المتحركة، والواقع المعزز والافتراضي، بشكل جذاب.

---

(١) هو عبارة عن نظام يستخدم الذكاء الاصطناعي، في تنظيم اجراءات دوام الموظفين ومراقبتهم، وينظم إدارة الموارد البشرية والموظفين، في الشركات والمصانع والمؤسسات، انظر الأنظمة الموثوقة: https://www.ts.com.ps/products/4.html، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٤/٦/١٠م.

خامساً: تحسين عمل المؤسسات الدعوية؛ كالهيئات والشركات والجامعات والمساجد، وغيرها، وزيادة انتاجها، وابتكار وسائلها وتنوعها، خاصة المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمشاعر المقدسة، في الحج والعمرة، التي تستخدم الكاميرات الذكية لتتبع وإدارة وتدفقات حركة الحشود البشرية، وأزمات الازدحام، والتبريد والإضاءة والصوت، وكنظام [أذان]، لإدارة أوقات الصلاة والأذان والخطبة، وضبطها حسب الموقع والتاريخ والظروف المحلية، بحيث يزيد من راحة ورضا المصلين والزائرين.

سادساً: تنمية المهارات الدعوية، للدعاة، وتطوير مستوى الإدراك الدعوي، وتوظيفها في الميادين الدعوية التعليمية والصناعية والاقتصادية والصحية، وغيرها، ولتواصل الدعاة فيما بينهم، وتدوين أخبارهم، والاستفادة من خبراتهم، ومساعدة بعضهم البعض، وتنظيم دعوتهم وحياتهم، وكيفية استغلال أوقاتهم، وجداول أعمالهم.

سابعاً: التأثير على المدعوين، ومعرفة أحوالهم، وتعدد اتجاهاتهم وأفكارهم واحتياجاتهم وسلوكهم، والعلم المناسب المخصص والفعّال لهم، وزيادة تفاعلهم وانخراطهم في الدعوة، وتقديم الرعاية الدعوية، والحلول الذكية، لجذب انتباههم، والبحث عن حلول سريعة ودقيقة، للوقاية من الشهوات والشبهات المنتشرة، والمؤثرة عليهم، ومنافسة الدعوات الهدامة، المناوئة للدعوة، والمؤثرة على المدعوين ثقافيا وفكريا وسلوكيا، بوسائل وأساليب متعددة ومتجددة، تجمع بين الصوت والصورة والحركة، ومحاكات الواقع المطلوب دون تكلف، والسرعة في التغيير والتبديل للأساليب، وتطوير مستوى الاستخدام، حسب الحاجة والطلب، ومواجهة الاخطار والمواقف الصعبة، وتجاوز العقبات، وحل المشاكل الدعوية.

الفرع الثاني: تغذية المعلومات الدعوية وتصحيحها:

تتميز تقنية الذكاء الاصطناعي بتخزينها المعلومات الكثيرة، وتزويد الأنظمة الذكية بالمعرفة والبيانات، لتنفيذ المهام، وتحسين الأداء، وزيادة الكفاءة والفعالية، وتحسين الخدمات والمنتجات، وتطوير وابتكار أنظمة ذكية جديدة وملائمة، من خلال اختيار وتجميع وتحليل وتصحيح المعلومات المنتجة والمستخدمة والمناسبة للغرض المطلوب، وضمان جودتها ودقتها وموثوقيتها، وضمان عملها بشكل أخلاقي سليم ومسؤول، ومعرفة

المعلومات الخاطئة أو المضللة والمؤذية[1]، وعلى ضوء ذلك يمكن للذكاء الاصطناعي أن يقوم بتغذية المعلومات وتصحيحها، في المجال الدعوي، من خلال:

أولاً: تغذية المعلومات الدعوية والشرعية، والمبادئ الأخلاقية والقانونية والاجتماعية، والمحافظة على خصوصية المصادر والمستخدمين، واستخدام طرق التشفير والتوثيق والتدقيق لضمان حفظ الحقوق الفكرية الدعوية والشرعية، للمؤلفين والمستفيدين.

ثانياً: التحقق والتتبع للمصادر والمراجع والمعلومات الدعوية، والتأكد من مسؤوليتها وشفافيتها وصحتها وسلامتها وتكاملها واتساقها، وإظهار مصادرها وطرائقها وغرضها وآثارها، وتوافقها مع الكتاب والسنة، والحقائق الموضوعية، وتزويد المستخدمين بإمكانية فهمها، والتحكم فيها، وتصحيح أي أخطاء أو نقص أو تضارب فيها، والإبلاغ بأي أخطار أو عواقب محتملة.

ثالثاً: فهم وتفسير وتصنيف المصادر الدعوية، والبحث عن التشابهات والاختلافات بينها، والتحذير من المصادر المشبوهة أو المخالفة، وتجنب استخدام أو نشر معلومات من مصادر غير معروفة أو مشبوهة أو متحيزة، أو غير موثقة ودقيقة.

رابعاً: تصحيح المفاهيم الدعوية الخاطئة، والأحكام المسبقة، عن الدعوة والدعاة، وتحفيز المدعوين على اتخاذ خطوات إيجابية نحو الإسلام؛ كحفظ القرآن والسنة، والتعلق بالعبادة والمساجد، ومتابعتهم بعد اعتناقهم الإسلام، وربطهم به، وبالدعاة والمسلمين، وتقديم الدعم والمشورة والتوجيه لهم.

خامساً: استخدام المعلومات والمقالات والبيانات العلمية، لتقديم مساهمات علمية جديدة وهامة، وزيادة الابتكار والتعاون.

الفرع الثالث: تحليل النتائج الدعوية، والتنبؤ بدقتها:

يتميز الذكاء الاصطناعي بقدرته الفائقة على تحليل البيانات، وفهمها وتفسيرها، وتوقع الظواهر المختلفة، وحل المشكلات المعقدة، واتخاذ القرارات المستنيرة، بناء على

(١) انظر بيان أحكام وسائل التواصل الاجتماعي وضوابطها ونشر المعلومات والاخبار وتناقلها عبرها بغرض الإنكار أو الإشاعة أو الإساءة، د. محمد يحي حسن النجيمي، مرجع سابق، (٩٧٦-٩٧٧)، توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبدالله الحربي، مرجع سابق، (١٠٥-١٠٩).

المعطيات المدخلة[1]، وعلى ضوء ذلك يمكن تطبيق هذا التحليل والفهم والتنبؤ في المجال الدعوي، من خلال:

أولاً: تحليل وتصنيف وتوليد المتون والروايات والأحاديث الدينية، باستخدام تقنيات التحليل اللغوي، والتوليد النصي، والتعلم العميق، كمشروع "صوت الرسول"، الذي يهدف إلى استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة الحديث النبوي، بحيث يساهم في إعطاء صيغة رقمية لدرجة الحديث، بعد تغذية الذكاء بكتب الأحاديث، والمصطلح والعلل، ومناهج المحدثين، وعلم الرجال.

ثانياً: استخدام تقنيات التحليل والتنميط والتعلم الآلي، لفهم وتحليل احتياجات واهتمامات ومشاكل وتوجهات وسلوك وأداء المدعوين، وتقديم تغذية راجعة، وتوجيهات مخصصة، تتنبأ بالنتائج والمخاطر، وتخصيص الرسائل الدعوية، بناء على احتياجاتهم وخلفياتهم، وتحسين جودة وفعالية الدعوة، وتقييم نتائجها، ومستوى رضا المستفيدين، وتقديم خدمات استشارية وإرشادية مخصصة، وحلول ونصائح شرعية مناسبة، والإجابة الشافية على الأسئلة والشبهات.

ثالثاً: تحليل المقالات والبيانات والرسائل العلمية والأكاديمية، وفحص جميع المعلومات الواردة، والتحقق من دقتها، وتقييم جودتها، وتقديم المراجعات والملاحظات المهمة، والتنبؤ بالاكتشافات والابتكارات الجديدة، في المجالات الدعوية والشرعية، من خلال طرق التحليل اللغوي والإحصائي والرياضي والمنطقي، وإظهار المراجع والأدلة.

رابعاً: تحليل الصور والأصوات والفيديوهات، المضللة والمزورة والمشبوهة، والمثيرة للشهوات والشبهات، وكشفها، والتنبؤ بأثرها على الدعوة والدعاة والمدعوين، ومعرفة مصادرها ومروجيها، وتشخيص علاجها، وكيفية تفنيدها والرد عليها، وبيان أهدافها واستراتيجيتها، وطبيعة أصحابها، وصد هجماتهم، والعمل على عدم الوقوع في شراكهم، وتقديم الحلول المناسبة لذلك[2].

---

(١) انظر توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (١٠٥-١٠٩).

(٢) انظر دور الأنظمة الذكاء الاصطناعي في مكافحة الشائعات الإلكترونية، سعد مفلح حمود الصويلح، السعودية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد٣٩، العدد٢، ٢٠٢٣م، (٨٧-٩١).

خامساً: فحص وتحليل سِير الدعاة، وتدريبهم وتطوير أدائهم، واختيار أفضلهم، وإدارة تنقلاتهم، وتسهيل اتصالاتهم، ومعرفة أوضاعهم، وتوجيههم.

سادساً: مراقبة الموارد المالية للمؤسسات الدعوية والوقفية، وفحصها ومتابعتها بشكل مستمر، ومعرفة العوائق، والبحث عن حلها، وتشخيص الأداء الدعوي والوظيفي، وتحسينه، وإدارة الازمات الدعوية.

الفرع الرابع: توفير الوقت والجهد الدعوي:

الذكاء الاصطناعي يوفر الوقت والجهد في إنجاز الأعمال المطلوبة، في مختلف المجالات والقطاعات، بشكل إيجابي وسريع ودقيق[1]، وعلى ضوء ذلك يمكن تطبيقه في الأعمال الدعوية، توفيرا للوقت والجهد، من خلال:

أولاً: إنجاز العمل الدعوي سريعا، والقيام بالأعمال والمهام الدعوية المتعددة، التي تستغرق وقتًا طويلًا، أو تتطلب جهدًا كبيرًا من الدعاة، للجمع والتحليل والتصنيف، وإجراء التوقعات والتحليلات، وإدارة الأعمال الدعوية ومواردها ومخزوناتها، بسلاسة ويسر.

ثانياً: سهولة وسرعة الوصول للمعلومات الدعوية، وبياناتها، واسترجاعها وتخزينها، بعكس الطريقة التقليدية التي تحتاج إلى جهد ووقت كبير.

ثالثاً: زيادة كفاءة العمل الدعوي، وتحسين جودة وإنتاجية وفعالية عمل الدعاة، وتطويرها وابتكار أعمالها، ورفع كفاءة الإدارات الدعوية، من خلال تقديم حلول سريعة ودقيقة ومبتكرة للمشكلات المعقدة، وتبسيط وتحسين العمليات والإجراءات والمخرجات الدعوية، وخدماتها الإنتاجية، وتقليل الأخطاء والتكاليف، وفتح فرص جديدة لتوسيع الدعوة ونموها، بشكل مضطرد، في كل المجالات، والتأثير على المدعوين، ورضاهم وجذبهم إلى صف الدعوة.

رابعاً: رفع مستوى خدمة المدعوين، والمستهدفين، السائلين والراغبين في الاستزادة من الإعمال والخبرات الدعوية، من خلال تقديم ردود سريعة ودقيقة على اسئلتهم

---

(١) انظر توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (١٠٥-١٠٩)، الحاسبات الآلية وتشغيل المعلومات، روبرت سترن ونانسي ستران، تعريب: سرور علي سرور وعاصم الحماحمي، مرجع سابق، (٧٢/١).

واستفساراتهم، وتفنيد الشبهات العالقة في أذهانهم، وتخصيص هذه الخدمات بناء على احتياجاتهم وتفاعلهم.

المطلب الثاني: الآثار السلبية:

يختلف التعامل مع الذكاء الاصطناعي حسب المجال والهدف، واختلاف شخصية وميول ومعتقدات وثقافة المبرمج والمستخدم والمستفيد، إضافة إلى احتياجه للصيانة الدورية، والتكلفة المالية العالية، للبرمجة والصيانة والتشغيل، والوقت الطويل في إدخال المعلومات والبيانات، وتخزينها وبرمجتها، واستكشاف الأخطاء وإصلاحها، ولزوم وجود الخبراء والمتخصصين، في البرمجة والإصلاح، لصعوبة البرمجة، وتعقيدها[1]، ولذا يجب التعامل مع هذه التقنية بحذر وحكمة، وأن تكون رديفاً للجهد البشري، لا بديلا عنه، والانتباه لأخطارها وآثارها السلبية، التي تصاحب استخدامها، حفاظا على هوية المستخدم ودينه وفكره وقيمه ومبادئه وكرامته، خاصة وأن أثرها السلبي في الوقت الحاضر كبير، بسبب استغلال أعداء الدعوة في تشويهها، وتشويه حملتها ودعاتها، والتأثير على سلوك الناس وقيمهم وأخلاقهم ومبادئهم وقدراتهم وإرادتهم، واستغلاله للتعدي على خصوصياتهم، والتلاعب بهم، والسيطرة عليهم، فكريا وثقافيا وأخلاقيا وسياسيا واقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا، وهدف صانعه ومبرمجه على نشر مبادئه وفكره وثقافته، ومحاربة المبادئ والفكر والقيم الأخرى، ولذا فقد جاء هذا المطلب لبيان الآثار السلبية للذكاء الاصطناعي على الدعوة، من خلال:

الفرع الأول: التثبيط والتشويه الدعوي:

يغلب على الذكاء الاصطناعي أن بعض الشركات المصنعة والمبرمجة له، تتبع جهات تحمل العداء للإسلام، وترغب في تشويهه، وصد الناس عنه، كما أن استخدامه بطريقة سيئة أو غير مسؤولة، فيه بعض السلبيات والمخاطر الدعوية، على الدعوة والدعاة والمدعوين[2]، ومن هذه السلبيات ما يلي:

---

(١) انظر النظم الخبيرة_ النظام الخبير، المعرفة، النظم الخبيرة والاستدلال، ريهام مصطفى عيسى، (الإسكندرية، دار التعليم الجامعي، ٢٠١٧م)، (ص١٦).

(٢) انظر الذكاء الاصطناعي وآثاره على حرية التعبير في مواقع التواصل الاجتماعي، د. محمد أحمد سلامة مشعل، مرجع سابق، (ص٥٠٣)، خوارزميات الذكاء الاصطناعي وأخلاقيات محتوى التواصل الاجتماعي أي دور؟ وأي

أولاً: تشويه حقيقة الإسلام، وصورة الدعوة والدعاة، بصناعة برامج وتقنيات ومعلومات، خاطئة ومزيفة ومضللة وغير دقيقة، وتوظيف الشبهات ضد الدعوة، بقصد تشويهها، والوقوف ضد مبادئها وتعاليمها، وتصوير حملتها بالتخلف والتطرف والإرهاب والرجعية، وربطهم بالعنف والإرهاب، وإثارة العنف ضدهم، وعلى حرياتهم الشخصية، وشن حملات التشهير والافتراء والتحريض ضدهم، وتشويه سمعتهم، وتزوير أقوالهم، والتضييق عليهم، وإنتاج تغريدات أو مقالات أو فيديوهات مزورة باسم المشهورين منهم، تحتوي على كلام مسيء أو خارج عن المألوف أو مخالف للحقائق، واستخدام القرصنة الإلكترونية ضدهم، وصناعة الفيروسات المضرة بهم، كظاهرة (الإسلام فوبيا)، حيث يصور الإعلام الغربي المسلمين بصورة مشوهة، ويظهر عليه التحيز ضد المسلمين، رغم وجود مواثيق أخلاقية، تعتمدها الشركات في منتجاتها، وهذا من شأنه يشوش عقيدة المسلمين، ومفاهيم هويتهم(١).

ثانياً: وجود المحتوى الزائف، والمخالف لأصول الإسلام ومبادئه، من خلال تزوير وتشويه وتحريف المتون والروايات والأحاديث والمصادر الشرعية، وإثارة الشبهات والبدع والخرافات والانحرافات، وبرامج التوليد النصي لإنتاج فتاوى وتفاسير وخطب، مزورة باسم علماء معروفين، أو إضافة أحاديث موضوعة إلى كتب السنة، أو إخراج آيات من سياقها أو تغيير معانيها، مما يشكل خطرًا على سلامة المعلومات، وصحة المصادر والأدلة العلمية، وتشكيك المسلمين بدينهم، وحرفهم عن مبادئهم وأخلاقهم.

ثالثاً: وجود المخالفات والأخطاء الدعوية، مما يؤدي إلى عدم التمييز بين الحق والباطل، والمهم والأهم، والصح والأصح، والضار والأضر، في المجالات الدعوية والشرعية، لأن تقنية الذكاء الاصطناعي عبارة عن آلات وبرامج يمكن التلاعب بها، أو تزوير ما فيها، أو

علاقة؟، د. عائشة كريكط، (مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد٦، العدد٢، ديسمبر ٢٠٢٢م)، (ص٤١٤)، مخاطر الذكاء الاصطناعي على الامن ومستقبل العمل، أوسوندي أ.أوسوبا ووليام ويلسر الرابع، مرجع سابق، (٥-٦)، الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في أثناء جائحة كورونا وآثاره السبية على المنظومة الأخلاقية، حنان محمد إبراهيم عوض، مرجع سابق، (١٢٢-١٢٦).

(١) انظر الإسلام فوبيا، إبراهيم بن محمد الدوسري، (مصر، مجلة الدراسات العربية، المجلد٣٧، العدد٦، ٢٠١٨م)، (٢٩٢١-٢٩٢٥).

تحريفه، خاصة إذا كانت نابعة من قبل جهات غير مؤهلة، أو موثوقة، أو ذات أجندة مشبوهة.

رابعاً: الفهم الخاطئ والسطحي والناقص للنصوص الدعوية، دون البحث عن مصادرها الصحيحة، والتحقق من مقاصدها وأهدافها الدعوية، إضافة إلى تبسيط وتسطيح المعرفة الدينية، والتقليل من أهميتها وقيمتها الدعوية، بتسطيح تفسيرها، وعدم فهم نصوصها وعمقها وتنوعها وتجددها، وذلك لعدم قدرة الذكاء الاصطناعي الخوض في المجالات الخارجة عن برمجته وخبراته وتجاربه، والتعامل مع المواقف المفاجئة والعفوية، بشكل مستمر، دون تدخل مبرمجه وصانعه.

الفرع الثاني: التأثير على القدرات الدعوية:

الذكاء الاصطناعي له تأثير كبير على إرادة الإنسان، ومهاراته وقدراته، والتأثير على مشاعره وأحاسيسه، وحرية اختياره، بشكل حر ومسئول، خاصة عند الاعتماد عليه بشكل كامل أو مفرط [1]، ويظهر تأثيره على القدرات الدعوية، من خلال:

أولاً: التأثير على مهارات وقدرات الدعاة، وعلى عزيمتهم، في إنجاز الأعمال والواجبات، وتحصيل المعرفة وتطوير الذات، وإفقادهم القدرة على التفكير والحلول والابتكار والإبداع بشكل مستقل، لاعتقادهم بعدم ضرورتها، مع وجود تقنية الاتصالات والمعلومات، والذكاء الاصطناعي، مما يؤدي إلى خسارة الكثير من القدرات البشرية، كالتذكر أو التحليل أو التفاوض.

---

(١) انظر مخاطر الذكاء الاصطناعي على الامن ومستقبل العمل، أوسوندي أ.أوسوبا ووليام ويلسر الرابع، مرجع سابق، (٨-١٦)، الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في أثناء جائحة كورونا وآثاره السبية على المنظومة الأخلاقية، حنان محمد إبراهيم عوض، مرجع سابق، (١٢٠-١٢٦)، بيان أحكام وسائل التواصل الاجتماعي وضوابطها ونشر المعلومات والاخبار وتناقلها عبرها بغرض الإنكار أو الإشاعة أو الإساءة، د. محمد يحي حسن النجيمي، مرجع سابق، (٩٧٧-٩٨٠)، خوارزميات الذكاء الاصطناعي وأخلاقيات محتوى التواصل الاجتماعي أي دور؟ وأي علاقة؟، د. عائشة كريكط، (مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد٦، العدد٢، ديسمبر ٢٠٢٢م)، (٤١٤-٤١٩)، توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام عبد الله الحربي، مرجع سابق، (١١٠-١١٦)، استخدام الأنظمة الخبيرة في مجال اتخاذ قرار منح القروض البنكية، بداح عبد الجليل، (الجزائر، جامعة منتوري، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التيسير، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م)، (ص٣٣)، الذكاء الصناعي: عبير أسعد سعد الدين، ط١، (عمان، ١٤٣٣هـ)، (ص٧١).

ثانياً: التأثير على إرادة المدعو، وخفض قدراته وتركيزه، في الفهم والتفكير الذاتي والنقدي، أو المبادرة والمشاركة المسؤولة والفعالة، في اتخاذ القرار المناسب، اتجاه الدعوة، واختيار الحياة والمصير الأفضل، والتلاعب والتحكم بمشاعره وأحاسيسه، وقبول الآراء المخالفة لفطرته وإنسانيته، خاصة إذا اعتمد عليه بشكل كامل أو مفرط، دون مراجعة أو تقييم.

ثالثاً: فقدان روح الإحساس والمشاعر، لدى الدعاة والمدعوين، وخسارة تأثير التواصل المباشر بين الداعية والمستجيب، بسبب فقدان الاتصال البشري أو العاطفي، أو عند مواجهة المخاطر والتهديد والتشويه، وانتهاك الخصوصية، وسرقة البيانات، أو فقدان الفرص والأعمال والوظائف، لأن التفاعل مع آلة أو برنامج لا يمكن أن يحل محل التفاعل مع إنسان حقيقي، لديه مشاعر وخبرات وإحساس، والذكاء الاصطناعي لا يمتلك المشاعر والأحاسيس والقلب والضمير التي يمتلكها الداعية، والتي تميز الإنسان عن غيره.

رابعاً: انخفاض مستوى الالتزام والمسئولية والإخلاص، لدى الدعاة، إذا اعتمدوا على هذه التقنية بشكل كامل أو مفرط، دون اجتهاد أو تحصيل علم أو تطبيق عمل، إضافة إلى إحداث بطالة دعوية في الدعاة، مما يفقد الدعاة عملهم، كدعاة متفرغين للدعوة.

خامساً: خلق نوع من التبعية، لدى بعض الدعاة، والكثير من المدعوين، والتأثر بالثقافات والأفكار والأجندات التي تقف وراء هذه التقنية، من قِبَل المبرمجين والمصنعين، أو المستفيدين من الذكاء الاصطناعي، مما يخلق نوعا من التبعية، والتذبذب الفكري والثقافي، لدى الشريحة المتأثرة به، وقد يسبب التفرقة بين المسلمين، إذا استخدم بشكل حزبي طائفي.

الفرع الثالث: التأثير على الضمائر والقيم الدعوية:

برامج الذكاء الاصطناعي لا تلتزم بمعايير وقيم محددة، كونها تعمل وفق مبرمجها، ولا علاقة لها بقيم أي مجتمع ولا أخلاقه، وليس عليها رقابة، أو محاسبة قانونية، وتتصرف بطرق غير متوقعة أو غير مرغوبة أو غير مسئولة، تضمن سلامة فكر الناس وأمانهم وأخلاقهم وقيمهم، واحترام حقوقهم وكرامتهم وخصوصيتهم، وعندها القدرة على التلاعب بضمائرهم، بطرق وأساليب مختلفة، مما يجعل هذه الأدوات تعمل وفق صانعها ومبرمجها، مما يؤثر على ضمير الإنسان وسلوكه وأخلاقه ومبادئه، من خلال:

أولا: ترويج الفواحش والمنكرات والأخلاق الفاسدة، وإشاعتها بين الناس، والتشجيع

على السلوكيات المخادعة والغير أخلاقية، وتشجيع أصحابها وإشهارهم، وجعلهم قدوات المجتمع، لإفساد أخلاق الأفراد والمجتمع، وحرفهم عن مبادئهم وأخلاقهم وقيمهم، قال تعالى: (وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا) {النساء/٢٧}، وقال تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ) {البقرة/٢٠٥}؛ كالتجسس والتحرش والزنى والشذوذ الجنسي، والتخريب والتصيد والاحتيال، ونشر المحتوى المضلل والمسيء، أو المخالف للقانون، والقرصنة الالكترونية، وسرقة المعلومات، وإفشاء أسرار ومعلومات الأشخاص والهيئات والمؤسسات والدول، وإنزال برامج ضارة، وخلق صراعات أو تهديدات أو مخاطر على أمن الناس واستقرارهم.

ثانياً: إضعاف المبادئ والقيم الدعوية، والتهوين من مكانتها وأهميتها، قال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ) {الصف/٨}، وذلك لأن عقول الناس تتلقف الأفكار الوافدة، وتتقبلها وتتعايش معها، حتى وإن كانت أفكارا غريبة وشاذة، تُخالف العقل والفطرة والدين.

ثالثاً: نشر الاشاعات المغرضة والمثبطة والمضللة، بهدف تحطيم الروح المعنوية للأفراد والهيئات والشعوب والدول، وإظهار القدرات العسكرية، والأسلحة والتجارب البيولوجية، والتحكم بها، وإنشاء أسلحة ذاتية التوجيه، تخترق الدفاعات الجوية والأرضية، وإطلاق هجمات سبراتية، ونشر معلومات كاذبة زائفة، وجمع وتحليل معلومات الآخرين السرية، لمعرفة مواطن القوة والضعف لديهم، لإرهابهم وإضعاف قدراتهم، وتحطيم معنوياتهم، والتأثير على أمنهم وسلامهم [(١)].

رابعاً: التأثير على الضمير الدعوي، لدى المجتمع الإسلامي، وقيمه ومبادئه، وإضعاف شعوره وإحساسه بالحق والباطل، والخير والشر، والجمال والقبح، بخلق المحتوى الثقافي والفني، المضلل والمخادع، الذي يستهوي الفرد ويثيره، ويؤثر على نظرته الإنسانية للحقائق أو المعاني أو الأخلاق.

---

(١) انظر دور الأنظمة الذكاء الاصطناعي في مكافحة الشائعات الإلكترونية، سعد مفلح حمود الصويلح، مرجع سابق، (٨٥-٨٧).

خامساً: التأثير على الهوية والانتماء الإنساني، بالانطواء والمصادقة للشخصيات الافتراضية، التي تشارك الإنسان حواراته وأنشطته وعلاقاته، على حساب الارتباط والولاء للإنسان، والعاطفة الإنسانية.

الفرع الرابع: التعدي على الخصوصية الدعوية:

الخصوصية حق من حقوق الإنسان، التي لا يجوز التعرض لها بحال من الأحوال، وذلك لأنها حياة الإنسان الخاصة، وأسراره الشخصية، التي لا يطلع عليها أحد، لكن للذكاء الاصطناعي القدرة على الاطلاع على هذه الخصوصية، ومعرفة بيانات الإنسان، وتصرفاته وسلوكه وتفكيره، واستغلالها لأغراض غير مشروعة[1]، ومن هذه الخصوصيات التي يستطيع الذكاء الاصطناعي اختراقها، والتعدي عليها، خصوصية الدعوة، والذي يظهر تأثيره عليها، من خلال:

أولاً: انتهاك خصوصية الدعاة، واستغلال بياناتهم، في فهم مداركهم وتفكيرهم، ونقاط ضعفهم، وما يدور بخواطرهم، وخلق مواد مشبوهة ومشوهة، لغرض الابتزاز والتشويه والاخضاع والإضعاف.

ثانياً: استغلال بيانات المدعوين، من السياسيين والمشهورين، وخلق صوت وصورة وفيديوهات وتوليدها وفبركتها وتعديلها بصورهم وصوتهم وسلوكهم، لابتزازهم، والتشهير بهم، وتشويه سمعتهم، والضغط عليهم للتراجع، أو تحقيق المطالب المتوافقة مع الهدف المطلوب منهم.

ثالثاً: استغلال بيانات المؤسسات والهيئات الدعوية، وقرصنة المواقع الرسمية للشركات والبنوك والحكومات الإسلامية، وكشف أسرارها العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية، للرأي العام الدولي والمحلي، لغرض الابتزاز والاستيلاء، والضغط عليها.

لذلك يجب التنبه لهذه المخاطر السلبية للذكاء الاصطناعي على الدعوة والدعاة، والحذر من شراك أعداء الدعوة، ممن يريدون إفساد عقائد الناس وأخلاقهم، وهدم قيمهم، والولوج فيه بدراية ودربة

---

(١) انظر الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في أثناء جائحة كورونا وآثاره السبية على المنظومة الأخلاقية، حنان محمد إبراهيم عوض، مرجع سابق، (١٢٥-١٢٧)، الذكاء الاصطناعي وآثاره على حرية التعبير في مواقع التواصل الاجتماعي، د. محمد أحمد سلامة مشعل، مرجع سابق، (ص٤٥٦).

وحنكة، وقدرة على مواجهة التحديات والصعوبات، ووضع الحلول الناجعة، والمواد الدعوية المناسبة والمثيرة، في المواجهة الدعوية، مع أعداء القيم والأخلاق والدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

١. يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال الدعوي، بما يخدمها بشكل كبير، لما له من قوة وتأثير.

٢. يجب الالتزام بالضوابط والآداب الدعوية عن استخدام الذكاء الاصطناعي.

٣. أثر الذكاء الاصطناعي على الدعوة إيجابي، إذا استخدم ووظف بذكاء وفطنة.

٤. للذكاء الاصطناعي آثاره السلبية على الدعوة، يجب التنبه لها، والحذر منها.

٥. الذكاء الاصطناعي قد يوازي أو يتفوق على الذكاء البشري، في القدرات الذهنية والحركية، بالإضافة إلى أنه يتميز بالسهولة والسرعة، في النشر والتحليل والتدقيق.

٦. لا يستطيع الذكاء الاصطناعي القيام بالدور المعنوي والعاطفي للداعية، في تواصله مع المدعوين.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. أوصي الأقسام العلمية بإدراج الذكاء الاصطناعي ضمن المقررات العلمية في المناهج والدراسات والعليا.

٢. أوصي الباحثين في الجامعات والمراكز البحثية بإجراء البحوث العلمية حول الذكاء الاصطناعي، بما يخدم الدعوة، ويزيد من تأثيرها الإيجابي، ويحد من تأثيرها السلبي.

٣. أوصي المؤسسات الدعوية إدراج الذكاء الاصطناعي، وتوظيفه في الأعمال الدعوية، بما يخدم الدعوة، ويطورها، ويحسن جودتها، ويرفع مكانتها، وعدم تركها لأعداء الدعوة الذين يعملون على عرقلتها وتشويهها.

٤. أوصي المؤسسات العلمية والدعوية بتطوير قدرات ومهارات الدعاة التقنية والمهنية، وتفريغ بعضهم لدراستها، وصناعتها وبرمجتها.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أثر الأدلة المختلف فيها (مصادر التشريع التبعية): د. مصطفى ديب البغا، دار القلم – دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣. أثر الإعلام الخيري في نشر قيم الدعوة الإسلامية وتفعيلها: بلجيلالي خيرة، مجلة البدر، المجلد ١٠، العدد٦، ٢٠١٨م.

٤. الأحكام الفقهية للتعاملات الالكترونية "الحاسب الآلي وشبكة المعلومات": عبدالرحمن السند، بيروت: دار الوراق، ط١، ٢٠٠٤م.

٥. استخدام الأنظمة الخبيرة في مجال اتخاذ قرار منح القروض البنكية: بداح عبدالجليل، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التيسير، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

٦. استخدام الأنظمة الخبيرة كمدخل لتطوير أداء المدقق الخارجي: مهدي صلاح الدين جميل، رسالة دكتوراه في المحاسبة، كلية الاعمال، جامعة عمان العربية، ٢٠١٢م.

٧. أسس التصميم: روبرت جيلام سكوت، ت: محمد محمود يوسف، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٨م.

٨. الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في أثناء جائحة كورونا وآثاره السبية على المنظومة الأخلاقية: حنان محمد إبراهيم عوض، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد٨، العدد١، ٢٠٢٣م.

٩. الأنظمة الخبيرة واستخدامها في الدعوة إلى الله: روابي بنت محمد الصاعدي وهند بنت مصطفى شريفي، مجلة القلم، السنة العاشرة، العدد٣٨، يوليو- أغسطس ٢٠٢٣م.

١٠. بيان أحكام وسائل التواصل الاجتماعي وضوابطها ونشر المعلومات والاخبار وتناقلها عبرها بغرض الإنكار أو الاشاعة أو الإساءة: د. محمد بن يحي بن حسن النجيمي، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفنها الأشراف – دقهلية، العدد الرابع والعشرون، الإصدار الأول، الجزء الثاني، ٢٠٢٢م.

١١. التراث والسرد: حسن علي المخلف، الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ٢٠١٠م.

١٢. تطبيقات الذكاء الاصطناعي والربورت: د. احمد سعد علي البرعي، مجلة دار الإفتاء المصرية، المجلد١٤، العدد٤٨.

١٣. تطبيقات الذكاء الاصطناعي: مدخل لتطوير التعليم في ظل تحديات جائحة فيروس كورونا (covid-١٩): عبدالرزاق مختار محمود، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد٣، العدد٤، ٢٠٢٠م.

١٤. التعريفات: علي بن محمد علي الزين الشريف الجرجاني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٥. توظيف التقنيات الحديثة في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عباس علي ومحمد خالد وسليمان مصطفى، المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، مجلد٤، العدد٢، ٢٠١٦م.

١٦. توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله: ابتسام عبدالله الحربي، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٣٩.١٤٤٠هـ.

١٧. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، مصر، القاهرة، دار عالم الكتب، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٨. الحاسبات الآلية وتشغيل المعلومات: روبرت سترن ونانسي ستران، تعريب: سرور علي سرور وعاصم الحماحمي، دار المريخ، الرياض، ١٤١٣هـ.

١٩. خصائص الفكر الإسلامي: محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، دار الأوزاعي، دمشق.

٢٠. خوارزميات الذكاء الاصطناعي وأخلاقيات محتوى التواصل الاجتماعي أي دور؟ وأي علاقة؟: د. عائشة كريكط، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد٦، العدد٢، ديسمبر ٢٠٢٢م.

٢١. دور الأنظمة الذكاء الاصطناعي في مكافحة الشائعات الإلكترونية، سعد مفلح حمود الصويلح، السعودية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد٣٩، العدد٢، ٢٠٢٣م.

٢٢. الذكاء الاصطناعي وآثاره على حرية التعبير في مواقع التواصل الاجتماعي: د. محمد أحمد سلامة مشعل، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، العدد ٧٧، سبتمبر٢٠٢١م.

٢٣. الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة: جهاد عفيفي، دار أمجد للنشر، الأردن، ٢٠١٥م.

٢٤. الذكاء الصناعي: عبير أسعد سعد الدين، عمان، ١٤٣٣هـ، ط١.

٢٥. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة)، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٦. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
٢٧. ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في ضوء التربية الأخلاقية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية: د. أحمد محمد عقلة الزبون، مجلة العلوم التربوية، العدد٢١، ربيع الآخر، ١٤٤١هـ.
٢٨. الفكر الإسلامي المفهوم المصادر الخصائص التحديات — دراسة مقارنة: د. محمد بحر محمد حسن، مجلة أسيوط لبحوث الدراسات الإسلامية، العدد١، يناير ٢٠١٩م.
٢٩. القاموس المحيط: مجد الدين محمد الفيرزو آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث ومؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
٣٠. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية: مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط١، الرياض، دار إشبيليا، ١٤٢٠هـ.
٣١. القواعد والضوابط الفقهية التعريف بهما، والتفريق بينهما، أهميتهما، نشأتهما: علي خضر محمد الغامدي، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد٨٠.
٣٢. القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية: عبد السلام بن إبراهيم بن محمد الحصين، دار التأصيل، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٣. القيم الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الشامل وتحقيق السلم الاجتماعي- دراسة تأصيلية تطبيقية: محمد سليمان المومني، وزارة الأوقاف وشؤون المقدسات الإسلامية بالأردن، العدد الثالث والعشرون، يونيو ٢٠١٩م.
٣٤. القيم الإسلامية وسبل تعزيزها — قيمة اتقان العمل أنموذجا: د. رجاء بنت سيد علي المحضار، مكتبة نور، ١٤٣٨هـ.
٣٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.

٣٦. مخاطر الذكاء الاصطناعي على الامن ومستقبل العمل: أوسوندي أ.أوسوبا وويليام ويلسر الرابع، مؤسسة راند، ٢٠١٧م.
٣٧. مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي: د. عادل عبد النور، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية، ٢٠٠٥م.
٣٨. مدخل لدراسة الأدب: جامعة أم القرى، كلية اللغات العربية وآدابها، قسم الأدب، ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.
٣٩. مدخل لدراسة النظم الإسلامية: د. مفرح سليمان القوسي، مجلة الدرعية، السنة السابعة، العدد السابع والثامن والعشرون، رمضان ذو الحجة ١٤٢٥هـ - أكتوبر — يناير ٢٠٠٥م.
٤٠. مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧ هـ)، المحقق: حسين سليم أسد [ت ١٤٤٣ هـ]، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٤١. المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العصرية، ط٣، ١٤١٨هـ.
٤٢. المعجم الفلسفي: جميل صليبيا، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.
٤٣. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
٤٤. معجم المعاني للمترادف والتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعبير: نجيب إسكندر، بغداد، مطبعة الزمان، ١٩٧١م.
٤٥. معجم مصطلحات العلوم الشرعية: مجموعة من المؤلفين، بإشراف: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ط٢، ١٤٣٩هـ -٢٠١٧م.
٤٦. النظم الخبيرة_ النظام الخبير، المعرفة، النظم الخبيرة والاستدلال: ريهام مصطفى عيسى، دار التعليم الجامعي، الأسكندرية، ٢٠١٧م.العربية، على الرابط:
https://www.alarabiya.net/politics/2022/06/16 والقبس على الرابط:
https://www.alqabas.com/article/45279،
اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/٩/٣٠م.
٤٧. بي بي سي أونلاين، على الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/articles/c03jnkjwr69o، ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٤م، اطلع عليه بتاريخ: ١٤٤٥/٣/١٣هـ - ٢٠٢٣/٩/٢٩م.

Al-Maṣādir wa-al-marāji‘

1. al-aḥkām al-fiqhīyah llt‘āmlāt al-iliktrūnīyah "al-Ḥāsib al-Ālī wa-shabakat al-ma‘lūmāt" : ‘Abd-al-Raḥmān al-sanad, Bayrūt : Dār al-Warrāq, Ṭ1, 2004m.
2. al-anẓimah alkhbyrh wa-istikhdāmuhā fī al-Da‘wah ilá Allāh : Rawābī bint Muḥammad al-Ṣā‘idī whnd bint Muṣṭafá Sharīfī, Majallat al-Qalam, al-Sunnah al-‘āshirah, al‘dd38, ywlyw-Aghusṭus 2023m.
3. al-Da‘wah al-Islāmīyah Da‘wat ‘ālamīyah : Muḥammad ‘Abd-al-Raḥmān al-Rāwī, al-Dār al-Qawmīyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, al-Ṭab‘ah 1965m.
4. al-dhakā’ alāṣṭnā‘y wa-al-anẓimah alkhbyrh : Jihād ‘Afīfī, Dār Amjad lil-Nashr, al-Urdun, 2015m.
5. al-dhakā’ al-ṣinā‘ī : ‘Abīr As‘ad Sa‘d al-Dīn, ‘Ammān, 1433h, Ṭ1.
6. al-Fikr al-Islāmī al-mafhūm al-maṣādir al-Khaṣā’iṣ al-taḥaddiyāt – dirāsah muqāranah : D. Muḥammad Baḥr Muḥammad Ḥasan, Majallat Asyūṭ li-Buḥūth al-Dirāsāt al-Islāmīyah, al‘dd1, Yanāyir 2019m.
7. al-Ḥāsibāt al’lyh wa-Tashghīl al-ma‘lūmāt : Robert strn wnānsy strān, ta‘rīb : Surūr ‘Alī Surūr w‘āṣm alḥmāḥmy, Dār al-Mirrīkh, al-Riyāḍ, 1413h.
8. al-I‘timād ‘alá al-dhakā’ alāṣṭnā‘y fī athnā’ jā’ḥh kwrwnā wa-āthāruh alsbyh ‘alá al-Manẓūmah al-akhlāqīyah : Ḥanān Muḥammad Ibrāhīm ‘Awaḍ, Majallat al-‘Ulūm al-Islāmīyah, almjld8, al‘dd1, 2023m.
9. al-Miṣbāḥ al-munīr : Aḥmad ibn Muḥammad al-Fayyūmī, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, ṭ3, 1418h, (ṣ487), Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, 2004m.
10. al-Mu‘jam al-falsafī : Jamīl ṣlybyā, alqāhrtn al-Hay’ah al-‘Āmmah li-Shu’ūn al-Maṭābi‘ al-Amīrīyah, 1983m.
11. al-nuẓum alkhbyrh _ al-niẓām al-khabīr, al-Ma‘rifah, al-nuẓum alkhbyrh wālāstdlāl : Rīhām Muṣṭafá ‘Īsá, Dār al-Ta‘līm al-Jāmi‘ī, al-Iskandarīyah, 2017m.
12. al-Qāmūs al-muḥīṭ : Majd al-Dīn Muḥammad alfyrzw Ābādī (al-mutawaffá : 817h), Maktab taḥqīq al-Turāth wa-Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-thāminah, 1426.
13. al-qawā‘id wa-al-ḍawābiṭ al-fiqhīyah al-ta‘rīf bi-himā, wa-al-tafrīq baynahumā, ahmythmā, nash’atuhumā : ‘Alī Khiḍr Muḥammad alghādmy, Majallat al-Dirāsāt al-Islāmīyah wa-al-Buḥūth al-Akādīmīyah, al‘dd80.
14. al-qawā‘id wa-al-ḍawābiṭ al-fiqhīyah ‘inda Ibn Taymīyah : ‘Abdussalām ibn Ibrāhīm ibn Muḥammad al-Ḥaṣīn, Dār al-ta’ṣīl, al-Qāhirah, 2002M.
15. al-Qayyim al-Islāmīyah wa-atharuhā fī ta‘zīz al-amn al-shāmil wa-taḥqīq al-silm alājtmā‘y-dirāsah ta’ṣīlīyah taṭbīqīyah : Muḥammad Sulaymān al-Mūminī, Wizārat al-Awqāf wa-shu’ūn al-muqaddasāt al-Islāmīyah bi-al-Urdun, al-‘adad al-thālith wa-al-‘ishrūn, Yūniyū 2019m.

16.al-Qayyim al-Islāmīyah wa-subul ta‘zīzihā – qayyimah Itqān al-‘amal anmūdhajan : D. Rajā’ bint Sayyid ‘Alī al-Miḥḍār, Maktabat Nūr, 1438h.

17. al-Takhṭīṭ lil-da‘wah al-Islāmīyah wa-ahammīyatuhu : ‘bdrb al-Nabī ‘Alī Abū al-Sa‘ūd, Dār al-Tawfīq al-Namūdhajīyah lil-Ṭibā‘ah, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1412h-1992m.

18.al-Tawqīf ‘alá muhimmāt al-ta‘ārīf : Zayn al-Dīn Muḥammad al-mad‘ū bi-‘Abd al-Ra’ūf ibn Tāj al-‘ārifīn ibn ‘Alī ibn Zayn al-‘Ābidīn al-Ḥaddādī al-Munāwī, Miṣr, al-Qāhirah, Dār ‘Ālam al-Kutub, 1410h 1990m.

19.alt‘ryfāt : ‘Alī ibn Muḥammad ‘Alī al-Zayn al-Sharīf al-Jurjānī, Ṭ1, Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1403h.

20.al-Turāth wa-al-sard : Ḥasan ‘Alī al-Mukhlif, al-Dawḥah, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Turāth, 2010m.

21.Athar al-adillah al-mukhtalif fīhā (maṣādir al-tashrī‘ al-taba‘īyah) : D. Muṣṭafá Dīb a-Bughā, Dār al-Qalam – Dār al-‘Ulūm al-Insānīyah, Dimashq, al-Ṭab‘ah al-thālithah, 1420h-1999M.

22.Athar al-I‘lām al-Khayrī fī Nashr Qayyim al-Da‘wah al-Islāmīyah wa-taf‘īlihā : bljylāly Khayrah, Majallat al-Badr, al-mujallad 10, al‘dd6, 2018m.

23.bayān Aḥkām wasā’il al-tawāṣul al-ijtimā‘ī wa-ḍawābiṭuhā wa-nashr al-ma‘lūmāt wa-al-akhbār wtnāqlhā ‘brhā bi-gharaḍ al-inkār aw al-ishā‘ah aw al-isā’ah : D. Muḥammad ibn Yaḥyá ibn Ḥasan al-Najīmī, Majallat Kullīyat al-sharī‘ah wa-al-qānūn bi-Tafahnā al-ashrāf – Daqahlīyah, al-‘adad al-rābi‘ wa-al-‘ishrūn, al-iṣdār al-Awwal, al-juz’ al-Thānī, 2022m.

24.Bī Bī Sī awnlāyn, ‘alá alrābṭ : https : / / www. bbc. com / arabic / articles / c03jnkjwr69o, 3 Dīsimbir / Kānūn al-Awwal 2014m, Aṭla‘a ‘alayhi bi-tārīkh : 13/3 / 1445h-29/9 / 2023m.

25.Ḍawābiṭ al-Ḥiwār ma‘a al-ākhar : Sa‘d Allāh ‘Āshūr, Majallat al-Jāmi‘ah al-Islāmīyah lil-Dirāsāt al-Islāmīyah, Ghazzah, al‘dd16, almjld1, 2008M.

26.Ḍawābiṭ istikhdām Shabakāt al-tawāṣul al-ijtimā‘ī fī ḍaw’ al-Tarbiyah al-akhlāqīyah al-mustanbaṭah min al-Qur’ān al-Karīm wa-al-sunnah al-Nabawīyah : D. Aḥmad Muḥammad ‘Uqlah alzbwn, Majallat al-‘Ulūm al-Tarbawīyah, al‘dd21, Rabī‘ al-ākhar, 1441h

27.dawr al'anzimat aldhaka' alaistinaeiu fi mukafahat alshaayieat al'iiliktruniati, saed muflih hamuwd alsswayliha, alsaeudiat, jamieat nayif lileulum al'amniati, almajalat alearabiat lildirasat al'amniati, almujaladi39, aleudadu2, 2023m.

28.istikhdām al-anẓimah alkhbyrh fī majāl ittikhādh qarār Minaḥ al-Qurūḍ al-bankīyah : Badāḥ ‘Abd-al-Jalīl, Risālat duktūrāh, Qism al-‘Ulūm al-iqtiṣādīyah, Kullīyat al-‘Ulūm al-iqtiṣādīyah wa-‘ulūm al-Taysīr, Jāmi‘at Mintūrī, al-Jazā’ir, 2006-2007m.

29. istikhdām al-anẓimah alkhbyrh ka-madkhal li-taṭwīr adā' al-mudaqqiq al-khārijī : Mahdī Ṣalāḥ al-Dīn Jamīl, Risālat duktūrāh fī al-muḥāsabah, Kullīyat al-A'māl, Jāmi'at 'Ammān al-'Arabīyah, 2012m.
30. Khaṣā'iṣ al-Fikr al-Islāmī : Muḥammad Latif Ṣāliḥ al-Farfūr, Dār al-Awzā'ī, Dimashq, bi-dūn
31. khwārzmyāt al-dhakā' alāṣṭnā'y wa-akhlāqīyāt muḥtawá al-tawāṣul al-ijtimā'ī Ayy Dawr? wa-ayyu 'alāqat? : D. 'Ā'ishah krykṭ, Majallat al-I'lām wa-al-mujtama', almjld6, al'dd2, Dīsimbir 2022m.
32. Lisān al-'Arab : Muḥammad ibn Mukarram ibn 'alá, Abū al-Faḍl, Jamāl al-Dīn Ibn manẓūr al-Anṣārī alrwyf'á al'fryqá (t 711h), al-ḥawāshī : llyāzjy wa-Jamā'at min al-lughawīyīn, Bayrūt, Dār Ṣādir, al-Ṭab'ah al-thālithah-1414H
33. madkhal ilá 'Ālam al-dhakā' alāṣṭnā'y : D. 'Ādil 'bdālnwr, Madīnat al-Malik 'Abd-al-'Azīz lil-'Ulūm wa-al-Tiqnīyah, al-Sa'ūdīyah, 2005m
34. madkhal li-Dirāsat al-adab : Jāmi'at Umm al-Qurá, Kullīyat al-lughāt al-'Arabīyah wa-ādābihā, Qism al-adab, 1437-1438h.
35. madkhal li-Dirāsat al-nuẓum al-Islāmīyah : D. Mufraḥ Sulaymān al-Qawsī, Majallat al-Dir'īyah, al-Sunnah al-sābi'ah, al-'adad al-sābi' wa-al-thāmin wa-al-'ishrūn, Ramaḍān Dhū al-Ḥujjah 1425h-Uktūbir – Yanāyir 2005m.
36. Makhāṭir al-dhakā' alāṣṭnā'y 'alá al-amn wa-mustaqbal al-'amal : awswndy U. awswbā wwylyām wylsr al-rābi', Mu'assasat rānd, 2017m.
37. Mu'jam al-lughah al-'Arabīyah al-mu'āṣirah : Aḥmad Mukhtār 'Abd-al-Ḥamīd 'Umar, al-Qāhirah, 'Ālam al-Kutub, 2008M
38. Mu'jam al-ma'ānī llmtrādf wāltwārd wālnqyḍ min Asmā' w'f'āl wa-adawāt wt'byr : Najīb Iskandar, Baghdād, Maṭba'at al-Zamān, 1971m.
39. Mu'jam muṣṭalaḥāt al-'Ulūm al-shar'īyah : majmū'ah min al-mu'allifīn, bi-ishrāf : Madīnat al-Malik 'Abd-al-'Azīz lil-'Ulūm wa-al-Tiqnīyah, ṭ2, 1439h-2017m
40. Murshid al-du'āh : Muḥammad Nimr al-Khaṭīb, Dār al-Ma'rifah lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr, Bayrūt, al-Ṭab'ah al-ūlá, 1401h-1981M
41. Qawā'id al-wasā'il fī al-sharī'ah al-Islāmīyah : Muṣṭafá ibn Karāmah Allāh Makhdūm, Ṭ1, al-Riyāḍ, Dār Ishbīliyā, 1420h.
42. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī : Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Ismā'īl al-Bukhārī al-Ju'fī, al-muḥaqqiq : D. Muṣṭafá Dīb al-Bughā, (Dār Ibn Kathīr, Dār al-Yamāmah), Dimashq, ṭ5, 1414H-1993m.
43. Ṣaḥīḥ Muslim : Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī (206-261 H, al-muḥaqqiq : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, Maṭba'at 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, al-Qāhirah, 1374h-1955m.
44. taṭbīqāt al-dhakā' alāṣṭnā'y : madkhal li-taṭwīr al-Ta'līm fī ẓill taḥaddiyāt jā'ḥh fyrws kwrwnā (19-covid) : 'Abd-al-Razzāq Mukhtār Maḥmūd, al-Majallah al-Dawlīyah lil-Buḥūth fī al-'Ulūm al-Tarbawīyah, almjld3, al'dd4, 2020m.

45.Tawẓīf al-dhakā' alāṣṭnā'y fī al-Taḥayyuz ḍidda al'slām-ru'yah fī abraz al-makhāṭir wa-ijrā'āt al-muwājahah : D. Daḥmān 'bdālḥq, Markaz al-mujaddid lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, bāshāk, Isṭanbūl, 2022m.

46.Tawẓīf al-Tiqnīyāt al-ḥadīthah fī khidmat al-ḥadīth al-Sharīf wa-al-sunnah al-Nabawīyah : 'Abbās 'Alī wa-Muḥammad Khālid wa-Sulaymān Muṣṭafá, al-Majallah al-Dawlīyah lltṭbyqāt al-Islāmīyah fī 'ilm al-Ḥāsib wa-al-Tiqnīyah, mjld4, al'dd2, 2016m.

Usus al-taṣmīm : Robert jylām Sakkūt, t : Muḥammad Maḥmūd Yūsuf, al-Qāhirah Dār al-N.

البحث رقم (٣)

قيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية وأثره في تنمية الوطن وازدهاره

The value of planting and afforestation in Islamic studies and its impact on the development and prosperity of the country

د. محمد بن عبد الله العبد الكريم

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد.

كلية الشريعة والقانون

جامعة المجمعة

قسم الدراسات الإسلامية

ملخص البحث

يبين البحث قيمة الغرس والتشجير وما دخل في معناهما في مصادر الدراسات الشرعية وشروحها، وما جاء فيها من المعاني والآداب بمنهج استقرائي وصفي يوصل القارئ إلى المكانة السامية والهدايات الكريمة للغرس والتشجير، وتحليل ومناقشة ما ورد فيها، وبيان أثرها في تنمية المجتمع وتقدمه وازدهاره، والدراسة وهي صالحة لكل وطن إلا أنها خصّت هذا الوطن المبارك (المملكة العربية السعودية).

والقيم في البحث تدل على معنيين: تدل على القدر والشأن والمكانة، وتدل كذلك على معنى الهدايات السلوكية التي حث عليها الإسلام.

وهَدَف البحث إلى إبراز قيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية، وبيان توظيف العلماء لتلك المكانة واهتماهم بها تأصيلاً وتحليلاً، وإيضاح أهمّ الآثار المترتبة على احترام هذه القيمة والالتزام بها في مختلف المجالات الشرعية والبيئية والاقتصادية والتي تتفق مع قواعد الدين وضروراته، كما هدف البحث إلى إثراء العلاقة بين الدراسات الشرعية والتقدم الحضاري الذي نعيشه في الوقت الحاضر.

كما أجاب البحث عن القيمة الشرعية للغرس والتشجير من خلال دراسة النصوص الشرعية وتوظيف معانيها وآثارها، ووضح العلاقة بين الأصالة والمعاصرة بين الدراسات الشرعية والمبادرات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية:

قيمة، الغرس، التشجير، الدراسات الشرعية، الوطن، الازدهار.

Research Abstract

The research highlights the value of planting and afforestation and their related concepts in Islamic studies sources and their commentaries. It examines the meanings and ethics associated with them using an inductive descriptive method, guiding the reader to the esteemed position and noble guidance related to planting and afforestation. The study analyzes and discusses the references to these topics and elucidates their impact on the development, progress, and prosperity of society. While the research is applicable to any nation, it specifically focuses on this Blessed Homeland (the Kingdom of Saudi Arabia).

The values discussed in the research indicate two meanings: they signify importance, status, and rank, as well as behavioral guidance encouraged by Islam.

The aim of the research is to highlight the value of planting and afforestation in Islamic studies and to demonstrate how scholars have utilized and emphasized this value through foundational and analytical approaches. It seeks to clarify the significant effects of respecting and adhering to this value in various fields, including religious, environmental, and economic areas, in alignment with the principles and necessities of Islam. Additionally, the research aims to enrich the relationship between Islamic studies and the contemporary civilization we are experiencing today.

The research also addresses the religious value of planting and afforestation by studying Islamic texts and employing their meanings and effects. It elucidates the relationship between traditional and contemporary aspects in Islamic studies and modern initiatives.

key words:

Value, Planting, Afforestation, Islamic Studies, Homeland, Prosperity.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد ورد الغرس والتشجير في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في سياقات مختلفة، ولهذه السياقات هدايات شرعية ودلالات قيمية، تبيّن أهمية الغرس والتشجير، وتوضّح مكانته، وتدلّ على عظيم أثره للإنسان والحيوان والطير وسائر الدوابّ، وفي هذا البحث سأتناول هذه القيمة من خلال ورودها في الكتاب والسنة، وأوضّح أبرز الهدايات والدلالات التي أوردها العلماء في هذا الموضوع، مبيناً في ختام البحث عدداً من الآثار الشرعية والبيئية والاقتصادية، التي تنمو بالوطن (المملكة العربية السعودية) وتسهم في ازدهاره، وفق المستهدفات المعلنة في رؤية ٢٠٣٠.

أهداف الموضوع:

١) إبراز قيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية وبيان ما لفتت له من الهدايات والدلالات.

٢) بيان الآثار الشرعية والبيئية والاقتصادية المترتبة على الغرس والتشجير.

٣) توضيح العلاقة بين الأصالة والمعاصرة في موضوع الغرس والتشجير.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن إجمال أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

١) إثراء الدراسات الشرعية بقيم الغرس والتشجير، والحاجة لتوظيفها العلمي الذي يبرز مكانتها.

٢) الحاجة لبيان العلاقة العلمية والعملية بين الدراسات الشرعية والتقدم الحضاري المعاصر من خلال موضوع الغرس والتشجير وأثر ذلك في نمو الوطن وازدهاره.

٣) تعدد الآثار الإيجابية المترتبة على إبراز قيمة الغرس والتشجير في المجتمع المسلم.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة –من منظور الثقافة الإسلامية –تتعلق بقيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية وأثرها في تنمية الوطن وازدهاره، وما وجدته من الدراسات والبحوث المتعلقة بالموضوع عموماً ناقشت موضوع الغرس والتشجير من خلال تخصصات علمية مختلفة، ومما وقفت عليه من الدراسات الشرعية ما يلي:

١) حماية الشريعة الإسلامية للبيئة. للدكتورة: هناء فهمي أحمد عيسى، وهي دراسة فقهية مقارنة نشرت في مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، جامعة الأزهر، وقد تضمن البحث عدداً من المباحث المرتبطة

بالبيئة، ومنها الأرض، وما يتصل بها من أحكام تتعلق بحمايتها وعمارتها، والدراسة في تخصص الفقه المقارن.

٢) عالم النباتات في ضوء القرآن الكريم. للدكتور: محمد عبد الجابر الحلواني، بحث منشور في مجلة بحوث كلية الآداب بجامعة المنوفية، وقد تضمن البحث عدداً من المباحث المتعلقة بالنباتات في القرآن الكريم من حيث أسمائها والمقاصد التي ذكرت من أجلها، وهي دراسة في تخصص القرآن وعلومه.

٣) الغراس والتشجير أحكام وفوائد، للدكتور فضل الهادي بشاش، بحث فقهي منشور في مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية وهي مجلة علمية محكمة مستقلة، والدراسة في تخصص الفقه حيث درس المسائل الفقهية المتعلقة بالغراس، كالغرس في الأرض المغصوبة، والمستعارة، والمرهونة، والموقوفة..

٤) تعمير الأرض وأهمية الغرس في ضوء السنة النبوية، للأستاذ الدكتور: عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد: الثالث، وهو بحث مختصر في الموضوعات الآتية: مفهوم الخلافة وعمارة الأرض، أهمية الغرس في السنة، إحياء الموات، تنظيم الزراعة، أساليب القرآن والسنة في النهي عن الفساد في الأرض، وهي دراسة في تخصص السنة النبوية، مختصرة في اثنتي عشرة صفحة.

الإشكالية التي ستتم دراستها:

توضيح قيمة الغرس والتشجير وبيان ما لفتت له الدراسات الشرعية في هذا السياق، والإجابة عن العلاقة بين التطور الحضاري والشرعي في موضوع الغرس والتشجير من منظور الثقافة الإسلامية، ويمكن إجمال التساؤلات التي يجيب عنها البحث فيما يلي:

- ما معنى القيم المتعلقة بالغرس والتشجير في الدراسات الشرعية؟
- ما موارد الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية، وكيف يمكن توظيفها؟
- ما أبرز القيم التي حثت عليها الدراسات الشرعية في موضوع الغرس والتشجير؟
- ما أهم الآثار المترتبة على الوطن في موضوع الغرس والتشجير والتي تسهم في نموه وازدهاره؟
- ما العلاقة بين الدراسات الشرعية في موضوع الغرس والتشجير والتطور الحضاري المعاصر؟

منهج البحث:

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات والبحوث الكيفية؛ لذا وظّف الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي في استقراء النصوص وجمعها ومن ثمّ دراستها وتحليلها وتوظيفها للإجابة على تساؤلات البحث وتحقيق أهدافه ضمن إطار الهدف العام للبحث.

التصميم الأساسي للبحث:

التمهيد: وفيه التعريف بأهم المصطلحات الواردة في البحث، وهي:

أولاً: القيمة.

ثانياً: الغرس.

ثالثاً: التشجير.

رابعاً: الوطن.

المبحث الأول: قيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات القرآنية الواردة في الغرس والتشجير.

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية الواردة في الغرس والتشجير.

المطلب الثالث: قيم الثقافة الإسلامية المتعلقة بالغرس والتشجير.

المبحث الثاني: أثر الغرس والتشجير في تنمية الوطن وازدهاره من منظور الدراسات الشرعية.

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الآثار الشرعية.

المطلب الثاني: الآثار البيئية.

المطلب الثالث: الآثار الاقتصادية.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

التمـهـــيد

وفيه التعريف بأهم المصطلحات الواردة في البحث، وهي:

أولاً: القيمة.

في اللغة: هي مصدر الفعل (قام)، مأخوذة من القوم [١]، وتأتي في اللغة بعدة معاني، منها:

١) **قدر الشيء وعماده الذي يقوم به:** وقوام الأمر أي: مِلاكه [٢].

٢) **الاستقامة:** بمعنى **الثبات والدوام:** قال الزمخشري: "القيمة ثبات الشيء ودوامه"[٣].

٣) **التقدير والتسعير:** بمعنى القيمة الثمنية، وفي الحديث:(إِنَّ اللهَ هُوالْمُقَوِّمُ، أَوِ الْمُسَعِّرُ) [٤].

٤) **المحافظة والإصلاح:** وهو بمعنى الرعاية والحفظ، كما قال تعالى: **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء} [النساء: ٣٤]**[٥].

وأقرب المعاني اللغوية للقيم المقصودة بالبحث هما المعنيان الأول والثاني، ويدلاّن على علو شأن القيم وضرورة الثبات والاستقامة عليها.

في الاصطلاح: ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان [٦].

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تجتمع في القدر والقيمة التي من سماتها الثبات والديمومة.

وتأتي القيم في سياقات مختلفة كالقيم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ولكل سياق مفهومه ومحدداته[٧].

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١٢٤/٤).

(٢) المرجع السابق، (١٢٤/٤).

(٣) أساس البلاغة، للزمخشري، (١١٢/٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (مسند أبي سعيد الخدري)، رقم: (١١٨٠٩)، (٨٢٣/١٨).، والطبراني في الأوسط، رقم (٥٩٥٢)، قال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (٩٩/٤).

(٥) لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ٤٩٧).

(٦) رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، (٥٧٥/٤)، وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت (١٣٢/٣٤).

(٧) ينظر: نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه، د/ناصر الدين الأسد، ص (٤٩).

وعلى ذلك يمكن أن نعرّف القيم الإسلامية بأنها: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"(١). وسيأتي في ختام التمهيد معنى القيمة مضمومة إلى عنوان البحث ليكون تعريفاً إجرائياً له بإذن الله.

ثانياً: الغرس:

في اللغة: "غَرَس الشجر: أي أثبته في الأرض"(٢).

وفي الاصطلاح: الغرس مختص بالشجر بخلاف الزرع المستنبت بالبذور (٣).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تجتمع في محل الغرس وهو الأرض، ويحدد المعنى الاصطلاحي الغرس بأنه ماله ساق من الشجر فيغرس، بخلاف البذور فهي غير داخلة في معناه الاصطلاحي.

ثالثاً: التشجير:

الشجر في اللغة: مفردها شجرة تجمع على الشجر والشجرات والأشجار وقيل تجمع على شِيرات من شِيَره، وأبدلت الْجِيم يَاءً إِمّا أَن تكونَ على لُغَةِ من قَالَ (شِجَر) بكسر الشين، وإِمّا أَن تكونَ الكسرةُ لمجاوَرَتِها الياءَ (٤).

"والشين والجيم والراء أصلان متداخلان، يقرب بعضهما من بعض، ولا يخلو معناهما من تداخل الشيء بعضه في بعض، ومن علو في شيء وارتفاع"(٥).

ومن ذلك التشاجر بين الناس سمي بذلك لعلو الأصوات بعضها على بعض وتداخلها واختلافها (٦)، قال تعالى: **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء:٦٥]**.

---

(١) علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، ص (١٣٢).

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص (٥٦١).

(٣) ينظر: نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، لعدد من المختصين بإشراف د/ صالح بن حميد، (٢٢٠/٢٣-٢٢١)، والموسوعة الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (١٧١/٣١).

(٤) تاج العروس، للزبيدي، (١٣٦/١٢) -بتصرف-، وينظر: مقاييس اللغة، للرازي، (٢٤٦/٣)، وأساس البلاغة، للزمخشري، (٤٩٥/١).

(٥) مقاييس اللغة، للرازي، (٣/ ٢٤٦).

(٦) مقاييس اللغة، للرازي، (٣/ ٢٤٦).

في الاصطلاح: النبات الذي قام على ساق [١].

وإضافة التشجير للغرس في هذا البحث؛ ليجمع بين ما منفعته للثمر المأكول وغيره مما اتخذ للزينة والظلّ وغيرها من المنافع الحياتية.

رابعاً الوطن:

في اللغة: جمعه أوطان، وهو دليل الإقامة وموطن الإنسان ومحله، ويطلق الموطن على المشهد من مشاهد الحرب، قال تعالى: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} [التوبة:٢٥]**، وتوطين النفس: يعني تمهيدها [٢].

وفي الاصطلاح: لا يختلف عن المعنى اللغوي السابق في كونه محل الإنسان وموطن إقامته [٣].

ويطلق الفقهاء الوطن في أحكام متعددة تتعلق بالسفر كالقصر والجمع، والصوم، وصلاة الجمعة وغيرها.. ويقسمونه إلى وطن أصلي، ووطن إقامة، ووطن سكنى [٤].

إلاّ أنّ المقصود بالوطن في هذا البحث: المملكة العربية السعودية، وذلك لربط الدراسة العلمية بالحضارية في ظل التحول الذي تشهده المملكة في موضوع الغرس والتشجير، وكونه من مستهدفات رؤية ٢٠٣٠.

ويمكن لي بعد التعريف بأهم المصطلحات المتعلقة بالبحث؛ أن أعرّف البحث تعريفاً إجرائياً بما يلي:

الأهميّة العلمية لموضوع عمارة الأرض بالنبات في المصادر الشرعية، وما لفتت إليه من المعاني والأحكام والتي يعود أثرها على نمو الوطن (المملكة العربية السعودية) وازدهاره.

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٣٩٥/٤).

(٢) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (٢٦٢/٣٦)، الصحاح، للفارابي، (٢٢١٤/٦)، لسان العرب، لابن منظور، (٤١٥/١٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (٤١٥/١٣).

(٤) والوطن الأصلي: هو المكان الذي يستقر فيه الإنسان بأهله، سواء أكان موطن ولادته أم بلدة أخرى، اتخذها دارا وتوطن بها مع أهله وولده، ولا يقصد الارتحال عنها، بل التعيش بها، ووطن الإقامة: هو المكان الذي يقصد الإنسان أن يقيم به مدة قاطعة لحكم السفر فأكثر على نية أن يسافر بعد ذلك، ووطن السكنى: هو المكان الذي يقصد الإنسان المقام به أقل من المدة القاطعة للسفر. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (٢٦٦/٢٧).

المبحث الأول: قيمة الغرس والتشجير في الدراسات الشرعية.

المطلب الأول: الآيات القرآنية الواردة في الغرس والتشجير.

المصدر الأول للثقافة الإسلامية هو كتاب الله جل وعلا، قال تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل:٨٩]**، وقد جاءت الآيات القرآنية المتعلقة بما تُنبت الأرض في سياقات مختلفة في أسمائها وموضوعاتها وأوصافها ودلالاتها؛ وذلك لارتباط الإنسان بها وبمنافعها، "وقد تبلغ هذه الموضوعات إلى ثُلث القرآن الكريم"(١).

وقد جاء في كتاب الله جل وعلا تسمية أكثر من ثلاثين نباتاً باسمه أو وصفه، مما يدلّ على عظيم العناية بعمارة الأرض بالنبات.

وسأورد في هذا المطلب دلالات بعض الآيات القرآنية التي تبين القيمة الشرعية من الغرس والتشجير وإيضاح ما يتعلق بهذه الأهمية والقيمة مما لفتت له الدراسات الشرعية تحقيقاً لأهداف البحث.

وسأستشهد بما يفي بالدلالة على القيمة بدليل واحد أو دليلين طلباً لتحقيق المقصود وعدم الإسهاب.

أولاً: امتنان الله جل وعلا على عباده بنعمة النبات:

قال تعالى: **{وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ} [البقرة:٢٢]** ويعني بالرزق ما اتخذوه غذاءً لهم وقوتاً من زرعهم وغرسهم (٢).

وسياق الامتنان بنعمة النبات دليل على عظيم قدره وفضله على البلاد والعباد.

ثانياً: الدعوة للتفكر في نعمة الزروع والثمار:

قال تعالى: **{يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:١١]**، **أي** يُعملون عقولهم في هذه الآثار الدالة على وحدانية الله وحده لا شريك له (٣)، **و**التفكر: "هو تصرف القلب بالنظر في الدليل"(٤).

---

(١) ينظر: عالم النباتات في ضوء القرآن الكريم، د. محمد عبد الجابر الحلواني، ص (٥).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٦٧/١).

(٣) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ١٨٣).

(٤) التعريفات، للجرجاني، ص(٥٤).

وقد خصّ الله الزرع والنبات والثمار بالتفكر لدليله القاطع على ربوبية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة.

ثالثاً: تسخير الله وإنعامه لعوامل الغرس والنبات:

أ) (الماء والأرض):

قال تعالى: **{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُون{١٨} فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُون {١٩} وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِين }[المؤمنون: ١٨-٢٠]**، فقد جعل الله الماء المنزل من السماء بتقدير الله، والمستودع في الأرض بحفظ الله سبباً لهذا النبات والشجر المثمر، ولوشاء الله لذهب بالماء فافتقر الناس للزروع والثمار التي يقتاتون منها ويأكلون، وتتبيّن قيمة عامل الماء للغرس والتشجير في هذه الآية بأنّ الله يخرج بسببه الجنات، وهي: البساتين والحدائق ذات البهجة والمنظر الحسن وينبت به النخيل والأعناب والفواكه والزيتون: وهي الأشجار المعروفة المثمرة، فذكّرهم بما يعرفون وينتفعون، وكذلك في حق ثمر كل إقليم(١).

ومما يبين قيمة الماء وروده في كتاب الله في نحو ثلاث وستين آيةً في القرآن الكريم، وبصيغ ودلالات مختلفة جاء كثير منها في سياق الغراسة والزراعة.

والأرض هي موضع الحرث ومنبع الماء وقد جاء ذكرها في القرآن كثيراً وجاء التعبير بما فيها من خيرات تتعلق بالشجر والغرس والزرع في مواضع مختلفة، فيصفها المولى جل شأنه بأنها مسخرة للناس(٢)، ويصف ما خرج منها بالبركات(٣)،والرزق(٤)، وبيّن قيمة الأرض ذات الخصوبة من غيرها كما قال تعالى: **{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ} [الرعد:٤]**، "يعني فيها العذيّة الصالحة للزرع والسبخة التي لا تنبت"(٥)، وبيّن أنه دحاها وطحاها بالأقوات(٦).

---

(١) ينظر للاستزادة: جامع البيان، للطبري، (٢١/١٩)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١٤/١٢)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٧٠/٥)، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، للسعدي، ص (٥٤٩).

(٢) سورة البقرة، آية ٢٩و١٦٨وسورة الحج، آية ٦٥، وسورة لقمان، آية ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، آية٩٦.

(٤) سورة يونس، آية ٣١، وسورة النحل، آية١٣.

(٥) جامع البيان، للطبري، (٣١٣/١٦).

(٦) سورة النازعات، آية ٣٠، وسورة الشمس، آية ٦، وينظر في تفسير الدحو والطحو: نفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤١١/٨).

وقد قرن ذكر الأرض والماء في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: **{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ{٢٤} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا{٢٥} ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا{٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا{٢٧} وَعِنَبًا وَقَضْبًا{٢٨} وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً{٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْبًا{٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا{٣١} مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُم}[عبس ٢٤-٣٢]**، فذكر تسخير الماء والأرض في الإنبات نعمةً منه..، وذكر عدد من المفسرين أن هذه الآية عبرة للمدخل والمخرج للنبات وهما: الماء والأرض [١].

ومما يدل على عظيم قيمة إنبات الشجر وحاجة البشر للغرس والزرع أن الأرض مختلفة في خصوبتها وصلاحيتها للنبات من عدمه، وكذلك قد تكون مجدبة لا ينزل عليها المطر، ومع ذلك يسوق الله لها الماء لغرض الإنبات كما قال تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُون}[السجدة:٢٧]** والأرض الجرز: "الأرض اليابسة التي لا نبات فيها"[٢]، قال ابن كثير –رحمه الله– عن أرض مصر وهي مقصودة بهذه الآية مع غيرها من الأمصار المشابهة:" فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء"[٣]، والآيات في بيان قيمة الأرض والماء للشجر والغرس والزرع والنبات كثيرة جداً، والمقصود هو بيان القيمة بالدليل.

ب– الرياح:

جاء ذكر الرياح عاملاً من عوامل الغرس والإنبات والتشجير، وذلك في سوق السحاب وتلقيح النباتات، قال جل وعلا: **{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}[الحجر:٢٢]** يعني: أن الله يجريها سببين وعاملين للإثمار والإنبات، فالرياح تلقح السحاب بالماء بتوجيه عمل الحرارة والبرودة متعاقبين فينشأ عن ذلك

(١) ينظر لاستزادة: جامع البيان، للطبري، (٢٢٦/٢٤)، معالم التنزيل، للبغوي، (٣٣٨/٨)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٢١/٨)، أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (٤٣٥/٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٧٢/٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٧٢/٦).

البخار الذي يصير ماءً في الجو ثم ينزل مطراً على الأرض، وأنها تلقح الشجر ذي الثمرة بأن تنقل إليه غبرةً دقيقة من الشجر الذكر فتصلح ثمرته أو تثبت، وبدون ذلك لا تثبت أو لا تصلح[١].

وقد وردت أسماء للرياح في كتاب الله وتأثيرها على الشجر والزرع والنبات، كما قال تعالى: **{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا{١}فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات:١-٢]** فالذاريات هي الريح، والحاملات: هي السحاب التي تحمل الماء[٢].

وسمّاها الله بالمبشرات، كما قال تعالى:**{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف:٥٧]** وهذا التسخير دليل على القيمة العظيمة للغرس والشجر المفتقر لهذه العوامل المؤثرة في ثمره وينعه.

ج) الليل والنهار:

من عوامل صلاح النبات والشجر وبدو الثمر-بتقدير الله جل وعلا-؛ الليل والنهار، كما قال تعالى: **{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{٢٩} وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** [النازعات:٢٩-٣٠]، وقال تعالى: **{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا{٣} وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا {٤} وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا {٥} وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}** [الشمس:٣-٦] والطحو والدحو معناهما واحد، وهو: ملؤها بالأقوات[٣]، ولكن المولى جل شأنه ساق ذلك بعد ذكر الليل والنهار؛ قال الطبري -رحمه الله-: "ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار"[٤].

رابعاً: اقتران الجمال بالشجر في القرآن الكريم:

وصف الله الشجر والخضرة التي تزين الأرض بأوصاف تدل على الجمال والإبداع وحسن الخلق.

واقتران وصف الشجر بأوصاف الجمال في القرآن الكريم يدل على قيمة الغرس والشجر الكريمة في كتاب الله جل وعلا.

ومما ورد في ذلك من الآيات قوله تعالى: **{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}** [النبأ:١٦] قال ابن كثير -رحمه الله-:"أي: بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً"[٥].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٨/١٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤١٣/٧).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤١١/٨).

(٤) جامع البيان، للطبري، (٢٠٨/٢٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٤/٨).

وقال تعالى: **{فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا}** [النمل:٦٠] ومعنى: حدائق ذات بهجة: أي ذات منظر حسن وشكل بهي [١]، وهو لفت للأنظار لقيمة الشجر والنبات، وتعزيز لقيمته في الحياة في صور مختلفة.

خامساً: تشبيه الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم بالزرع:

لم يكن تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين إلا للتكريم وبيان الأثر والبركة، ولهذا جاء التشبيه بالزرع، قال تعالى:**{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح:٢٩]**، فقد شبه الحق جل وعلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بالزرع وما يتولد منه من فراخ وفسائل ضعيفة ثم تغلُظ وتقوى سوقها حتى تعجب الزراع من قوتها وثباتها وحسن مقامها.

وهذا المثل الذي ضربه الله بالزرع تمثيل بين حسنين قال ابن عاشور–رحمه الله–: "وقوله: يعجب الزراع للمشبه به ليفيد تحسين المشبه"[٢].

سادساً: تقرير التوحيد في القرآن بضرب المثل بالشجرة:

تقرير توحيد الله جل وعلا هو سبب إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو السبب الموجب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومع عظمة هذا الأمر ضرب الله المثل بالشجرة للتوحيد في كتابه الكريم، قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء {٢٤} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون}** [إبراهيم:٢٤-٢٥] .

وضرب المثل بالشجرة يدل على قيمتها ومكانتها، وقد ذكر المفسرون أن الشجرة الطيبة هي: النخلة، وأن الكلمة الطيبة هي: كلمة التوحيد [٣].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٠٢/٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١١٠/٢٦).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٥٦٦/١٦)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٣٦/٣).

قال البغوي-رحمه الله-: "الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة؛ هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان" (١).

وفسرت الشجرة الخبيثة بأنها: "شجرة الحنظل أو ما يسمى بالشري.. وشبهت بكفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات"(٢)، لعدم ثباتها وضعف عروقها وانعدام الثمر فيها.

وسياق ضرب المثل بالشجر في تقرير معنى عظيم يتعلق بالإيمان بالله أو الكفر به -عياذاً بالله-دليل على كريم المشبّه به إذا كان طيباً مثمراً وهو أغلب ما ينتفع منه الناس، بخلاف ما نبت دون استزراع كالشجر الذي لا يثمر ولا ينتفع به مع ضعف أصله وعدم ثباته.

سابعاً: تقرير البعث والنشور بضرب المثل بالنبات:

الإيمان بالبعث والنشور ركن من أركان الإيمان بالله تعالى(٣)، ومع عظيم هذا الركن يضرب الله المثل لتقريره بإنبات الأرض، قال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}[فصلت:٣٩]**.

فالذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، قادر على البعث بعد الموت(٤)، وتقرير البعث بضرب المثل بإحياء الأرض دليل على قيمته أن جُعل دليلاً على قدرة الله جل وعلا على إحياء الموتى.

ثامناً: تسمية إهلاك الحرث في القرآن بالإفساد في الأرض:

نهى الله -جل وعلا- عن الفساد في الأرض، وسمى إهلاك الحرث بذلك، قال تعالى: **{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَاد}[البقرة:٢٠٥]** فالفساد والإفساد: هو الخراب والتخريب، وعكسه الصلاح والإصلاح، فاتسق صلاح الأرض مع عمارتها وغرسها وتشجيرها، واتفق إفسادها وتخريبها مع إهلاك حرثها وزرعها، قال القرطبي-رحمه الله-:" ودلت الآية

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي، (٣/٣٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٤٩٣) -بتصرف-.

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٤/٤٥٧).

(٤) ينظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص (٤٠١).

على الحرث وزراعة الأرض، وغرسها بالأشجار حملاً على الزرع، وطلب النسل، وهو نماء الحيوان، وبذلك يتم قوام الإنسان، وهو ردٌّ على من قال بترك الأسباب"[(١)].

هذه المعاني المذكورة في هذا المطلب تُلفت لقيمة الغرس والتشجير وما دخل في معناهما كالزرع والحرث والنبات في كتاب الله جل وعلا، وجاء ذكر هذه المعاني بياناً للقدر العلمي لها في الدراسات الشرعية وأصولها ومراجعها، ابتداءً بالمصدر الأول وهو القرآن الكريم، مع ما سيضمّ لها من النصوص النبوية الكريمة والتي ستثري هذا المعنى في الدراسات الشرعية.

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية الواردة في الغرس والتشجير.

المصدر الثاني للثقافة الإسلامية: هي السنة النبوية؛ وهي: ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلْقية أو خُلُقية[(٢)].

وقد جاء الأمر باتباع السنة في كتاب الله بقوله تعالى: **{ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** [الأنفال:١].

وقد ورد التشجير والغرس والحث على الزراعة والإنبات في السنة النبوية في مواضع عديدة، بوّب عليها العلماء الأبواب في كتب السنة ودواوينها؛ بياناً لقدرها وعلوّ شأنها، وكذا بقية الصحاح والمسانيد ومدونات السنة، والمقصود في مقدمة هذا المطلب؛ هو بيان قيمة الغرس والتشجير في السنة النبوية من خلال تبويبات العلماء للكتب والأبواب على هذه الأحاديث والمرويات مما يدلّ على عظيم العناية بهذا الموضوع في سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

وقد تتبعت عدداً من مسميات ورود الأشجار في السنة ووقفتُ على ما يزيد على خمسة وأربعين اسماً، جاءت سياقاتها في موضوعات مختلفة، مما يدلّ على عظيم قيمة الغرس والشجر والثمر وما تنبت الأرض في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وسأورد في هذا المطلب دلالات بعض الأحاديث النبوية التي تبين القيمة الشرعية من الغرس والتشجير وإيضاح ما يتعلق بهذه الأهمية والقيمة مما لفتت له الدراسات الشرعية تحقيقاً لأهداف البحث.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٨/٣).

(٢) ينظر في تعريف السنة ودلالاتها: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، (٤٧/١)، وإرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للشوكاني، (٩٥/١).

وسأستشهد بما يفي بالدلالة على القيمة بدليل واحد أو دليلين طلباً لتحقيق المقصود وعدم الإسهاب.

أولاً: الحث على الغرس والزرع وبيان الأجر المترتب عليه:

وفي هذا الموضوع وردت أحاديث تدل على قيمة الغرس في تعظيم الثواب والأجر للغارس والزارع، منها ما جاء عن أَنَس–رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) (١).

قال السرخسي–رحمه الله–:" وفيه دليل أن المسلم مندوب إلى الاكتساب بطريق الزراعة، والغراسة ولهذا قدم بعض مشايخنا – رحمهم الله – الزراعة على التجارة؛ لأنها أعم نفعاً وأكثر صدقة، وقد باشرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روينا أنه ازدرع بالجرف"(٢).

وفي سياق الحث على الزرع والغرس أستشهد بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها "(٣)، وفي هذا الحديث دلالة على عظيم قيمة الغرس حتى آخر لحظة في الحياة، قال المناوي–رحمه الله–:" والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا"(٤).

إنّ هذه المعاني المذكورة في هذا المطلب تُلفت للقيمة الشرعية للغرس والزرع والتشجير في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر هذه الموضوعات إيضاح لشأنها العلمي في الدراسات الشرعية ومراجعها الأصيلة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكل منه، رقم (٢٣٢٠)، (١٠٣/٣)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٢)، (١١٨٨/٣).

(٢) المبسوط، للسرخسي، (١٤/٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، رقم (١٢٩٠٢)، (٢٥١/٢٠)، قال الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم. ينظر: مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، (٢٥١/٢٠).

(٤) فيض القدير، للمناوي، (٣٠/٣).

ثانياً: مشروعية الاستياك من شجرة الأراك:

الأراك: شجرة معروفة تؤخذ منها أعواد السواك[١]، والدليل على مشروعية الاستياك بهذا العود ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه (أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتني سواكاً من الأراك)[٢]، وقد بوّب الشيخان في صحيحيهما وغيرهما من أئمة السنة عدداً من الأبواب في السواك والأحكام والآداب المتعلقةبه[٣]، مما يدلّ على قيمته في دواوين السنة الصحيحة ومسانيدها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)[٤].

ثالثاً: استثمار الشجر في المصالح الدينية:

الاستثمار الدنيوي ما كان في معنى الأكل والشرب والظل ونحو ذلك، وهو معلوم من الأدلة المستفيضة، أما الاستثمار في المصالح الدينية من الشجر فيستشهد على ذلك بصنع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعواد الشجر، كما روى ذلك الشيخان[٥] أنه أتى رجال إلى سهل بن سعد يسألونه عن المنبر، فقال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة، امرأة قد سماها سهل: (أن مري غلامك النجار، يعمل لي أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس)، فأمرته يعملها من طرفاء الغابة [٦] ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فأمر بها فوضعت، فجلس عليه.

قال النووي –رحمه الله–:"فبين صلى الله عليه وسلم أن صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه"[٧].

---

(١) يكثر نباته في بطون الأودية وقد ينبت في الجبال حين تكثر المياه، ينظر: الشامل في الصناعة الطبية، لابن النفيس، (٢٤٩/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم: (٣٩٩١)، (٩٧/٧)، قال الأرنؤوط –رحمه الله: حديث صحيح لغيره وإسناده حسن، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، (٩٧/٧).

(٣) من ذلك: مثلاً في صحيح البخاري باب السواك، وباب دفع السواك للأكبر، (٥٨/١)، وباب السواك يوم الجمعة، وباب من تسوك بسواك غيره،(٤/٢)، وفي صحيح مسلم، باب السواك، (٢٢٠/١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم: (٨٨٧)، (٤/٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، رقم:٩١٧، (٩/٢)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، رقم: (٥٤٤)، (٣٨٦/١).

(٦) الطرفاء هو الأثل، والغابة موضع معروف من عوالي المدينة. ينظر:شرح مسلم، للنووي، (٣٥/٥).

(٧) شرح مسلم، للنووي، (٣٥/٥).

فهذا الاستثمار للشجر في صنع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان منافعه المتعلقة بوعظ المسلمين وتعليمهم يبين وجهاً من أوجه القيم ذات الأهمية المتعلقة بالشجر.

رابعاً: ضرب المثل بالشجر:

مثّل النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بالشجر والثمر في عدد من الأحاديث؛ بياناً لعظيم قدر المؤمن وتكريماً له بأحسن التشبيهات والتمثيلات، ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي" فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: "هي النخلة"(١).

وقد شبّه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنخلة كما شبهه الله تعالى في كتابه بالشجرة الطيبة التي تؤتي أُكَلها كل حين بإذن ربها، وهي النخلة كما ذكر ذلك المفسرون، وقد مرّ معنا قريباً في المطلب السابق (٢).

ووجه تشبيه المؤمن بالنخلة "كون المسلم يأتى الخير كل حين من الصلاة، والصوم، وذكر الله تعالى، فكأن الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها فى أوقاته"(٣).

وفي حديث أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر"(٤).

وضرب الأمثال الواردة في تشبيه المؤمن بالشجر والثمر أمثلته كثيرة في السنة، والمقصود هو بيان قيمة الشجر والغرس في كونه مضرب الأمثال في المؤمنين ثناءً عليهم ووصفاً لحالهم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، رقم (٦١)، (٢٢/١)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم (٢٨١١)، (٢١٦٥/٤).

(٢) ينظر: ص(١٤).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (١٤١/١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، رقم (٥٤٢٧)، (٧٧/٧)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كمثل النخلة، رقم (٢٨١١)، (٢١٦٤/٤).

خامساً: الاستطباب بثمر الأشجار وأوراقها:

جاء في السنة النبوية التأكيد على بركة عدد من الثمرات والأوراق الشجرية في أثرها العلاجي، مما يدل على عظيم قيمة النبات والثمر، وبركته على المسلم، وأذكر مثلاً على ذلك:

أ- الحبة السوداء: بوب الشيخان في صحيحيهما باباً خاصاً لها، ففي صحيح البخاري: باب الحبة السوداء [١]، وفي صحيح مسلم: باب التداوي بالحبة السوداء[٢]، وساقا تحت هذين البابين عدداً من الأحاديث التي تدلّ على بركتها وتؤكّد قيمتها، ومن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السام" قلت: وما السام؟ قال: "الموت"[٣].

ب- السنى والسنوت [٤]: ومما ورد فيه بياناً لقيمة النبات والشجر في سياق الطبّ والتداوي في السنة النبوية، ما جاء عن أبي أبيّ ابن أم حرام، وكان قد صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "عليكم بالسنى، والسنوت (فإن فيهما شفاء من كل داء، إلا السّام)، قيل: يا رسول الله، وما السّام؟ قال: (الموت) [٥].

ت- تضميد الجرح بسعف النخل: والنخلة هي الشجرة الطيبة كما مرّ في المطلب الأول [٦]، ويدلّ على تضميد الجرح ومداواته بسعف النخل ما جاء عن سهل رضي الله عنه أنه قال:" لما كسرت بيضة [٧]

---

(١) (١٢٤/٧).

(٢) (١٧٣٥/٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب الحبة السوداء، رقم (٥٦٨٧)، (١٢٤/٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، رقم (٢٢١٥)، (١٧٣٥/٤).

(٤) السنى: بالمقصورة واحدته سناة، وهو نبات معروف من الأدوية، يُتداوى بورقه وثمره، وأجوده الحجازي ويعرف بالسنى المكي، والسنوت: من الفعل (سنَت) تقول العرب: سنت القدر: أي طرح فيها السنوت، وهو الكمون. . ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (٣١٣/٣٨)، والمعجم الوسيط، باب السين، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص (٤٥٣ و٤٥٧).

(٥) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الطب، باب السنا والسنوت، رقم (٣٤٥٧)، (١١٤٤/٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (١٧٩٨) (٤٠٨/٤).

(٦) ينظر: ص (١٤).

(٧) البيضة: من عتاد الحرب تلبس على الرأس، وهي مسبوكة من صحيفة واحدة يجمع بعضها إلى بعض بمسامير، يقال: ابتاض الرجل: أي لبس البيضة. ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (٢٥٧/١٨).

النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه، وأدمي وجهه وكسرت رباعيته، وكان علي يختلف بالماء في المجن[١]، وكانت فاطمة تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة، عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه، فرقأ الدم"[٢]. والحصير: بساط يصنع من سعف النخل[٣]، فرماد السعف وطيب رائحته توقف نزيف الدم وتقبضه وتعمل على جفافه[٤].

سادساً: خاصية الطيب والتنظيف لبعض ورق الشجر:

مما يدلّ على قيمة الشجر الشرعية أنّ استعمال ورقه مشروعاً في بعض العبادات والشعائر، إمّا لتحقيق النزاهة والنظافة، أو لاتخاذه طيباً لرائحته الزكية؛ ويستدل على ذلك بحديث أم عطية رضي الله عنها، قالت: توفيت إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً أو أكثر من ذلك، إن رأيتن بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورا – أو شيئا من كافور – فإذا فرغتن، فآذنني" قالت: فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حقو ه[٥]، فقال: "أشعرنها إياه"[٦].

وقد تكلّم العلماء على خاصيّة هذه النباتات وأثرها في الإنقاء والتزكية والتطييب ما يبيّن أثرها، ويدل على قيمتها في الدراسات الشرعية والمراجع العلمية، ومن ذلك ما أشار إليه ابن حجر –رحمه الله– تعليقاً على الحكمة في استعمال الكافور– وهو زهر يستخرج من شحم جمّار الفحل من النخل– في غسل الميت بقوله:" قيل الحكمة في الكافور –مع كونه يطيب رائحة الموضع لأجل من يحضر من الملائكة وغيرهم– أنّ فيه تجفيفاً وتبريداً وقوة نفوذ وخاصيةً في تصليب بدن الميت وطرد الهوام عنه وردع ما يتحلل من الفضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو أقوى الأراييح الطيبة في ذلك وهذا هو

---

(١) المِجَنّ: بكسر الجيم هو الترس، وكل ما استتر به من السلاح فهو جُنّة، والجنة ما اتقي به. ينظر: مقاييس اللغة، للرازي، (٤٢٢/١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب دواء الجرح بإحراق الحصير، وغسل المرأة عن أبيها الدم عن وجهه، وحمل الماء في الترس، رقم (٣٠٣٧)، (٦٥/٤)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم (١٧٩٠)، (١٤١٦/٣)، ومعنى فرقأ الدم: أي سكن بعد جريه. ينظر: عمدة القاري، للعيني، (١٤/ ١٨٤).

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (٤٨٩/١).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (١٧٤/١٠).

(٥) يعني إزاره، وأصل الحقو معقد الإزار .. ، ومعنى أشعرنها إياه اجعلنه شعاراً لها؛ وهو الثوب الذي يلي الجسد سمي شعاراً لأنه يلي شعر الجسد. شرح مسلم، للنووي،(٣/٧).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب يجعل الكافور في آخره، رقم (١٢٥٨)، (٧٤/٢).

السر في جعله في الأخيرة إذ لو كان في الأولى مثلا لأذهبه الماء"[١]، ويُفهم من كلام ابن حجر -رحمه الله- خاصيّة نبات الكافور المتعددة المصالح والمنافع، وأنّه لا يجتمع لغيره ما اجتمع فيه.

كما أشار القسطلاني -رحمه الله- لمعنى الإنقاء والنظافة في ورق السدر -شجرة النبق وهي ثمرته يضرب الورق ويطحن ويخلط بالماء فيكون له رغوة-، فذكر أن الغسلات الثلاث به لأجل الإنقاء، فإن حصل به وإلاّ زيد في الغسلات وتراً حتى يحصل الإنقاء للميت، فإنّ المقصود بغسل الميت النظافة[٢]، فالماء مع السدر يقلع الأوساخ وينقي البشرة وينعّمها ويشدّ العصب[٣].

سابعاً: تحريم قطع الشجر والنبات بحرم مكة[٤]:

الأحكام المتعلقة بالحرم ومنها تحريم قطع شجره ونباته؛ هي خصوصية للحرم، وتدل على وجوب تكريمه واحترامه؛ لأنّ لها علاقة ونسبة ببيت الله المحرم، وهو تكريم للكعبة وإجلال للبيت[٥].

كما أنّ اختصاص الشجر بهذه الأحكام يدل على القيمة الكريمة له بهذا الاختصاص في دين الله.

ويستدل على ذلك بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها، إلا لمعرف"، وقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر، لصاغتنا وقبورنا؟ فقال: "إلا الإذخر"[٦]، فظهرت قيمته تحريماً واستثناءً.

المطلب الثالث: قيم الثقافة الإسلامية المتعلقة بالغرس والتشجير.

والمقصود بقيم الثقافة الإسلامية المتعلقة بالغرس والتشجير في هذا البحث: ما لفتت إليه المصادر الشرعية من المعاني والمبادئ العلمية والعملية المتعلقة بالغرس والتشجير والتي يعود أثرها على الفرد والمجتمع المسلم وتسهم في بناء الوطن وتنميته.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، (١٢٩/٣).

(٢) ينظر: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني، (٣٨٤/٢).

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري، (٣٤٠/٥)، وينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، (١٨٣/٤).

(٤) وحدوده معروفة بعلامات منصوبة محدّدة على مداخلها من جهاتها الأربع، وهي حدود شرعية ثابتة بالنصوص الشرعية، ينظر: أخبار مكة، للأزرقي، (١٢٨/٢)، وأخبار مكة، للفاكهي، (٥٨/٥).

(٥) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري، (٣٤٦/٨).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب لا ينفر صيد الحرم، رقم (١٨٣٣)، (١٤/٣). والإذخر: حشيش ينبت بمكة تطيب به أكفان الموتى ويوضع في قبورهم. ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٣٣٤/٣).

والقيم في هذا المطلب هي أحكام سلوكية مهتدية بمجموع النصوص الشرعية ومتسقة مع الآداب الشرعية تحدّد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك.

وسأورد هذه القيم بعنوان وتعليق يفي بالمطلوب ويحقق الهدف من البحث إن شاء الله.

أولاً: احترام الشجر:

وقد مرّ معنا تعظيمه في الحرم بما يفي بالدلالة، ويستشهد لاحترامه خارج سياق الحرم بوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما بعث جيشاً للشام وجاء فيها: "ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تحرقن نخلاً، ولا تغرقنه"(١)، والنهي عن قطع الشجر المثمر وعن حرق النخل أو تغريقه؛ لرجحان تغلب المسلمين واستيلائهم على بلاد عدوهم وظهورهم عليها وانتفاعهم من ذلك، وهذه قيمة عظيمة من قيم المسلمين باستثمار الأشجار والنخيل ومنافعها لهم، أمّا إذا ترجّح عدم الاستفادة منها أو لا يرجى مقام المسلمين فيها لبعدها وتوغلها فتقطع الأشجار المثمرة وتحرق النخيل لئلاّ يتقوى بها العدو على المسلمين، وهذا هو قول الجمهور(٢)، وروى ابن عمر رضي الله عنهما (أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حرّق نخل بني النضير)(٣)، وهذا يدلّ على أن الشجر والنخل وثمره قوّة اقتصادية لمن تملكها.

ثانياً: العدل والمساواة:

من القيم المتعلقة بالغرس والتشجير في الدراسات الشرعية؛ تحقيق قيمة العدل وهو ضد الظلم، والسواسية بين المسلمين في المنافع العامة، وفي الحديث: "المسلمون شركاء في ثلاث في الكلأ، والماء، والنار"(٤)، والكلأ: الذي ينبت في الأرض غير المملوكة، فلا يختص به أحد، والاختصاص به أثرة وظلم للغير، فهي شركة عامة، وليس لأحد أن يمنع أحداً من الانتفاع به.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والصبيان في الغزو، رقم (١٦٢٧)، (٦٥٣/٣)، قال البيهقي: مرسل. ينظر: معرفة السنن والآثار، للبيهقي، (٢٤٩/١٣).

(٢) شرح مسلم، للنووي، (٥٠/١٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حرق الدور والنخيل، رقم (٣٠٢١)، (٦٢/٤)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها، رقم (١٧٤٦)، ١٣٥٦/٠٣).

(٤) أخرجه أبو داوود، كتاب البيوع، باب في منع الماء، رقم (٣٤٧٧)، (٢٨٧/٣) وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داوود، (٢٧٨/٣).

ثالثاً: الإحسان:

وتتجلى قيمة الإحسان في الغرس والتشجير بأنها تشمل الإحسان للإنسان والطير والماشية، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة) (١)، قال النووي-رحمه الله-:" فيه فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعلي ذلك مستمر مادام الغِراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة"(٢).

ومن الإحسان كون الخارج من الأرض من أنواع الزكاة، التي تؤدّى للأصناف المستحقة شرعاً في كتاب الله، قال تعالى: **{وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}** [الأنعام:١٤١].

رابعاً: التقدير والتنزيه:

جاءت النصوص الشرعية بتقدير مصالح الناس وما يحتاجون إليه؛ ومما يرتبط بقيم الغرس والتشجير تقدير الظل وتنزيهه عن الأذى الذي يلحق بالمنتفع به، قال صلى الله عليه وسلم (اتقوا اللعانين قالوا وما اللعانان يارسول الله قال الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم) (٣)، أي اجتنبوا مواضع اللعن، بمعنى أن من فعل ذلك شتم ولعن في العادة، فصار العمل داعياً للّعن، وذلك لأنه إيذاء للناس بإبطال منفعتهم من ذلك، والمراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه(٤).

خامساً: الصدق:

ومن صور القيم في الغرس والتشجير ومنافعهما من الثمرات؛ الصدق، ويتجلى ذلك في إيجاب بيع الثمر في وقت يتبين صلاحه ومنفعته خوفاً من الغرر، وفي ذلك نصوص كثيرة أكتفي بما يفي بمعنى القيمة بشاهد واحد، وهو حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تبيعوا الثمر حتى يبدو صلاحه، ولا تبيعوا الثمر بالتمر"(٥)، وبدو الصلاح دليل على سلامتها من الآفات لأنه ربما تلفت الثمرة قبل إدراكها فيكون البائع قد أكل مال أخيه بالباطل(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق، والظلال، رقم (٢٦٩)، (٢٦٢/١).

(٢) شرح مسلم، للنووي، (٢١٣/١٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، رقم (٢٦٩)، (٢٢٦/١).

(٤) ينظر: شرح مسلم، للنووي، (١٦٢/٣)، وفيض القدير للمناوي، (١٣٥/١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع المزابنة، رقم (٢١٨٣)، (٧٥/٣).

(٦) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (٣٩٧/٤)، شرح مسلم، للنووي، (١٦٢/٣).

سادساً: الجدية والاجتهاد مع التوكل على الله:

حثّ الإسلام على الأخذ بالعزائم والاستعاذة من العجز والكسل فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل) (١)، مع الأمر بالتوكل على الله جلّ وعلا وتفويض الأمور إليه في النتائج، قال تعالى: **{وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}** [المائدة:٢٣]، والغرس والتشجير وما في معناهما من الزرع والحرث مفتقرٌ إلى ذلك، لأنّ الغرس والزرع فعل سبب، والإثمار بيد الله سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: **{فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا}**[عبس:٢٧]، فالمنبت هو الله تعالى، والعبد فاعل للسبب، وهذا يورث المسلم توكلاً على الله جل وعلا مع العمل الجاد والاجتهاد في الحقول والمزارع، ومما يبين عظمة هذه القيمة؛ قوله تعالى قبل هذه الآيات: **{كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَة}**[عبس:١١](٢).

سابعاً: الصبر:

وهو من القيم الشرعية التي حثت عليها الأدلة كثيراً، ويأتي في سياق قيم الغرس والتشجير والزراعة منذ البداية في رحلة الماء وطلب الغيث أو حفر الآبار، وحتى البذر أو الغرس والسقي والنظر والمتابعة، حتى تصل إلى مرحلة الإثمار والجني، وهذه مراحل تمر في شهور وأيام، وقد يعتريها من الجوائح والآفات ما يفوّت ثمرتها، أو يقتلعها من أصلها؛ مما يجعل قيمة الصبر راسخة في نفس الزارع والغارس، مستلهماً عون الله له في غرسه، والذي أمر بعمارة الأرض واستخلف الإنسان فيها وهيء له الأسباب؛ هو الذي أمره بالصبر وحثه عليه.

ثامناً: التفكر والتأمل:

يختم ربنا آيات كثيرة بالدعوة للتفكر والتأمل وإمعان النظر وحسن التدبر؛ لما في ذلك من تحقيق لمراد الله من تنزيل آياته وبديع صنعه وحسن خلقه، ومن تلك الآيات؛ المتعلقة بالشجر والغرس والزرع والثمر، قال تعالى: **{انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}** [الأنعام:٩٩]، قال السعدي-رحمه الله-:"ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، فقال: "(انْظُرُوا) نظر فكر واعتبار.. فإن في ذلك عبراً وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده..، ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ به من الجبن، رقم (٢٨٢٣)، (٢٣/٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، رقم (٢٧٠٦)، (٢٠٧٩/٤).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص (٩١١).

وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: **{انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون} [الأنعام:٩٩]**"(١).

ولعلي أكتفي بما أشرت إليه من قيم الثقافة الإسلامية المتعلقة بالغرس والتشجير، وما تعود به للمسلم في حياته وفكره وسلوكه، استمداداً من نصوص الأدلة الشرعية، وما أثرته الدراسات الشرعية من شرح وتفصيل وتوضيح.

المبحث الثاني: أثر الغرس والتشجير في تنمية الوطن وازدهاره من منظور الثقافة الإسلامية.

وبعد تأصيل القيم المتعلقة بالغرس والتشجير في الدراسات الشرعية، وإظهار معانيها؛ أوضّح في هذا المبحث الأثر المترتب على الغرس والتشجير في تنمية الوطن وازدهاره، وإن كان هذا صالحاً لكل وطن ينطلق مواطنوه من ثقافة الإسلام؛ إلاّ أني أعني بهذه الدراسة والشواهد عليها هذا الوطن المبارك: المملكة العربية السعودية.

والمقصود بالأثر في هذا المبحث: هو ما يترتب على الغرس والتشجير من منافع ومصالح تعود للوطن والمواطن، وتتسق هذه الآثار مع ما دعت إليه الشريعة الإسلامية من المقاصد والمآلات المحمودة المستنبطة من المصادر والدراسات الشرعية.

المطلب الأول: الآثار الشرعية.

ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

أولاً: تحقيق الإيمان بالله:

ويتبيّن هذا الأثر من خلال علاقة المزارع وارتباطه بالله جل وعلا وما سخره من عوامل الإنبات، فيتعلق المؤمن بالله في طلب الغيث والسقيا، ويتعلق بالله في نجاح الثمر وتمامه، ولذا جاءت النصوص في ذكر هذه الآلاء لتحقيق هذه الثمرة العظيمة، قال تعالى: **{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ{٢٤} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا{٢٥} ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا{٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا{٢٧} وَعِنَبًا وَقَضْبًا{٢٨} وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً{٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْبًا{٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا{٣١} مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُم}[عبس ٢٤-٣٢]**، قال ابن عاشور حمه الله : "وإسناد الصب والشق والإنبات إلى ضمير الجلالة لأن الله مقدر نظام الأسباب المؤثرة في ذلك، ومحكم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص (٢٦٧).

نواميسها وملهم الناس استعمالها"[1]، .وقال تعالى:**{وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ}**[البقرة:٢٢]، والآيات الدالة على ارتباط الزارع بالله تعالى والإيمان بقدرته وتوكله عليه كثيرة جداً؛ لما يرى من عظيم القدرة والتأثير والحفظ والرعاية للنبات، مما يورثه زيادة الإيمان بالله تعالى.

ثانياً: تحقيق الإيمان بالقضاء والقدر:

ويتبين هذا الأثر في إمكان حدوث الجوائح والآفات التي تصيب الأشجار والزروع والثمار، فهي تثمر لدى المسلم يقيناً بحفظ الله أولاً، ثمّ إيماناً بما يقضيه الله ويقدره على شجره وثمره من الأقدار المؤلمة، ولذلك جاء التحوط بمنع بيع الثمر قبل بدو صلاحه، كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تبيعوا الثمر حتى يبدو صلاحه)[2]، تلافياً لفوات مصلحته بهذه الآفات وهي كثيرة، ومما يدل على ما يحقق أثر الإيمان بالقضاء والقدر ما جاء عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة) [3]

قال النووي-رحمه الله-:"وأن الإنسان يثاب على ما سرق من ماله أو أتلفته دابة أو طائر ونحوهما وقوله صلى الله عليه وسلم، (ولا يرزؤه) أي ينقصه ويأخذ منه"[4] وهذه المعاني المرتبطة بالعقيدة في مبناها ومعناها لها أعظم الأثر على المجتمع المسلم في تمسكه بثوابته وتحقيق أهدافه وطموحه.

ثالثاً: إثراء الشكر بعد الأكل من طيبات الثمار دون سرف:وقد اجتمعت هذه الآثار في آية واحدة قال تعالى: **{كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** [الأنعام:١٤١] فتكون الآثار الشرعية في هذه الآية في الأكل بلا سرف وإعطاء الصدقة والزكاة.

وحصول هذا الأثر وإثراؤه في المجتمع له آثار إيجابية على الوطن، في التلذذ بما أنعم الله وحفظ هذه النعم وشكرها، وإطعام المستحقين منها.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٣١/٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع المزابنة، رقم (٢١٨٣)، (٧٥/٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الزرع والغرس، رقم (١٥٥٢)، (١١٨٨/٣).

(٤) شرح مسلم، للنووي، (٢١٣/١٠).

رابعاً: تحقيق عمارة الأرض:

وهو مقصد شرعي من استخلاف الإنسان في الأرض، كما قال تعالى: **{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيب} [هود:٦١]**.

ومن ثمرات الغرس والتشجير في الجانب الشرعي؛ تحقيق مراد الله في هذه الخلافة في الأرض، وقد نهى الله جل وعلا عن إهلاك الحرث وسماه فساداً في الأرض كما قال تعالى: **{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَاد}[البقرة:٢٠٥]** ، قال أبو حيان–رحمه الله–: "بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين"(١).

المطلب الثاني: الآثار البيئية.

ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

أولاً: توفير الظل:

الشجر في الصحراء مستظل للناس والدواب، وهو في المدن والحواضر ظلال وارف وتحسين للمنظر، وقد أشار الإمام مالك –رحمه الله– إلى النهي عن قطع سدر المدينة ليبقى ظلاً لمن يهاجر إليها(٢).

قال تعالى: **{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً}[النحل:٨١]** يعني الشجر(٣)، وأنبت الله على نبيه يونس عليه السلام شجرة القرع تظله بعد أن خرج من بطن الحوت(٤)، قال تعالى: **{وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِين}[الصافات:١٤٦]** ، واستفاد النبي صلى الله عليه وسلم من ظل الشجرة في البيعة(٥)، كما قال تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح:١٨]**، وقد هدفت رؤية ٢٠٣٠ من خلال مبادرة السعودية الخضراء إلى بلوغ الهدف النهائي المتمثل بزراعة ٤٥٠ مليون شجرة بحلول عام ٢٠٣٠م(٦)، والتي ستكون –بإذن الله– محققة للمعاني الشرعية والإنسانية من الغرس والتشجير.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (٥/ ٧٠).

(٢) ينظر: معالم السنن، للخطابي، (٢/٢٢٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٥٩٢).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢١/١١٢)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/٤٠).

(٥) ينظر: الأشجار ودورها التنموي البيئي في ضوء القرآن الكريم، هشام حاج مأمينج، ص (٥٤).

(٦) موقع مبادرتي السعودية الخضراء والشرق الأوسط الأخضر: https://www.greeninitiatives.gov.sa/ar-sa/ تاريخ الزيارة: ١٠/٧/٢٠٢٤م.

ثانياً: تلطيف المناخ وتحسين الأجواء:

تحسين المناخ وتلطيف الهواء من آثار الغرس والتشجير، وهو ثابت بالدراسات والتجارب، وقد سعت المملكة العربية السعودية منذ انطلاق رؤية ٢٠٣٠ خطوات حثيثة في هذا الموضوع من خلال مبادرتي: السعودية الخضراء، والشرق الأوسط الأخضر، وهدفت إلى حماية البيئة وتقليل الانبعاثات الكربونية وزيادة الطاقة النظيفة ومكافحة تغير المناخ(١)، ولذلك جاءت هذه المبادرة الكريمة وفقاً لمقتضيات القواعد والنصوص الشرعية التي كان من مصالح الغرس والتشجير خلو الهواء من الملوثات ولدورها في توازن غازات الجو(٢).

ثالثاً: مكافحة التصحر:

المحافظة على البيئة من الاحتطاب والرعي الجائر من المصالح العامة التي تؤثر على البيئة، لأنّ الغطاء النباتي له أثر على مصالح متعددة في الأرض، قال تعالى: **{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ}** [الحجر:١٩]، قال الطبري –رحمه الله–:"أي: من كل شيء مقدر، وبحد معلوم"(٣).

ومما يسهم في تحقيق هذا الأثر في المملكة العربية السعودية جهود المركز الوطني لتنمية الغطاء النباتي ومكافحة التصحر والذي من مهامه: وضع المبادرات وبرامج ومشروعات التنمية الغطاء النباتي ومكافحة التصحر، ومتابعة تنفيذها وتطوير وحماية مناطق الغطاء النباتي بجميع بيئاته والموارد الوراثية النباتية والعمل على زيادة نسبة الغطاء النباتي في جميع مناطق التنمية (٤).

رابعاً: تجميل البيئة:

وقد مرّ معنا عدد من النصوص الدالة على بيان جمالية الشجر في الكتاب والسنة (٥)، فهو يؤثر على البيئة بكمال الزينة والمنظر الحسن، "وقد سئل مالك –رحمه الله– عن قطع سدر المدينة وما جاء فيه من النهي؟ فقال إنما نهى صلى الله عليه وسلم عن قطع سدر المدينة لئلا توحش وليبقى فيها

---

(١) موقع مبادرتي السعودية الخضراء والشرق الأوسط الأخضر: https://www.greeninitiatives.gov.sa/ar-sa/ تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/٧/١٠م.

(٢) ينظر: حماية الشريعة الإسلامية للبيئة الطبيعية، د. هناء فهمي سعيد، ص (١٤٤).

(٣) جامع البيان، للطبري، (٧٩/١٧).

(٤) المركز الوطني لتنمية الغطاء النباتي ومكافحة التصحر، https://ncvc.gov.sa/ar ، تاريخ الزيارة ٢٠٢٤/٧/١٠م.

(٥) ينظر: ص(١٣).

شجرها فيُستأنس بذلك ويستظل بها من هاجر إليها" [١]. وجاءت النصوص الشرعية ببيان هذا الأثر من الغرس والنبات، كما قال تعالى:**{انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}** **[الأنعام:٩٩]**، "فالأمر بالنظر في سياق الجمال والمتاع إضافة إلى مجال التدبر في آيات الله"[٢].

ولما وصف الله ما تركه فرعون وقومه بعد عقابهم، ذكر من آلاءه عليهم جمال بيئتهم، قال جل وعلا: **{كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون {٢٥} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيم و{٢٦{نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين}** [الدخان: ٢٥-٢٧]، ويصف ربنا جل وعلا أثر النبات على الأرض بإدخال السرور والبهجة على النفوس بقوله تعالى: **{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج}**[ق:٧] "أي: حسن المنظر طيب الريح"[٣].

المطلب الثالث: الآثار الاقتصادية.

ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

أولاً: الغرس والزراعة أفضل المكاسب:

وقد رجّح النووي أن الزراعة أفضل المكاسب [٤] لاجتماع الكسب باليد والصدقة والتوكل وأنواع المعروف فيها، وكونها أفضل المكاسب يجعل لها أثراً اقتصادياً فيه قربة إلى الله.

ثانياً: زيادة الإنتاج والدخل:

ويستشهد على ذلك بأهم الثمار في المملكة؛ وهي التمر، فقد بلغ إنتاجه في عام٢٠٢٠: ٢١٥,٣٤٣,٠٠٥ كيلو، وبقيمة إجمالية بلغت:٩٢٧,٦٩١ ,٩٦٩ ريالاً. [٥].

وقد أشارت الدراسات الشرعية أنّ المدينة كان بها زمن النبوة أكثر من ١٢٠ نوعاً من النخيل[٦]،ويعتبر ذلك قوتاً لأهلها وتجارة وبركة.

---

(١) معالم السنن، للخطابي، (٢/٢٢٣).

(٢) الأشجار ودورها التنموي البيئي في ضوء القرآن الكريم، هشام حاج مأمينج، ص (٥٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/٣٩٨).

(٤) ينظر: شرح مسلم، للنووي، (١٠/٢١٣).

(٥)التقرير السنوي للمركز الوطني للنخيل والتمور لعام ٢٠٢٠م، https://ncpd.org.sa/elnakhel/public تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/٧/١٠م.

(٦) ينظر: شرح مسلم، للنووي، (١٠/٢١٣).

ثالثاً: الادّخار:

وهو أحد أساليب التنمية المستدامة في رؤية ٢٠٣٠، للحفاظ على المنتجات الغذائية ومنها محاصيل الزراعة كالحبوب مثلاً، وذلك في أوقات الأزمات، والحدّ من الفقد والهدر الغذائي [١].

رابعاً: استعمال الشجر والنبات في الصناعات المختلفة: تستخدم صناعات متعددة من نواتج الزراعة، ومن ذلك المراكب والسفن البحرية، كما قال تعالى فيقصة نوح عليه السلام: **{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ}**[القمر:١٣].

والألواح من خشب الأشجار، والدسر: المسامير التي تشد بها الأخشاب[٢]، كما تستعمل النباتات في المستحضرات والأدوية الطبية والعلاجية[٣]، كما تصنع الملابس من نبات القطن والكتان، وتصنع الملابس الأخرى كالحرير والصوف وغيره مما يتغذى على النبات[٤]، كما يستفاد من الأشجار في توليد الطاقة وإشعال النار والاستفادة منها في المنافع الحياتية والاقتصادية، كما قال تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ{٧١} أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ}**[الواقعة:٧١-٧٢].

وبعد عرض هذه الآثار المترتبة على الغرس والتشجير في سياقها الشرعي والبيئي والاقتصادي، والتي أظهرت أصالة هذه القيمة في الدراسات الشرعية وامتداد أثرها على نمو الوطن من خلال عرض هذه المبادرات والنواتج المجدولة لها وفق مستهدفات رؤية ٢٠٣٠، وهي بحمد الله آثار يعود نفعها على الفرد والمجتمع، تتفق مع ما جاء به الإسلام في المحافظة على ضرورات الإسلام، وتحقيق مقاصده، ودعوته لعمارة الأرض وإصلاحها.

النتائج والتوصيات:

أحمد الله وأشكره على تمام هذا البحث الذي تناولت فيه قيمة الغرس والتشجير ومكانته في الإسلام من خلال المصادر الشرعية ودلالاتها، وبيان قيمتها وأثرها على نمو المملكة العربية السعودية، وجعلها ضمن مستهدفات رؤية حضارية -رؤية ٢٠٣٠-معلنة الأهداف والخطط والبرامج.

---

(١) موقع وزارة البيئة والمياه: https://www.mewa.gov.sa/ar تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/٧/١٠م.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٥٧٩/٢٢)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٧٧/٧).

(٣) ينظر: الطب النبوي، لابن القيم، ص(٧٣).

(٤) ينظر: الشجر والثمر في القرآن الكريم، أسماء الحمد، ص(٢٦٠-٢٦١).

وفي ختام هذا البحث أعرض عدداً من النتائج والتوصيات وفق الآتي:

أولاً: النتائج:

١- القيم والآداب المتعلقة بالغرس والتشجير مصدرها الدراسات الشرعية.

٢- الأنظمة البيئية في المملكة العربية السعودية منسجمة مع الأصول الشرعية ومقاصدها.

٣- الغرس والتشجير في منظور الشريعة الإسلامية له ارتباط وثيق بالجانب الحضاري المعاصر المتمثل في المبادرات الحديثة، ويسهم في تنمية الوطن وازدهاره.

٤- من القيم التي دعت إليها الدراسات الشرعية في موضوع الزراعة والتشجير؛ العمل الجاد والهمة العالية؛ وهو ما يجعل الوطن والمواطن في مراحل من التخطيط والعمل على تحقيق الأهداف بصورة مستمرة.

٥- أسهمت هذه الدراسة في تأييد مبادرات المملكة العربية السعودية الداعية للغرس والتشجير من جانب الدراسات الشرعية وفق منظور الثقافة الإسلامية.

ثانياً: التوصيات:

١) يوصي الباحث بضرورة وجود حقول زراعية في الجامعات السعودية تشمل الجانب العلمي الشرعي المتعلق بآداب وقيم النباتات، والتعريف بأبرز النباتات في كل بيئة جامعية.

٢) يوصي الباحث بالشراكات العلمية الشرعية في مبادرة المملكة: (السعودية الخضراء)، والتواصل العلمي مع المراكز والجمعيات التي تعنى بالغرس والتشجير للإفادة في جوانب الدراسات الشرعية.

٣) يوصي الباحث بدراسة الجوانب البيئية وفق الدراسات الشرعية وأصولها، للتعريف بأصالة المراجع الشرعية وسبقها العلمي، وبيان معاصرتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

المراجع والمصادر

١- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق الفاكهي، دار خضر، بيروت.

٤- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، محمد بن عبد الله الأزرقي، دار الأندلس، بيروت.

٥- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، م الكبرى، مصر.

٦- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ.

٧- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، ت.محمود باسل، دار المكتبة العلمية، بيروت.

٨- أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية.

١٠- التعريفات، علي محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٢- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

١٤- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٥- حماية الشريعة الإسلامية للبيئة الطبيعية، د. هناء فهمي أحمد عيسى، مجلة كلية الشريعة، طنطا، ٢٠١٨.

١٦- رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين ابن عابدين الحنفي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٧- سنن ابن ماجة، محمد القزويني ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية.

١٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

١٩- شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال، م الرشد، الرياض.

٢٠- الشجر والثمر في القرآن الكريم دلالاته ومقاصده -دراسة موضوعية-، أسماء عبد الرحمن الحمد، (رسالة ماجستير)، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.

٢١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٣- الطب النبوي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الهلال، بيروت.

٢٤- عالم النباتات في ضوء القرآن الكريم، د. محمد جابر الحلواني، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة أم القرى.

٢٥- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، م العاني، بغداد.

٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة.

٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، دار الغرباء.

٢٨- فتح القدير، محمد علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف الحدادي المناوي، المكتبة الكبرى، مصر

٣٠- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٣١- لسان العرب، محمد مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة.

٣٣- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد المباركفوري، البحوث العلمية، الهند.

٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت. شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

٣٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.

٣٦- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة

٣٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢.

٣٩- نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، لعدد من المختصين بإشراف د/ صالح بن حميد، والموسوعة الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

٤٠- نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه، د/ناصر الدين الأسد، مؤتمر أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع، ٢٠٠١م.

٤١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت.

المواقع الألكترونية:

١- موقع مبادرتي السعودية الخضراء والشرق الأوسط الأخضر:

https://www.greeninitiatives.gov.sa/ar-sa١٠/ تاريخ الزيارة: /٧/٢٠٢٤م.

٢- موقع المركز الوطني لتنمية الغطاء النباتي ومكافحة التصحر، https://ncvc.gov.sa/ar ، تاريخ الزيارة ١٠/٧/٢٠٢٤م.

٣- موقع المركز الوطني للنخيل والتمور لعام ٢٠٢٠م،

https://ncpd.org.sa/elnakhel/public تاريخ الزيارة: ١٠/٧/٢٠٢٤م.

موقع وزارة البيئة والمياه: https://www.mewa.gov.sa/ar تاريخ الزيارة: ١٠/٧/٢٠٢٤م.

البحث رقم (٤)

المعايير البلاغية للداعية

إعداد

أ.د. يوسف عبدالله العليوي

الأستاذ بقسم الأدب والبلاغة والنقد

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص الدراسة (المعايير البلاغية للداعية)

تهدف الدراسة إلى الارتقاء بالخطاب الدعوي في مجال مهم، هو لغة الخطاب وبلاغته.

واقترحت الدراسة أهم المعايير البلاغية التي يحسن بالدعاة إلى الله اكتسابها والاتصاف بها لتحقيق التأثير المرغوب من الخطاب الدعوي. وجاءت في أربعة محاور هي:

المحور الأول: أهمية البلاغة في الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يستوعب الداعية مفهوم البلاغة.

٢- أن يؤمن بأهمية البلاغة في الخطاب الدعوي.

٣- أن يتعرف على بلاغة الخطاب الدعوي في القرآن والحديث.

٤- أن يوظف الأساليب البلاغية في الخطاب الدعوي.

المحور الثاني: مقامات الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يراعي في خطابه أحوال المدعوين.

٢- أن يراعي الظروف المحيطة بالخطاب.

٣- أن يراعي الغرض من الخطاب.

٤- أن يفرق بين الخصائص الأسلوبية لكل خطاب.

المحور الثالث: مقاصد الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يعبر عن مقاصده بوضوح.

٢- أن يعبر عن المعاني بأساليب بيانية متنوعة.

٣- أن يتفنن في تقرير المعاني وإقناع المدعوين بها.

٤- أن يقابل الترغيب بالترهيب.

٥- أن يحترس من سوء فهم المخاطب.

المحور الرابع: نظم الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يتخير الألفاظ الملائمة لسياق الخطاب.

٢- أن ينظم الجمل نظمًا مطابقًا لمقتضى الحال.

٣- أن يُحسن ابتداء الخطاب.

٤- أن يبني خطابه بناء مترابطًا منسجمًا.

٥-أن يُعني بالتناسق الصوتي في الخطاب.

٦-أن يُحسن ختام الخطاب.

وإني لأرجو أن تكون هذه المعايير التي اقترحتها الدراسة أساسًا للدعاة والمؤسسات الدعوية في تخطيط البرامج التأهيلية للارتقاء بلغة الخطاب الدعوي وبلاغته؛ ليكون أكثر قبولاً وأعمق تأثيرًا.

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على محمد أشرف من ارتضى من أنبيائه ورسله واصطفى. أما بعد،

فإن من أحسن الأقوال وأشرف الأعمال وأعظم العبادات: الدعوة إلى الله ﷻ (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣].

وما كان هذا الفضل لهذا النوع من القول إلا لكونه دعوة للناس إلى دين الله وعبوديته. ولكن هذا القول كلما كان أبلغ كان أقوى تأثيرًا في النفوس واستمالة إلى الإيمان. وهذا يتطلب من الداعية أن يمتلك من ناصية البيان وبلاغة القول ما يحمل دعوته ويبلغها إلى الناس أحسن بلاغ.

وقد رأيت من الدعاة، وخصوصًا الخطباء، من لا يُعنى كثيرًا ببلاغة خطبه ومكاتباته، فتأتي باردة باهتة أو مجانبة للحكمة. وربما شرّق وغرّب في البحث عما يرتقي بأدائه ويحسن أسلوبه، لكنه يزهد في استثمار البلاغة وهي من أهم الأدوات للرقي بالخطاب الدعوي، وقد كانت مناط إعجاز كتاب الدعوة الأول (القرآن الكريم).

ورغبة في مشاركة الدعاة والمؤسسات الدعوية في تطوير الخطاب الدعوي أعددت هذه الدراسة لتحديد أهم المعايير البلاغية التي يحسن بالدعاة اكتسابها والاتصاف بها لتحقيق التأثير المرغوب من الخطاب الدعوي. كما تستفيد منها المؤسسات الدعوية في التخطيط للبرامج التأهيلية للدعاة إلى الله، والارتقاء بخطابهم في مجال مهم، وهو لغة الخطاب وبلاغته.

وجاءت الدراسة في تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة:

التمهيد: تناول أهم مصطلحات الدراسة، ومشروعية البلاغة في الخطاب الدعوي.

وأما المباحث الأربعة فتناول كل مبحث محورًا من المحاور التي قسمت المعايير إليها فتناول المبحث الأول: أهمية البلاغة في الخطاب الدعوي، والمبحث الثاني: مقام الخطاب، والمبحث الثالث: مقاصد الخطاب، والمبحث الرابع: نظم الخطاب.

وبدأت في كل مبحث بذكر أهم المعايير التي توصلت إليها، ثم أعقبتها بإضاءة موجزة لكل معيار.

وسلكت في تحديد المعايير ثلاث خطوات:

الأولى: إعداد قائمة معايير رأيت أنها مهمة للداعية، مستفيدًا في اختيارها وصياغتها من تخصصي البلاغي، ودراساتي لبلاغة الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومستفيدًا من المدونات

البلاغية والنقدية والأدبية والدعوية التي أشارت إلى المتطلبات المعرفية والمهارية للكاتب والخطيب والداعية. وقسمت المعايير أربعة محاور.

الثانية: عرضت هذه المعايير من خلال استبانة علمية على ثلة من المتخصصين في البلاغة والتربية والإعلام ممن يمارسون الدعوة خطابة أو غيرها، أو لهم اهتمام بها أو بالخطاب والتواصل، عرضتها عليهم لتحكيمها وتقويمها من خلال ثلاثة عناصر: مدى وضوح صياغتها، ومدى أهميتها، ومدى انتمائها للمحور الذي جاءت فيه.

الثالثة: بناء على آراء المحكمين وإضافاتهم القيمة أعدت صياغة بعض المعايير ودمج بعضها وحذف أخرى وإضافة غيرها، حتى استوت على ما هي عليه في هذه الدراسة، وستبقى خاضعة للنظر والتقويم.

ولكل من أسهم في التحكيم والتقويم جزيل الشكر على كريم استجابتهم واستقطاع جزء من وقتهم لإفادة الباحث والمشاركة في الارتقاء بالخطاب الدعوي.

وأسأل الله أن يحسن أقوالنا وأعمالنا وأن يتقبلها منا بقبول حسن، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

أولاً: تعريف بأهم المصطلحات:

١- المعايير.

تستخدم "المعايير" في مجال التعليم والتربية والتأهيل لتكون مرجعًا في التخطيط للتعلم وإعداد المحتوى، وصناعة المنهج وتقويم التعلم والتعليم. والمقصود بالمعيار: جملة خبرية تصف ما ينبغي أن يكتسبه المستهدف به ويتحقق لديه من معارف ومهارات وقيم.

٢- البلاغة.

البلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته [١].

وفصاحة الكلام تكون بخلوه من اللحن، مع وضوحه، وسهولة نطقه، وعذوبة لفظه، وبعده عن التعقيد [٢].

والحال هي: مجموعة الأمور التي تحيط بالكلام وتؤثر فيه، فتدعو إلى التكلم على وجه مخصوص، بحيث يكون للكلام خصوصية زائدة على أصل المراد، وهذه الخصوصية هي مقتضى الحال[٣]، فلو أراد المتكلم أن يخاطب منكرًا فإن حال الإنكار تقتضي تأكيد الكلام، فـ"الحال" في المخاطَب هي الإنكار، و"مقتضى الحال" تأكيد الكلام. وعلى قدر رعاية المتكلم لمقتضى الحال تقاس بلاغة المتكلم والخطاب قوة أو ضعفًا.

٣- الخطاب.

خَاطَب خِطابًا ومُخاطبة -في اللغة- بمعنى: كلّم غيره، وحاوره، وواجهه بالكلام، وراجعه فيه. فالخطاب في اللغة يقتضي اشتراكًا بين طرفين: مخاطِب ومُخاطَب؛ ولذا جاء على وزن المُفاعَلة [٤].

وعلى هذا المعنى اللغوي ورد استعمال "الخِطاب" في القرآن العظيم، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

---

(١) ينظر في تعريف البلاغة: مفتاح العلوم: ١٦٨ و٤١٥ و٤٣٢، وشروح التلخيص: ١/١٢٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١/٤٠٢.

(٢) ينظر في تعريف الفصاحة ومعاييرها: سر الفصاحة: ٥٨ و٦٣، وشروح التلخيص: ١/٨٠-١٢١، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٣/١١٠.

(٣) ينظر: شرح التلخيص: ١٤٦، ومختصر السعد: ١/٣٧، ومواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص: ١/١٢٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٧/٢٤٧، وأساس البلاغة: ٢٥٥، ولسان العرب: ١/٣٦١، والمصباح المنير: ١/٨٦.

ومصطلح "الخطاب" عند البلاغيين يستعمل في هذا المفهوم (توجيه الكلام)، وعرفه الدسوقي (ت١٢٣٠هـ): بأنه ((توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)) [١]، وهو من تعريفات الأصوليين للخِطاب [٢].

ويرد عند بعض البلاغيين مصطلح "الخطاب العام" ويراد منه: أن يخاطب به غير معين، إيذانًا بأن الأمر لعظمته حقيق بأن لا يُخاطب به أحد دون أحد [٣].

ويستعمل "الخِطاب" عندهم اسمًا للكلام الذي يخاطَب به، من باب وضع الاسم موضع المصدر، كما قيل للكلام الذي يتكلم به الخطيب: خُطبة [٤].

والدراسات اللغوية الحديثة تختلف في تعريف الخطاب، فبعضها تقصره على المنطوق دون المكتوب، ويغلب عليها وصفه بأنه: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة [٥]، وتعرفه بعض الدراسات بأنه: كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما[٦]، وهذا التعريف يتفق مع ما ورد عند العرب في الدراسات اللغوية والبلاغية والأصولية على ما ذكر آنفًا.

ويتوسع بعض المعاصرين في استعمال مصطلح "الخطاب" ليعم كل الدوال اللفظية أو غير اللفظية التي تؤدي المعاني، وتحقق الإفهام والتواصل بين المتخاطبين [٧].

وبما أن الحديث عن (بلاغة) الخطاب الدعوي فإن هذه الدراسة ستتناول الخطاب (اللفظي)، لكنها لا تُخرج أي دلالات غير لفظية تصاحب اللغة اللفظية؛ لتسهم معها في الدلالة على المعنى وإرادة التأثير في المخاطَب، أما الدلالات غير اللفظية التي يقتصر عليها في أداء المعنى فلن تكون من مجال البحث البلاغي هنا.

---

(١) حاشية الدسوقي على مختصر السعد: ١/٤٥.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ١/١٣١-١٣٢، والبحر المحيط في أصول الفقه: ١/١٢٦.

(٣) ينظر: عروس الأفراح: ٤/٤٧٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٧/٢٤٦، ولسان العرب: ١/٣٦١، وحاشية الدسوقي على مختصر السعد: ١/٤٤.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٧.

(٦) ينظر السابق.

(٧) ينظر السابق.

كما أن الدراسة تتناول الخِطاب باعتباره كل قول موجَّه إلى مخاطَب، مراد به الإفهام والتأثير، ولو كان جملة، أو أقل من جملة تقوم مقام الكلام في السياق الذي وردت فيه، مثل الإجابة على استفهام ما بـ(نعم) أو (لا).

٤- الدعوة:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو أن تُميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك))(١).

والدعوة فيها طلب وترغيب إلى الشيء وحث عليه واستمالة إليه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥].

والمقصود بـ"الدعوة" هنا ما ذكره ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في قوله: ((الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، وبتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا))(٢).

٥- الخطاب الدعوي:

مما سبق بيانه في مفهومي الخطاب والدعوة فإن "الخطاب الدعوي" هو: الخطاب الذي يتوجه إلى المدعوين بهدف التأثير فيهم للدخول في الإسلام أو الاستقامة عليه.

وتتنوع وسائله اللفظية إلى: الخُطبة، والرسالة، والقصة، والحوار، وغيرها.

كما تتنوع مضامينه تبعًا لطبيعة موضوع الدعوة وحال المدعو المواجه بالخطاب.

ثانيًا: مشروعية البلاغة في الخطاب الدعوي:

لما للبلاغة من الأهمية في التأثير على النفوس واستمالتها إلى الحق وصدها عن الباطل فقد نص بعض أهل العلم على استحباب البلاغة في مقام الموعظة والدعوة إلى الله ﷻ(٣).

ومما يدل على استحباب البلاغة شرعًا في الخطاب الدعوي ما يأتي:

أولاً: قول الله ﷻ لرسوله ﷺ في شأن المنافقين: ﴿وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء: ٦٣]، واستُدل بهذه الآية على فضل البلاغة والأمر بها في الدعوة إلى الله، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ):

---

(١) مقاييس اللغة: ٢/٢٧٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٥/١٥٧.

(٣) ينظر: الأم: ٢/٤٠٩، والمجموع شرح المهذب: ٤/٤٠٠، وشرح صحيح مسلم: ١٢/١٠٨، وجامع العلوم والحكم: ٢/١١١، وعمدة القاري: ١/١٠٠.

((البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ هي علم المعاني والبيان[1]، فيذكر من المعاني ما هو أكمل مناسبة للمطلوب، ويذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني؛ فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب أو غاية الممكن من المعاني بأتم ما يكون من البيان، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة، وبين تبيينها بأحسن وجه))[2].

ثانيًا: قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، قال السّعدي (ت١٣٧٦هـ) في تفسير الآية: ((ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله))[3].

ثالثًا: قول النبي ﷺ: «إِنَّ مِن الْبَيَانِ سِحْرًا» على قول الجمهور بأن تشبيه (البيان) بـ(السِّحر) خرج مخرج المدح لا الذم[4]. وورد هذا التشبيه في سياق الحديث عن فقه خطبة الجمعة، وهو مقام دعوي، كما أخرج مسلم أن عمار بن ياسر ﷺ خطب فأوجز وأبلغ، فلما نزل قيل له: يا أبا اليقظان، لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تَنَفَّسْت. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «إِنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ؛ فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِن الْبَيَانِ سِحْرًا»[5].

---

(١) قال هذا بعد قوله: ((ليست الفصاحة التشدق في الكلام، والتقعير في الكلام، ولا سجع الكلام، ولا كان في خطبة علي ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلف الأسجاع، ولا تكلف التحسين الذي يعود إلى مجرد اللفظ، الذي يسمى علم البديع، كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشعر)). وقصر البديع على التحسين اللفظي تسمُّح في العبارة؛ لأن البديع منه ما يعود النظر فيه إلى اللفظ كالسجع والجناس والتصدير، ومنه ما يعود إلى المعنى كالطباق والمقابلة ومراعاة النظير، ومن المحسنات البديعية ما هو ظاهر في القرآن، ومقصود إليه، كالمقابلة والسجع (الفاصلة)، وإخراج مثل هذه المحسنات إذا جاءت مراعاة للمعنى والمقام عن البلاغة فيه نظر.

(٢) منهاج السنة النبوية: ٨/٥٣-٥٤، وينظر: تفسير سورة النساء، لمصطفى العدوي، في موقع الشبكة الإسلامية (إسلام ويب)، على الرابط:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=fullcontent&audioid=125805.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٢١.

(٤) ينظر في اختلاف العلماء في توجيه التشبيه؛ هل هو على سبيل المدح أو الذم؟: التمهيد: ٥/١٧١، وشرح صحيح البخاري، لابن بطال: ٩/٤٤٧، وشرح صحيح مسلم: ٦/١٥٩، وفتح الباري: ١٣/٢٢٤.

(٥) أخرجه مسلم: (٨٦٩). ومعنى تَنَفَّسْت: أطلت قليلاً، ومَئِنة: علامة، وينظر: شرح صحيح مسلم: ٦/١٥٨.

رابعًا: أن بلاغة القول وفصاحته من منهج الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله ﷻ، الذي أُمر النبي ﷺ بالاقتداء به، كما قال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((وإذا كان هذا أمرًا للرسول ﷺ، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به))[١]. ومن ذلك ما ذكره الله ﷻ في بيان النعم التي أنعم بها على داود عليه السلام، ومنها "فصل الخطاب" في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وفسر "فصل الخطاب" بتفسيرات عديدة، لكن روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه: ((بيان الكلام))[٢]، وقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((﴿فَصْلَ الْخِطَابِ﴾: بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود، بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان... والمعنى: أن داود أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلم جاء بكلام فاصل بين الحق والباطل، شأن كلام الأنبياء والحكماء، وحسبك بكتابه (الزبور) المسمى عند اليهود بـ(المزامير) فهو مثل في بلاغة القول في لغتهم))[٣].

ومما يبين منهج الأنبياء في فصاحة القول وبلاغته في الدعوة إلى الله قول موسى عليه السلام حين أمره الله ﷻ بتبليغ الدعوة إلى فرعون وملئه: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤]، وموسى عليه السلام كما يظهر من الآية لن يعدم فصاحة القول وإبانة الدعوة، ولكنه يطلب الأفصح والردء الذي يصدق، كما قال في موضع آخر: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٧ -٣٢]، لأنه يدرك أن من يقدم عليهم يتطلبون بيانًا عاليًا وحجة غالبة، ومعينًا على القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى ذاك الملك المتكبر الجبار العنيد[٤]. ولقد أمر الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام أن يراعيا حال فرعون في الخطاب فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٩٩/٣.

(٢) ينظر في قول ابن عباس وغيره: معالم التنزيل: ٧٧/٧، وزاد المسير: ١١١/٧-١١٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/١٨.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢٩/٢٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٦/٦.

المحور الأول

أهمية البلاغة في الخطاب الدعوي

يتناول هذا المحور المعايير التي يظهر بها إدراك الداعية وإيمانه بأهمية البلاغة في الخطاب الدعوي.

وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يستوعب الداعية مفهوم البلاغة.

٢- أن يؤمن بأهمية البلاغة في الخطاب الدعوي.

٣- أن يتعرف على بلاغة الخطاب الدعوي في القرآن والحديث.

٤- أن يستثمر الأساليب البلاغية في الخطاب الدعوي.

وهذه إضاءات موجزة حولها:

المعيار الأول: أن يستوعب مفهوم البلاغة:

سبق في التمهيد بيان مفهوم البلاغة، وأنها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته(١). واستيعاب هذا المفهوم مهم جدًّا في التحفيز إلى توظيف البلاغة في الخطاب الدعوي؛ لأنه يوضح أن البلاغة ليست مجرد أساليب ومحسنات يتكلف المتكلم -داعية أم غيره- في اجتلابها وجمع أكبر قدر منها في خطابه، وإنما هي قدرة على توظيف تلك الأساليب في المقام المناسب لها لإحداث التأثير المرغوب؛ مما يجعل البلاغة في الخطاب الدعوي داخلة في وصف الحكمة المأمور بها في الدعوة إلى الله، كما سيأتي. كما أن البلاغة بهذا المفهوم تلتقي مع "الدعوة" في صفة مهمة للداعية وهي: مراعاة أحوال المدعوين في تعامله معهم وخطابه لهم.

المعيار الثاني: أن يؤمن بأهمية البلاغة في الخطاب الدعوي:

تعود أهمية البلاغة في الخطاب الدعوي إلى جملة من الأمور:

١- مشروعية البلاغة في الخطاب الدعوي. وسبق بيانها في التمهيد.

٢- كون البلاغة من الحكمة.

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ١٦٨ و٤١٥ و٤٣٢، وشروح التلخيص: ١٢٢/١، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٤٠٢/١.

وأُمر الداعية أن يسلك الحكمة في دعوته كما في قول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. والحكمة هي: ((الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه)) (١).

ولا يقوم أمر الدعوة إلا بها، وإذا تخلفت فلن يجد الداعية من المدعوين ميلاً إليه وقبولاً لدعوته، وتظهر جلية في بلاغة الداعية؛ لأن مراعاة أحوال المدعوين يظهر أثرها في خطابه لهم، كل على حسب حاله وما يقتضيه مقامه، ولذا عطفت الآية حكمة القول بالموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن على الحكمة عمومًا؛ لأن الحكمة منها ما هو قول ومنها ما هو عمل، وهذا من عطف الخاص على العام إظهارًا لشأن الخاص وبيانًا لأهميته.

٣- علاقة البلاغة بوظيفة الخطاب الدعوي.

إن وظيفة الخطاب الدعوي هي التأثير في المدعوين واستمالة قلوبهم إلى الحق وصرفهم عن الباطل. والداعية -وإن لم يكن مسؤولاً عن هداية الناس وصلاحهم- لا يقنع بعرض دعوته عرضًا مجردًا عن أي رغبة في التأثير، بل يحب أن يرى أثرها واستجابة المدعوين لها، ولهذا فإنه لا يكتفي بأن يعلم ما يقول؛ بل يريد أن يقول كما ينبغي، لأنه مسؤول عن حسن الأداء وبيان التبليغ (٢).

وتعد "البلاغة" هي الأداة الأهم التي تمده بذلك التأثير، فإنها كما سبق تعريفها: مراعاة الكلام الفصيح لمقتضى الحال. وهي بذلك تلتقي مع "الدعوة" التي توجب على صاحبها مراعاة أحوال المدعوين في تعامله معهم وخطابه لهم.

وحينما يتعلم الداعية مقتضيات الأحوال وفنون البلاغة والبيان فإن خطابه سيكون أوقع وأقنع وأمتع، ويحقق بذلك البلاغة التي تثمر ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)) (٣).

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله: ٢٧.

(٢) ينظر: أسلوب الدعوة القرآنية: ١٨.

(٣) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٥، وينظر: إعجاز القرآن: ٤١٩.

المعيار الثالث: أن يتعرف على بلاغة الخطاب الدعوي في القرآن والحديث:

١- بلاغة الخطاب القرآني:

إن مما يشعر الدعاة بأهمية استثمار البلاغة في خطابهم الدعوي: بلاغة الخطاب القرآني، فإن القرآن الكريم جاء بيانًا للحق وهداية للخلق، وقد أنزله الله ﷻ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، وبلغ من البيان مبلغًا عظيمًا، يعجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله بل بسورة من مثله، ولقد صار بهذا البيان مثلاً في قوة التأثير، حتى هابت صناديد الكفر تأثيره في نفوس الناس، ففزعوا يتنادون ويتواصون باللغو فيه وعدم سماعه، قال الله ﷻ: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ) [فصلت: ٢٦].

وبلغ من تأثيره في النفوس وخشيتهم من افتتان الناس به أن طلبوا من ابن الدغنة حينما أجار أبا بكر ﷺ أن يأمره بالبقاء في داره، ولا يستعلن بتلاوة القرآن؛ خشية أن يفتن نساءهم وأبناءهم(١). بل بلغ من تأثير القرآن ما يروى في كتب السيرة أن رؤوس الكفر الذين يصدون عن القرآن والإيمان به يأتون مستخفين إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي الليل في بيته، فيستمعون منه(٢).

((أما سر هذا التأثير فلا شك أنه كامن في بلاغته المعجزة، التي تجلت في أسلوب عرضه للدعوة، وكانت وسيلته في الوصول إلى القلوب، والأداة التي شق بها طريقه إلى نفوس المؤمنين والكافرين على السواء، فأخبت له الأولون، وفزع منه الآخرون))(٣).

وإذا كان القرآن العظيم منهج حياة للناس يهديهم في حياتهم للتي هي أقوم، فإنه منهج دعوة للدعاة، يهديهم في دعوتهم للتي هي أقوم، وكما أن الدعاة يطالبون المدعوين بالاهتداء بكتاب الله في الاعتقاد والعمل والسلوك، فإنهم مطالبون بالاهتداء بكتاب الله في منهج الدعوة وأسلوبها قولاً وعملاً.

٢- بلاغة الخطاب النبوي:

مما يشعر الدعاة بأهمية استثمار البلاغة في خطابهم الدعوي: بلاغة الخطاب النبوي، فإن لها من المنزلة وعلو الشأن ما لا يبلغ شأوها أحد من الخلق.

ولقد أمر الله ﷻ بالتأسي برسول الله ﷺ، فقال سبحانه: (قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيم) [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه: (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٩٠٥).

(٢) ينظر: سيرة النبي ﷺ: ٣٩٧/١، ودلائل النبوة: ٢٠٦/٢.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية: ٤٦.

ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَة لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرا) [الأحزاب: ٢١] قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله))[1].

وإذا كان النبي ﷺ قدوة للناس في أقواله وأفعاله وأحواله، فإنه قدوة للدعاة إلى الله ﷻ في منهاج دعوته قولاً وعملاً، وقد قال الله ﷻ: (قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي) [يوسف: ١٠٨].

وإن من هذا المنهاج بلاغة الخطاب، حيث يراعي ﷺ في كلامه مقتضى الحال، فيأتي لها بما يلائمها من الوسائل التعبيرية والأساليب البلاغية. ولينظر الداعية إلى خطب النبي ﷺ ورسائله ووصاياه وفتاواه، كيف تنوعت فيها سبل القول وأساليب البلاغة، مراعاة لمقتضى الأحوال ومقامات الكلام.

المعيار الرابع: أن يستثمر الأساليب البلاغية في الخطاب الدعوي:

الأساليب البلاغية كثيرة، وهي على ثلاثة أنواع:

منها ما يتعلق بطرق التعبير عن المعنى، وهي أساليب البيان: التشبيه، والمجاز والكناية والتعريض.

ومنها ما يتعلق بأحوال التركيب ونظمه، كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والإطلاق والتقييد والفصل والوصل والإيجاز والإطناب.

ومنها ما يضفي على الخطاب مزيدًا من التحسين والتأثير، وهي أساليب البديع كالسجع، والجناس، والمقابلة، والتناسب، والتصدير، وحسن الابتداء، وحسن الختام.

ويتخير الداعية من هذه الأساليب ما تقتضيه الحال. ويتطلب ذلك منه تعلم هذه الأساليب والتدرب على تطبيقها واستعمالها في خطابه حتى تكون له ملكة فيها، مستفيدًا أيضًا من الوقوف على الخطابات البليغة، التي تمده بنماذج عالية، كخطابات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم، وخطابات النبي ﷺ، وخطابات الدعاة المؤثرين عبر التاريخ الإسلامي.

وفي استثمار البلاغة في الخطاب الدعوي اقتداء بكتاب الله ﷻ وبحديث رسول الله ﷺ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣٩١/٦.

المحور الثاني

مقامات الخطاب الدعوي

يقصد بالمقام: الحال التي تجري فيها عملية الخطاب وتؤثر في إنشائه، سواء منها ما يتعلق بحال المخاطَب أم المتكلم أم الظروف الزمانية والمكانية أم غيرها، والعرب تقول: لكل مقام مقال.

ويتناول هذا المحور المعايير التي تصف مراعاة الداعية للأحوال التي تؤثر في إنشاء خطابه الدعوي.

وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يراعي في خطابه أحوال المدعوين.

٢- أن يراعي الظروف المحيطة بالخطاب.

٣- أن يراعي الغرض من الخطاب.

٤- أن يفرق بين الخصائص الأسلوبية لكل خطاب.

وهذه إضاءات موجزة حولها:

المعيار الأول: أن يراعي في خطابه أحوال المدعوين:

من الأصول المقررة في الدعوة إلى الله ﷻ: أن يكون لدى الداعية خبرة صحيحة بالنفوس، ومعرفة دقيقة بأحوال المخاطبين(١). ولهذا الأصل أثر عظيم في نجاح الداعية في التواصل مع المدعوين، واختيار ما يتلاءم معهم من أنواع الخطاب ووسائل التعبير وأساليب البلاغة، التي تكون أكثر تأثيرًا فيهم، وأجلب لاستجابتهم.

ومما يراعيه الداعية في خطابه الدعوي ديانة المدعوين، ومستوى تدينهم، ومنزلتهم الاجتماعية والوظيفية، ومستوياتهم اللغوية والثقافية والفكرية، كما يراعي جنسهم ذكرًا أو أنثى، وأعمارهم كهولاً أو شبابًا أو أطفالاً، ويراعي أحوالهم النفسية وصفاتهم السلوكية.

وإذا لم يراع الداعية في خطابه مثل هذه الأحوال لم يبلغ ما يصبو إليه من الإفادة والتأثير، بل ربما وقع في خلاف ما أراد، وقد قال علي ﷺ: ((حدثوا الناس بما يعرفون، أ تحبون أن يُكذب الله

---

(١) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: ٣٣-٣٥، ومراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين: ٣٣-١١٧، والحكمة في الدعوة إلى الله: ٣٣٥-٣٣٧.

ورسوله؟))[1]، وقال ابن مسعود ﷺ: ((ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة))[2].

والله ﷻ حين أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون قال: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلا لَّيِّنا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٢-٤٤]، فبيَّن الله ﷻ لهما حاله، وكيف يخاطبانه بما يناسب هذه الحال.

وكان ذلك من هدي النبي ﷺ، فيختار من الوسائل والأساليب وأنواع الخطاب ما يتلاءم مع حال الدعوة وطبيعة المدعو[3]. وفي رسائله ﷺ إلى الملوك والرؤساء نلحظ هذا الأثر جليًا في وصفه للمرسَل إليهم، كما في رسالته إلى هرقل: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»[4]. ومن ذلك أنه يوصي كل شخص بما يناسبه، ويفتي كل سائل بما يناسب حاله، ويظهر أثر ذلك في اختيار ألفاظه ونظم خطابه ﷺ[5].

المعيار الثاني: أن يراعي الظروف المحيطة بالخطاب:

يحيط بالخطاب بعض الظروف والملابسات التي تؤثر في إنشاء الخطاب، ومن ذلك مكان الخطاب وزمانه والبيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية؛ فهذه الظروف لها أثر في تخير الألفاظ والمعاني التي يريد الداعية أن يتحدث عنها، كما أن لها أثرًا في تخير أساليب البيان، وكيفية نظم الكلام. وكان هذا من هدي النبي ﷺ، كما قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): ((كان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها))[6].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في أحاديث مقدمة صحيحه: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، برقم (٥).

(٣) ينظر: زاد المعاد: ١/١٨٩.

(٤) أخرجه البخاري: (٧)، ومسلم: (١٧٧٣).

(٥) ينظر في هدي النبي ﷺ في مراعاة أحوال المدعوين في خطابه الدعوي: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، ليوسف العليوي.

(٦) زاد المعاد: ١/٤٢٨.

المعيار الثالث: أن يراعي الغرض من الخطاب:

يقصد بالغرض: الهدف أو المقصد العام الذي يدفع إلى إنشاء الخطاب. فالترغيب في أمر ما أو الترهيب أو الإنكار من الأغراض التي يقصد إليها الداعية في خطابه. ويتعلق بذلك أيضًا الموضوعات التي تتوجه إليها تلك الأغراض، كموضوعات العقائد أو الأحكام أو الآداب.

والغرض من الخطاب يؤثر في بنائه وكيفية نظمه وتخير ألفاظه وأساليبه، فالألفاظ والأساليب والمعاني التي يستعملها الداعية في تقرير العقيدة ليست كالتي يستعملها في الترهيب من الظلم مثلاً، والعبارات والأساليب في مقام الشدة ليست كما في اللين(١).

المعيار الرابع: أن يفرق بين الخصائص الأسلوبية لكل خطاب:

الخطاب الدعوي ليس نوعًا واحدًا، وإنما هو أجناس متنوعة، منها: الخطبة على تنوع مناسباتها من جمعة وعيدين وحج وغيرها، ومنها: الوصية، والمحاضرة، والرسالة، والقصة، والشعر، وغيرها.

وقد يختص كل نوع عن غيره من الأنواع بخصائص في بنائه ونظم أساليبه؛ فيحسن بالداعية – أولاً– مراعاة المقام في اختيار النوع المناسب له، فإن لكل مقام نوعًا من الخطاب، كما قال ابن المقفع (ت١٤٢هـ) وقد سئل عن البلاغة: ((البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا وخطبًا، ومنها ما يكون رسائل))(٢). وقد يجمع الداعية في المقام الواحد أكثر من نوع كالقصة والشعر في الخطبة.

ويحسن –ثانيًا– مراعاة الخصائص الأسلوبية لكل نوع، فالخطب عمومًا وخطبة الجمعة خصوصًا يحسن فيها الإيجاز وتقصير الخطبة، كما في الحديث السابق الذي أخرجه مسلم: «إِنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ؛ فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ». كما يحسن فيها قصر الجمل، وتأكيد المعاني. وبناء الرسالة يختلف اختلافًا كثيرًا عن بناء القصة أو الخطبة. والقصة الدعوية تركز على الأحداث وتعنى بها وبتصويرها، أكثر من عنايتها بتصوير المكان والزمان ورسم صورة الشخصيات.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨٧، حيث عقد عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فصلاً في أن مزايا النظم بحسب الموضع وبحسب المعنى المراد والغرض المقصود.

(٢) البيان والتبيين: ١/١١٦.

والحوار قد يحسن فيه من الأساليب ككثرة الاستفهام ما لا يستحسن في أنواع أخرى. والخطاب الشفهي قد يختلف عن الخطاب الكتابي في خصائص عدة؛ فيعتبر الداعية هذه الفروق ويراعيها في خطاباته.

المحور الثالث

مقاصد الخطاب الدعوي

يتناول هذا المحور المعايير التي تتعلق بقدرة الداعية على الإفصاح عن مضامين الخطاب الدعوي والحديث عنها بصورة واضحة للمدعوين، والقدرة على التعبير عنها وتصويرها وتقريرها وإقناع المدعوين بها بأساليب بلاغية متنوعة.

وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يعبر عن مقاصده بوضوح.

٢- أن يعبر عن المعاني بأساليب بيانية متنوعة.

٣- أن يتفنن في تقرير المعاني وإقناع المدعوين بها.

٤- أن يقابل الترغيب بالترهيب.

٥- أن يحترس من سوء فهم المخاطب.

وهذه إضاءات موجزة حولها:

المعيار الأول: أن يعبر عن مقاصده بوضوح:

من المباحث المهمة التي عني بها البلاغيون في مؤلفاتهم: الفصاحة. وجعلوها شرطًا ينبني عليها بلاغة الكلام؛ ولهذا كانت حاضرة في تعريف البلاغة المذكور في التمهيد، وتهدف إلى أن يكون الخطاب واضحًا بيّنًا. ويتحقق الوضوح والبيان بمراعاة شروط الفصاحة التي نبه إليها علماء البلاغة، سواء كان ذلك في المفرد أم في الكلام. أما في المفرد فأن يكون موافقًا للغة العرب في تصريفه، واستعماله في معانيه، وأن يسلم من الغرابة التي تلحقه بوحشي الكلام، ومن تنافر الحروف بحيث يسهل نطقه على اللسان. وأما في الكلام فأن يكون موافقًا للغة العرب في تأليفه وإعرابه، وأن يسلم من تنافر كلماته، ومن تعقيده سواء كان التعقيد لفظيًا أم معنويًا[1].

(١) ينظر في معايير الفصاحة: سر الفصاحة: ٥٨ و٦٣ و٢٢٠، وشروح التلخيص: ١/٨٠-١٢١، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٣/١١٠.

ووضوح الخطاب الدعوي وإبانته سمة مهمة؛ ليجتهد الدعاة في إبلاغ الدعوة، ولتقوم الحجة على من بلغته، وقد قال الله ﷻ: (فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ) [النحل: ٣٥]، وقال: (وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ) [المائدة: ٩٢].

وقد وصف الله ﷻ القرآن الكريم بالإبانة فقال: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ) [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. ولسهولة لفظه ووضوح معانيه كان سهلاً على القراءة والتدبر والتذكر، قال الله ﷻ: (فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ) [الدخان: ٥٨].

كما كان إمام البلغاء وقدوة الدعاة ﷺ حريصًا على إبانة القول للمخاطبين وإفهامهم، وقد وصفت عائشة رضي الله عنها كلامه ﷺ فقالت: ((كان رسول الله ﷺ لا يسرُد سردكم هذا، كان يتكلم بكلام يُبيِّنه فصلاً، يحفظه من سمعه))، وفي رواية: ((يفقهه كل أحد))[(١)]. وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه[(٢)]. وربما استخدم مع القول الإبانة بغيره، كالفعل والإشارة والرسم.

المعيار الثاني: أن يعبر عن المعاني بأساليب بيانية متنوعة:

من أجل نعم الله على الإنسان أن علمه البيان ((وهو: المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير))[(٣)]. وللمتكلم أساليب متنوعة في الإبانة عما في نفسه من معان وأغراض، يتناولها البلاغيون في علم من علوم البلاغة، وهو علم البيان، الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

وهذه الأساليب هي: الحقيقة، والتشبيه، والمجاز، والكناية، والتعريض.

أما الحقيقة فهي التعبير عن المعنى باللفظ الموضوع له في اللغة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٥٢٠/٤١ برقم (٢٥٠٧٧) و٢٧٤/٤٣ برقم (٢٦٢٠٩)، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، برقم (٤٨٣٩)، والترمذي في جامعه: كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ، برقم (٣٦٣٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأصل الحديث في الصحيحين، حيث رويا الجملة الأولى منه (لم يكن يسرُد الحديث كسردكم): أخرجه البخاري: (٣٥٦٧)، ومسلم: (٢٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٩٥).

(٣) الكشاف: ٥/٦.

وأما المجاز فتعبير عن المعنى بغير اللفظ الموضوع له.

وأما التشبيه فهو تعبير عن المعنى من خلال الدلالة على مشاركة أمر لآخر في صفة أو أكثر، بأداة من أدوات التشبيه.

وأما الكناية فهي تعبير عن المعنى بلفظ يلزم منه ويدل عليه(١).

والداعية يستخدم من هذه الطرق ما يقتضيه السياق، ويحقق الغرض من الخطاب.

المعيار الثالث: أن يتفنن في تقرير المعاني وإقناع المدعوين بها:

وهذا بيت القصيد للبلاغة وللخطاب الدعوي؛ فإن غرض الداعية أن يستميل القلوب ويقنع العقول لتستجيب لما يدعو إليه، فتُقدِم على الخير، وتُعرِض عن الشر. ولا يكفي في ذلك أن يقف عند حدود الإبانة والوضوح، بل هو يحتاج إلى ما يعينه من فنون القول لتقرير ما يدعو إليه وتمكينه في نفوس المدعوين وإقناعهم به، كما قال الرماني (ت٣٨٤هـ): ((ليست البلاغة إفهام المعنى؛ لأنه قد يُفهِم المعنى متكلمان: أحدهما بليغ، والآخر عيي... وإنما البلاغة في إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))(٢).

ومن تلك الفنون: التأكيد بأساليبه المتنوعة ومنها: التكرار، والقسم، والقصر، والاستفهام، والتصوير، والإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، والتذييل، والاستشهاد، والمقابلة، والسجع، وغيرها من الأساليب.

و((كل ما تبلِّغ به المعنى قلب السامع؛ فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومَعرِض حسن)) فهو البلاغة كما وصفها أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)(٣).

المعيار الرابع: أن يقابل الترغيب بالترهيب:

من الظواهر البلاغية التي بحثها البلاغيون التقابل بين المعنى وضده، ودرسوه من خلال أسلوبي: (الطباق والمقابلة) (٤). والتقابل قد يكون بين لفظتين في جملة واحدة أو أكثر، وهو ما يسمى بالطباق،

---

(١) ينظر في تعريف هذه الفنون: شروح التلخيص: ٢٩٢/٣، ٣/٤، ٢٠، ٢٣٧.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٧٥.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٠.

(٤) ينظر: شـــروح التلخيص: ٢٨٦/٤ و٢٩٦، وطراز الحلة: ٣٥٦ و٣٥٨ و٣٦٤، وخزانة الأدب: ١٢٩/١ و١٥٦.

أو بين جملتين متعددتي الألفاظ المتقابلة، أو بين مشهدين متقابلين متعددي الجمل، وهو ما يسمى بالمقابلة. ومن أهم أغراضه تأكيد المعنى وتقريره، وتمييزه أكمل تمييز بذكر ضده.

وهو سمة من سمات الخطاب القرآني، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبا مُّتَشَٰبِها مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. وفسّر بعض العلماء المثاني في وصف القرآن بأنه ذكر الشيء وضده، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): ((هذا معنى تسمية القرآن (مثاني) على أصح أقوال العلماء...، وهو أن يذكر الإيمان ويتبعه بذكر الكفر، أو عكسه، أو حال السعداء ثم الأشقياء، أو عكسه. وحاصله: ذكر الشيء ومقابله)) [(١)]. وتكاد كل سورة تحوي تقابلاً، بل تأتي السورة من القرآن قائمة كلها على التقابل بين المعاني، ومن ذلك سورة محمد، وسورة الليل. وهو في كلام الرسول ﷺ كثير، كما ذكر الرعيني (ت٧٧٩هـ) وغيره [(٢)].

والتقابل في الخطاب الدعوي يأتي كثيرًا في مقام الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هو في كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ. وهو بذلك يراعي التوازن في خطاب النفس البشرية، التي يتنازعها جانبا الرجاء والخوف، فيخاطب جانب الرجاء بالوعد والترغيب، وجانب الخوف بالوعيد والترهيب. ولذا كانت العبودية لله ﷻ لا تتم إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينتهي المرء عن المعاصي، وبالرجاء يأتمر ويقبل على الطاعات، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورا﴾ [الإسراء: ٥٧].

المعيار الخامس: أن يحترس من سوء فهم المخاطب:

قال المتنبي (ت٣٥٤هـ):

وكمْ مِنْ عائبٍ قَولاً صَحيحًا وَآفَتُه مِن الفَهْمِ السَّقيمِ[(٣)]

وسوء الفهم قد يقع فيه المخاطَب لأسباب عدة، منها ما يعود إلى المخاطِب نفسه كضعف عقله وبلادة فهمه وقلة فقهه، أو سوء ظنه، أو عدم اعتبار سياق الخطاب وظروفه، أو غير ذلك.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢٠٣/١، وينظر: ٩٤/٧.

(٢) طراز الحلة: ٣٦٢. وينظر: المحسنات البديعية في الصحيحين: ٢٧ و٣٥٣.

(٣) ينظر: ديوان المتنبي بشرح العكبري: ١٢٠/٤.

ومنها ما يعود إلى المتكلم كضعف فصاحته وإبانته عن لفظه ومقاصده، أو عدم اعتباره لحال مخاطَبه، وسبق قول علي ﷺ: ((حدثوا الناس بما يعرفون، أَ تُحبون أن يُكذب الله ورسوله؟))[(١)]، وقول ابن مسعود ﷺ: ((ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة))[(٢)]. وقد قيل: ((يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع))[(٣)].

ومن صور احتراس المتكلم من سوء الفهم للخطاب: نصب القرينة للدلالة على مقصده إذا أراد بلفظه غير الظاهر، أو كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى. ومن ذلك: تقييد الإسناد أو أحد ركنيه (المسند والمسند إليه) بوصف أو ظرف أو مفعول أو شرط أو غيرها.

ومن أساليب البلاغة ما يسمى الاحتراس، ويسمى التكميل، وهو: أن يأتي المتكلم بلفظ يدفع توهم خلاف ما يقصده[(٤)]. قال السّعدي (ت١٣٧٦هـ) عند قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَة وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيما﴾ [النساء: ٩٥]: ((إذا فضّل تعالى شيئًا على شيء -وكل منهما له فضل- احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين؛ لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه، كما قال هنا: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. وكما قال تعالى في الآيات المذكورة في الصف في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]. وكما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] أي: ممن لم يكن كذلك، ثم قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. وكما قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْما وَعِلْماً﴾ [الأنبياء: ٧٩] . فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة، وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض؛ لئلا

---

(١) أخرجه البخاري: (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في أحاديث مقدمة صحيحه: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، برقم (٥).

(٣) ينظر: البيان والتبيين: ٨٧/١.

(٤) ينظر: الإيضاح مع شروح التلخيص: ٢٣١/٣.

يتوهم أن المفضَّل قد حصل له الكمال، كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس، فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر. والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرمها الله ورسوله وزجر عنها))[١].

المحور الرابع

نظم الخطاب الدعوي

يتناول هذا المحور المعايير التي تتعلق ببنية الخطاب الدعوي، من حيث تخير الألفاظ، وتركيب الجمل، والترابط بين عناصر الخطاب وألفاظه وتراكيبه ترابطًا لفظيًا ومعنويًا.

وأهم المعايير في هذا المحور:

١- أن يتخير الألفاظ الملائمة لسياق الخطاب.

٢- أن ينظم الجمل نظمًا مطابقًا لمقتضى الحال.

٣- أن يُحسن ابتداء الخطاب.

٤- أن يبني خطابه بناء مترابطًا منسجمًا.

٥- أن يُعنى بالتناسق الصوتي في الخطاب.

٦- أن يُحسن ختام الخطاب.

وهذه إضاءات موجزة حولها:

المعيار الأول: أن يتخير الألفاظ الملائمة لسياق الخطاب:

تخير اللفظ الملائم للسياق هو أول معالم البلاغة، كما قال أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ): ((مدار البلاغة على تخير اللفظ))[٢]، وقال الخطابي (ت٣٨٦هـ): ((اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة))[٣].

والخطاب الدعوي يتخير اللفظ الذي يراعي المقصد والغرض والمخاطَب، كما يراعي سياق الخطاب نفسه، ليأتلف اللفظ مع اللفظ كما ائتلف مع المعنى. والقدوة في ذلك خطاب القرآن الكريم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١٩٥.

(٢) كتاب الصناعتين: ٢٣.

(٣) بيان إعجاز القرآن: ٣٥.

والحديث الشريف. والقرآن الكريم يربي على الدقة في تخير الألفاظ؛ ليستعمل المتكلم اللفظ المناسب للمقام وسياق الكلام، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات:١٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة:١٠٤]. وكذلك الحديث الشريف كما في قوله ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي»[(١)]، وكما في حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وهو جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «أَوْ مُسْلِمًا» فسَكَتُّ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «أَوْ مُسْلِمًا» ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: «يَا سَعْدُ، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ»[(٢)]، وفي رواية: «لا تَقُلْ: مُؤْمِنٌ، وَقُلْ: مُسْلِمٌ»[(٣)].

المعيار الثاني: أن ينظم الجمل نظمًا مطابقًا لمقتضى الحال:

المقصود بنظم الجملة تأليفها وضم بعض ألفاظها إلى بعض حتى تكون جملة مفيدة. وأقل ما تتركب منه الجملة ركنان: ١- المسند إليه وهو المخبر عنه. ٢- المسند وهو المخبر به. ولا يغني أحدهما عن الآخر. وما زاد عنهما فهو من القيود والمتعلقات.

وللجمل أحوال في تركيبها، منها: الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإطلاق والتقييد، والقصر، والفصل والوصل، والإطناب والإيجاز، وغيرها مما يبحثه البلاغيون في علم المعاني، وهو علم من علوم البلاغة يعرف به أحوال اللفظ التي يطابق بها مقتضى الحال[(٤)].

وإذا جاء نظم الجمل بصورة مطابقة لمقتضى الحال صارت حقيقة بوصفها بليغة؛ إذ ليس الشأن في البلاغة أن يضم بين الكلمات ويؤلف بينها كيفما اتفق، ولو جاءت سليمة صحيحة على ما يقتضيه

---

(١) أخرجه البخاري: (٦١٧٩ و٦١٨٠) ، ومسلم: (٢٢٥٠ و٢٢٥١) عن عائشة وسهل بن حنيف رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري: (٢٧ و١٤٧٨) ، ومسلم: (١٥٠).

(٣) أخرج الرواية النسائي في سننه: كتاب الإيمان وشرائعه، باب: تأويل قوله ﷻ: ﴿قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾، برقم (٤٩٩٣).

(٤) ينظر: الإيضاح مع شروح التلخيص: ١/١٥٥.

علم النحو، ولكن الشأن أن ينظم المتكلم ألفاظه نظمًا يكشف عن مقاصده، ويؤثر في نفس مخاطَبه، وذلك بمطابقته لمقتضى الحال.

المعيار الثالث: أن يُحسن ابتداء الخطاب:

عُني البلاغيون بحسن الابتداء، وجعلوه دليلاً على جودة البيان. وعدوه من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها غاية التأنق؛ لأنه أول ما يطرق السمع ويصل إلى القلب، ويوجد انطباعًا حسنًا لدى المتلقي، فإذا كان الابتداء حسنًا أقبل السامع على الكلام فوعاه، وإلا أعرض عنه وجفاه(١). وفرّع بعض البلاغيين منه "براعة الاستهلال" إذا كان مضمنًا فيه ما يشير إلى المقصود(٢).

ويختلف الابتداء من خطاب إلى خطاب حسب نوعه وغرضه وحال المخاطب به. ومن حسن الابتداء الاستفتاح بحمد الله جل جلاله والثناء عليه كما كان النبي ﷺ يستفتح في خطبه. وربما ابتدأ بعض خطبه بالقرآن بين يدي ترغيبه فيما يريد أن يدعو إليه، ومن ذلك خطبته ﷺ حينما رأى الفاقة في قوم من مضر، فحمد الله وأثنى عليه، وقرأ قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ الآية [النساء:١]، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، ثم حثّ على التصدق (٣). وفي رسائله الدعوية -كما في رسالته إلى قيصر- يستفتحها بجملة من الأمور، منها البسملة «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وذكر المدعو باسمه أو وصفه «إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»، وتحية السلام «سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى...»، وابتداء الرسائل بالسلام هو هدي النبي ﷺ في رسائله المروية إلى الملوك والرؤساء الذين يدعوهم إلى دين الله ﷻ، وفيه إشعار للمخاطب من أول الخطاب بالطمأنينة على ملكه إذا أسلم، لأن المقصود الدعوة إلى الإسلام، لا منازعته في الملك.

ومن حسن الابتداء في الخطاب الدعوي: نداء المدعوين؛ طلبًا لإقبالهم، واستمالةً لقلوبهم، واستجلابًا لقبولهم، وإظهارًا لنصحهم والتلطف معهم، وتعظيمًا لشأن ما يدعونهم إليه. وهو مطرد في

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين: ٤٣١، والعمدة: ٢١٨/١، والمثل السائر: ١٢٠/٣، والإيضاح مع شروح التلخيص: ٥٣١/٤.

(٢) ينظر: الإيضاح مع شروح التلخيص: ٥٣٣/٤، والتبيان، للطيبي: ٤٨٣/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٣٨٩/١.

(٣) أخرجه مسلم: (١٠١٧).

خطاب الأنبياء والصالحين الذين ذكر الله جل جلاله تفاصيل دعوتهم وحكى خطابهم لأقوامهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ الآية [الأعراف: ٥٩]، وقوله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢]، وقوله: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُل يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس:٢٠].

المعيار الرابع: أن يبني خطابه بناء مترابطًا منسجمًا:

يقصد بالترابط: التعالق والتآلف بين ألفاظ الخطاب وتراكيبه وعناصره ومضامينه، فيظهر على أنه وحدة نصية واحدة، محكم النظم متماسك البناء، معانيه متناسبة متسقة في غاية الحبك، وألفاظه وتراكيبه منسجمة في غاية السبك.

ونوّه البلاغيون بأهمية الترابط والتناسب بين أجزاء الكلام، وجعل حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) علم البلاغة الأداة إلى معرفة طرقه[١]، ويرى الفراهي (ت١٣٤٩هـ) أن النِّظَام: ((فن مستقل من البلاغة، بل هو الذروة العليا منها))[٢]، وعرف بعضهم البلاغة بالترابط[٣]، وقال العلوي (٧٤٩هـ): ((يجب مراعاة التأليف بين الألفاظ المفردة، والجمل المركبة، حتى تكون أجزاء الكلام متلائمة، آخذًا بعضها بأعناق بعض، وعند ذلك يقوى الارتباط، ويصفو جوهر نظام التأليف، ويصير حاله بمنزلة البناء المحكم المرصوص المتلائم الأجزاء، أو كالعقد من الدر فُصّلت أسماطه بالجواهر واللآلئ، فخلص على أتم تأليف وأرشق نظام))[٤].

وأما القرآن الكريم فالله عز وجل يقول عنه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمٗا﴾ [الكهف:١-٢]. ومن جملة ما ذُكر في تفسير إحكامه: إتقان نظمه، واتساق ألفاظه ومعانيه وتناسبها[٥].

---

(١) منهاج البلغاء: ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) دلائل النظام: ١١.

(٣) ينظر: العمدة: ٢٤٤.

(٤) الطراز: ٢/٢٢٤-٢٢٥.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/٣٠٣، والكشاف: ٣/١٨١.

وثَمَ أساليب بلاغية تسهم في الترابط والتناسب والتآلف بين أجزاء الخطاب، ومنها: الفصل والوصل، والطباق والمقابلة، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف، والتصدير، وغيرها من الأساليب.

والانسجام ثمرة التآلف بين الألفاظ والتراكيب؛ فيأتي الخطاب -كما قال ابن أبي الإصبع- متحدرًا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره(١).

المعيار الخامس: أن يُعني بالتناسق الصوتي في الخطاب:

يقصد بالتناسق الصوتي أن تكون ألفاظ الخطاب وتراكيبه متلائمة في النطق؛ فتحدث بذلك انسجامًا صوتيًّا يشد المخاطب ويأسره.

ومن مظاهر التناسق الصوتي في الخطاب: توافق الجمل في الحرف الأخير، وهو السجع، ويسمى ما جاء منه في القرآن فاصلة. واستحب بعض العلماء السجع في الخطاب الدعوي إذا كان مما يعين على التأثير في النفوس بالحق(٢). ومنها: التناسق بين الجمل في القصر والطول، كما هو ظاهر في آيات القرآن الكريم. ومنها: التوازن بين الجمل. ومنها: المماثلة في الوزن بين الألفاظ الأخيرة من الجمل. ومنها: التكرار للعبارات، أو للألفاظ سواء مع اتفاق المعاني أم مع اختلافها كما في الجناس. وغيرها من صور التناسق.

وهذه الخصائص الصوتية إذا جاءت من غير تكلف ((تحدث في القارئ أو السامع نشوة وطربًا، وتجدد نشاطه، وتزيد رغبته في الإقبال عليه، ولذلك أثره في تثبيت المعاني والتأثر بها))(٣).

المعيار السادس: أن يُحسن ختام الخطاب:

عُني البلاغيون بحسن الختام كما عنوا بابتدائه، وعدوه من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها غاية التأنق؛ لأنه آخر ما يطرق السمع ويستقر في الذهن وينعقد عليه القلب، فإذا أُحسن الختام كان ذلك أدعى للتأثير وقبول المراد(٤).

---

(١) بديع القرآن: ١٦٦، وينظر: تحرير التحبير: ٤٢٩.

(٢) ينظر: فتح الباري: ١١٣/١٦.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية: ٣٣٢.

(٤) ينظر: العمدة: ٢٣٩/١، وتحرير التحبير: ٦١٦، والإيضاح مع شروح التلخيص: ٥٤٣/٤، وأنوار الربيع: ٣٢٤/٦.

ويراعى في الختام أن يكون موجزًا للمطلوب، ويشعر بانتهاء الخطاب، وقد يتضمن ثناء أو شكرًا أو دعاء، وقد ينتهي بالسلام، مع جودة النظم، وتخير اللفظ، وسلامة المعنى، ومطابقة ذلك لمقتضى الحال.

((وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال؛ لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ومواعد، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوف إلى ما يقال))[1].

وأما خطاب الرسول ﷺ فجاء الختام فيه على أحسن ما يكون الختام في صور مختلفة باختلاف المقامات، فقد يختم بالدعاء، كما في خطبته قبل لقاء العدو في غزوة الأحزاب، لتثبيت الناس وتصبيرهم وبث التفاؤل بالنصر في نفوسهم، وفيها أنه ﷺ دعا في آخرها بهزيمة المشركين ونصر المؤمنين فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».

وقد يختم النبي ﷺ بقاعدة عامة تقرر ما دعا إليه، ومن ذلك ما جاء في خطبته ﷺ في شأن الثلاثة الذين تقالوا عبادة النبي ﷺ فأرادوا أن يرغبوا عن منهجه ويشددوا على أنفسهم، فخاطبهم النبي ﷺ وخطب في الناس، فكان آخر ما قال: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» وهذه القاعدة العامة هي التي وقع المخاطبون في مخالفتها، فختم بها الكلام لتقرر المعنى وتؤكده، والله أعلم.

(١) بديع القرآن: ٣٤٦، وينظر: تحرير التحبير: ٦٢٠.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة أهم المعايير البلاغية التي يحسن بالدعاة إلى الله اكتسابها والاتصاف بها لتحقيق التأثير المرغوب من الخطاب الدعوي. ولتستفيد منها المؤسسات الدعوية في وضع البرامج التأهيلية للدعاة إلى الله والارتقاء بخطابهم في مجال لغة الخطاب وبلاغته، وهو من أهم مجالات التأثير الدعوي.

وأهم المعايير التي توصل إليها الباحث مقسمة في أربعة محاور هي:

المحور الأول: أهمية البلاغة في الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١. أن يستوعب الداعية مفهوم البلاغة.

٢. أن يؤمن بأهمية البلاغة في الخطاب الدعوي.

٣. أن يتعرف على بلاغة الخطاب الدعوي في القرآن والحديث.

٤. أن يستثمر الأساليب البلاغية في الخطاب الدعوي.

المحور الثاني: مقامات الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١. أن يراعي في خطابه أحوال المدعوين.

٢. أن يراعي الظروف المحيطة بالخطاب.

٣. أن يراعي الغرض من الخطاب.

٤. أن يفرق بين الخصائص الأسلوبية لكل خطاب.

المحور الثالث: مقاصد الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١. أن يعبر عن مقاصده بوضوح.

٢. أن يعبر عن المعاني بأساليب بيانية متنوعة.

٣. أن يتفنن في تقرير المعاني وإقناع المدعوين بها.

٤. أن يقابل الترغيب بالترهيب.

٥. أن يحترس من سوء فهم المخاطب.

المحور الرابع: نظم الخطاب الدعوي، وأهم المعايير في هذا المحور:

١. أن يتخير الألفاظ الملائمة لسياق الخطاب.

٢. أن ينظم الجمل نظمًا مطابقًا لمقتضى الحال.

٣. أن يُحسن ابتداء الخطاب.

٤. أن يبني خطابه بناء مترابطًا منسجمًا.

٥. أن يُعني بالتناسق الصوتي في الخطاب.

٦. أن يُحسن ختام الخطاب.

وأنبه هنا إلى أن الداعية في مقام الخطاب الشفهي –وليس الكتابي– مهما تحققت فيه هذه المعايير فإنها لا تحقق له التأثير المطلوب إذا لم يقرنها بمهارات الإبلاغ والإلقاء. تلك المهارات اللفظية وغير اللفظية التي تحمل بلاغة خطاب الداعي إلى قلب المدعو بأبلغ ما يكون التأثير؛ ومن المهم أن يتدرب عليها الدعاة الذين يخطبون في الناس.

وإني لأرجو أن تكون تلك المعايير التي اقترحتها الدراسة أساسًا للدعاة والمؤسسات الدعوية في تخطيط البرامج التأهيلية للارتقاء بلغة الخطاب الدعوي وبلاغته؛ ليكون أكثر قبولاً وأعمق تأثيرًا.

وأسأل الله لي ولهم الإخلاص والسداد في القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع

١- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: عبد الرحمن محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣- إستراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٤- أسلوب الدعوة القرآنية، للدكتور عبد الغني محمد سعد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٥- إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

٦- الأم، للإمام الشافعي، تحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧- أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان بالنجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

٨- الإيضاح، للخطيب القزويني، مطبوع مع شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.

٩- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٠- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، تحقيق: د.حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر.

١١- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ.

١٢- بيان إعجاز القرآن، للخطابي، تحقيق: يوسف العليوي، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.

١٣- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

١٤- التبيان في البيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٥- تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة.

١٦- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٧- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٨- تفسير سورة النساء، لمصطفى العدوي، في موقع الشبكة الإسلامية (إسلام ويب)، على الرابط: http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=fullcontent&audioid=125805

١٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام ابن عبد البر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

٢٠- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والنشر.

٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: عبدالله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٢٤- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٢٥- حاشية الدسوقي على مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.

٢٦- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، لسعيد بن علي القحطاني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٧- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ.

٢٨- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٩- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٠- دلائل النظام، عبدالحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، ١٣٨٨هـ.

٣١- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت.

٣٢- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٣٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٣٤- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٥- سنن أبي داود، تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٣٦- سيرة النبي، لابن هشام، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٧- شرح التلخيص، للبابرتي، تحقيق: محمد مصطفى رمضان صوفية، المنشأة العامة للنشر، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٣٨- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٣٩- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٠- شروح التلخيص، مجموعة كتب، دار السرور، بيروت.

٤١- صحيح البخاري، للإمام البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٢- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، عناية: نظر الفريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤٣- طراز الحلة وشفاء الغلة، لشهاب الدين الرعيني، تحقيق: رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

٤٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٥- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.

٤٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

٤٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، عناية: نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤٩- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٥٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥١- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

٥٢- المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٣- المجموع شرح المهذب، للنووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي.

٥٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

٥٥- المحسنات البديعية في الصحيحين، لهكزيمان ناصر، رسالة (ماجستير) غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية اللغة العربية، عام ١٤٢٤/١٤٢٥هـ.

٥٦- مختصر السعد على تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني، ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.

٥٧- مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د.فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٥٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف: د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٤٢١هـ.

٥٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس الفيومي- عناية: عادل مرشد.

٦٠- معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٦١- معجم المصطلحات البلاغية، للدكتور أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ.

٦٢- معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، شرح ومراجعة: سعيد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣م.

٦٣- مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٦٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٦٥- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٦٦- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني- تحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة- دار الكتب الشرقية.

٦٧- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٨- مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.

٦٩- النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

ملحق بنموذج الاستبانة

استبانة المعايير البلاغية للداعية

بيانات المحكم الكريم

الاسم		**التخصص**	
المؤهل العلمي		**الدرجة العلمية**	
جهة العمل			

ضع علامة (✓) في مربع الجواب

المحور الأول: أهمية البلاغة في الخطاب الدعوي.

م	المعيار	وضوح المعيار		ارتباطه بالمحور		أهميته		
		نعم	لا	نعم	لا	مهم	متوسط	ضعيف
١	يستوعب مفهوم البلاغة							
٢	يؤمن بمشروعية البلاغة في الخطاب الدعوي							
٣	يبين أهمية البلاغة في التأثير على المدعوين							
٤	يتعلم الأساليب البلاغية المهمة للخطاب الدعوي							
٥	يوظف الأساليب البلاغية في الخطاب الدعوي							

صياغة يقترحها المحكم الكريم للمعايير:

١-

٢-

٣-

معايير مهمة يرى المحكم الكريم إضافتها إلى المحور الأول:

١-

٢-

٣-

المحور الثاني: مقام الخطاب.

م	المعيار	وضوح المعيار		ارتباطه بالمحور		أهميته		
		نعم	لا	نعم	لا	مهم	متوسط	ضعيف
٦	يراعي في خطابه أحوال المدعوين							
٧	يراعي الظروف المحيطة بالخطاب							
٨	يراعي الغرض من الخطاب							
٩	يراعي الداعية مقامه عند المدعوين							
١٠	يستخدم كل نوع من أنواع الخطاب في المقام المناسب له							

صياغة يقترحها المحكم الكريم للمعايير:

١-

٢-

٣-

معايير مهمة يرى المحكم الكريم إضافتها إلى المحور الثاني:

١-

٢-

٣-

المحور الثالث: مقاصد الخطاب.

م	المعيار	وضوح المعيار		ارتباطه بالمحور		أهميته		
		نعم	لا	نعم	لا	مهم	متوسط	ضعيف
١١	يعبر بألفاظ فصيحة							
١٢	يعبر بتراكيب فصيحة							
١٣	يعبر بأساليب بيانية مختلفة							
١٤	يتفنن في تقرير المعاني والإقناع بها							
١٥	يحترس من سوء فهم المخاطب							

صياغة يقترحها المحكم الكريم للمعايير:

١-

٢-

٣-

معايير مهمة يرى المحكم الكريم إضافتها إلى المحور الثالث:

١-

٢-

٣-

المحور الرابع: نظم الخطاب.

م	المعيار	وضوح المعيار		ارتباطه بالمحور		أهميته		
		نعم	لا	نعم	لا	مهم	متوسط	ضعيف
١٦	يتخير الألفاظ الملائمة لسياق الخطاب							
١٧	ينظم الجمل حسب مقتضى الحال							
١٨	يعبر بالجمل الموجزة							
١٩	يحسن ابتداء الخطاب							
٢٠	يبني خطابه بناء مترابطًا منسجمًا							
٢١	يعتني بالتناسق الصوتي في الخطاب							
٢٢	يحسن ختام الخطاب							
٢٣	يراعي الخصائص الأسلوبية لكل نوع من أنواع الخطاب							

صياغة يقترحها المحكم الكريم للمعايير:

١-

٢-

٣-

معايير مهمة يرى المحكم الكريم إضافتها إلى المحور الرابع:

١-

٢-

٣-

ملحوظات عامة:

١-

٢-

٣-

البحث رقم (٥)

احتساب العلماء على تحريف القرآن

إعداد

د. فهد بن عبدالرحمن بن صالح العبدالهادي

أستاذ مساعد بقسم الدعوة والرقابة

كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: ﴿ يَا أَيهَا الناسُ اتَّقُواْ ربَّكُمُ الذِي خَلقَكُم مِّن نفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلقَ مِنْهَا زوْجَهَا وَبثَّ مِنْهُمَا رجَالًا كَثيرا وَنسَاء وَاتقُواْ اللهَ الذِي تسَاءلونَ بهِ وَالأرحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَليْكُمْ رقيبا ﴾[1] ﴿ يا أيهَا الذِينَ آمَنواْ اتقُواْ اللهَ حَقَّ تقَاتهِ وَلاَ تُموتنَّ إلاَّ وَأنتم مُّسْلمُونَ ﴾[2] ﴿ يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَ قُولوا قَولًا سَدِيدًا * يصْلحْ لكُمْ أعْمَ الكُمْ وَيغْفِرْ لَكُمْ ذنُوبَكُمْ وَمَن يطِع اللهَ وَر سُولَ هُ فقَدْ فَازَ فَوْزا عَظِيمًا﴾[3] .(٤)

لقد أمتن الله على هذه الأمة بحفظ كتابة من أي تحريف أو تبديل أو زيادة ونقصان قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)(٥) ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الاول الذي يستقي منه المسلمون دينهم ومنهجهم، عمل أعداء هذا الدين على محاول التشكيك فيه وتحريف معانيه بما يتوافق مع أهوائهم ورغباتهم ليشابهوا بذلك إخوانهم من أهل الكتاب قال تعالى (فَوَيْل لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْل لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْل لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ)(٦)

---

١ – سورة النساء: الآية: ١.

٢ – سورة آل عمران: الآية: ١٠٢.

٣ – سورة الأحزاب: الآية: ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة، سنن النسائي، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، (١٤٠٤)، وصححه الألباني، انظر: سنن النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢، ص٢٣٠.

(٥) سورة الحجر الآية:٩

(٦) سورة البقرة الآية:٧٩

ولذا قيض الله لهذا الدين من العلماء من يحفظ دينه ويذب عنه ويرفع كلمته، فقاموا بالاحتساب على كل من يشكك في كتاب الله أو يحاول أن يغير لفظه ومعناه، حفظاً لهذا الدين وإعلاء لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ لعقائد الناس وشريعتهم من أي تحريف أو تبديل، حيث عمد أعداء هذا الدين إلى اتخاذ اسلوب التحريف في القرآن الكريم لإيهام للناس وتضليلهم عن حقيقة معانيه.

ولذلك يرى الباحث أن من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع (**احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم**)

١- إبراز الجهود الحسبية للعلماء في الدفاع عن القرآن الكريم

٢- بيان منهج العلماء في الاحتساب على تحريف القرآن الكريم

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق الهدفين التالين:

١- اسباب تحريف ونتائجه

٢- منهج احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم وصوره

منهج الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على أبرز الجهود الاحتسابية للعلماء في مسائل تحريف القرآن الكريم ودراستها وتحليلها، ولذلك كان من المناسب أن يسلك الباحث المنهج الاستقرائي والذي يعتمد على تتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات في مسألة معينة(١).

تقسيمات الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من تمهيد ومبحثين وخاتمة ولقد قسمتها على النحو الآتي:

تمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: أسباب تحريف القرآن الكريم ونتائجه.

المطلب الاول: أسباب تحريف القرآن الكريم

---

(١) أنظر، كتابة البحث العلمي، عبد الوهاب أبو سليمان، مكتبة الرشد، ط١٤٢٦هـ، ص٩٤.

المطلب الثاني : نتائج تحريف القرآن الكريم

المبحث الثاني : منهج احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم وصوره

المطلب الأول : منهج احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم

المطلب الثاني: صور من احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

التعريف بمصطلحات الدراسة

أولاً: تعريف الاحتساب لغة واصطلاحا:

١- الاحتساب في اللغة: يرجع أصل كلمة الاحتساب إلى كلمة (**حسب**) وذكر ابن فارس في مقاييس اللغة"(حسب) الحاء والسين والباء أصول أربعة:

فالأول: العد تقول: حسبت الشيء أحسبه حسبا وحسبانا. قال الله تعالى:(ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ)[١] ومن قياس الباب الحسبان الظن، وذلك أنه فرق بينه وبين العد بتغيير الحركة والتصريف، والمعنى واحد، لأنه إذا قال حسبته كذا فكأنه قال: هو في الذي أعده من الأمور الكائنة.

ومن الباب الحسب الذي يعد من الإنسان. قال أهل اللغة: معناه أن يعد آباء أشرافا. ومن هذا الباب قولهم: احتسب فلان ابنه، إذا مات كبيرا. وذلك أن يعده في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى. والحسبة: احتسابك الأجر"[٢]

٢- الاحتساب في الاصطلاح:

أورد عدد من العلماء عدد من التعاريف حول مصطلح الحسبة، ولكن أشهرها وأدقها لمفهوم الحسبة هو تعريف الإمام الماوردي - رحمه الله - وأبي يعلى الفرى - رحمه الله - حيث قالا" الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"[3].

وبرز هذا التعريف على غيرة من التعاريف كونه جامع مانع لمعنى الحسبة حيث أشترط أن يكون المنكر ظاهراً فليس للمحتسب أن يبحث المنكرات المستتره، كما أن معنى ظاهر يشمل المنكرات

---

(١) سورة الرحمن الآية:٥

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، ط١٣٩٩، ٢/٥٩-٦٠

(٣) الأحكام السلطانية ، الإمام الماوردي، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٣٢هـ،ص٢٩٩، الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، دار الكتب العلمية،ط٣، ١٤٣٤ ص ٢٨٤.

الظاهرة البينة المتفق عليها، وليس المختلف فيها أو ما دخل فيها التناكر والاختلاف بين الخصوم، فليس للمحتسب الخوض فيها لكونها من أعمال القضاء.

ولذلك يرى الباحث أن هذا التعريف هو التعريف الأنسب للحسبة.

ثانياً: تعريف التحريف لغة واصطلاحاً:

١- التحريف في اللغة:

يرجع أصل كلمة تحريف إلى أصل مادة (حرف) "لحاء الراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء"(١) وأحد معاني (حرف) هي العدول أو العدول عن الشيء يقول أبن فارس" والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء. يقال انحرف عنه ينحرف انحرافا. وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه. ولذلك يقال محارف، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته. قال الله تعالى: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)(٢)"(٣).

يقول الخليل بن أحمد في كتاب العين "والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشَّبه، كما كانت اليهود تُغَيِّر معاني التَّوْراةِ بالأشباهِ، فوصَفَهم الله بفعلهم"(٤)

٢- التحريف في الاصطلاح:

أورد العلماء -رحمهم الله – عدد من التعريفات لمصطلح التحريف وهي كالآتي:

١- تعريف ابن جرير الطبري رحمه الله" أي يميلونه عن وجهه، ومعناه الذي هو معناه إلى غيره"(٥)

٢- تعريف الفخر الرازي " إلقاء الشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية"(٦)

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ٤٢/٢.

(٢) سورة النساء الآية :٤٦

(٣) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس، ٤٣/٢.

(٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ٢١١/٣

(٥) تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٤/٢.

(٦) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ٩٣/١٠

٣- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية "إزالة اللفظ عما دل عليه من المعنى"[١]

٤- تعريف الجرجاني " تغيير اللفظ دون المعنى"[٢]

نرى أن العلماء رحمهم الله يشترك تعريفهم لمعنى التحريف بالتغير المتعمد للكلمة سواء كان في اللفظ أو في المعنى، ولذلك كانت هذه التعاريف في مجملها تبين معنى التحريف المقصود في هذه الدراسة، حيث إن التحريف قد وقع من المخالفين في اللفظ والمعنى بقصد إيهام الناس بأنه الحق؛ وبذلك يخرج الخطأ في التفسير غير المقصود.

وحتى يتضح معنى التحريف يجب بيان معنى التأويل لكونه يترادف مع التحريف في بعض الوجوه فالتأويل يقول ابن القيم " التأويل يتجاذبه أصلان التفسير والتحريف فتأويل التفسير هو الحق وتأويل التحريف هو الباطل"[٣].

فالتأويل ليس كلة باطل، فهو صرف المعنى عن ظاهرة بدليل وهذا المقصود بالتأويل أو بمعنى التفسير وأما التأويل بصرف المعنى عن ظاهرة بغير دليل فهذا في حقيقته تحريف للمعنى وهو المذموم في الشريعة[٤] وهذا النوع هو الذي برع فيه اليهود حيث هم شيوخ من أتى بعدهم حيث حرفوا التوراة لفظاً ومعنى عن قصد بغية في الصد عن دين الله[٥] قال تعالى (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيق مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٦] قال ابن كثير " من بعد ما عقلوه أي فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة"[٧] وهذا يدلل على خبث الطوية وسوء القصد في التحريف وأنه متعمد منهم لإظلال الناس وليس جهلاً بمعناه.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٦٥/٣

(٢) كتاب التعريفات، علي الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط١، ص٥٣.

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، دار العاصمة، ط١، ٢١٧/١.

(٤) أنظر، شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط٦، ٨٨/١.

(٥) أنظر، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، ٢١٦/١

(٦) سورة البقرة الآية:٧٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار النهضة العربية، ط٥، ١١٠/١.

المبحث الأول: أسباب تحريف القرآن الكريم ونتائجه

المطلب الأول: أسباب تحريف القرآن الكريم

تختلف الأسباب والدوافع التي تجعل المفسر للقرآن الكريم يحرف في معانيه، فقد يكون التحريف عن بقصد وبغير قصد، وذلك يعتمد على خلفية المفسر العلمية والعقدية، ويمكن إجمال أهم أسباب تحريف القرآن بالآتي:

أ- الحقد على دين الله

ويبرز هذا النوع في من يتستر بعبائه الإسلام من المنافقين وأصحاب الفرق الضالة ممن يريدون أن يفسدوا دين الله، وتبعهم بعد ذلك المستشرقين وغيرهم ممن غاظهم قوة الإسلام وانتشاره، فأصبحوا يحرفون معاني القرآن رغبة في التلبيس على الناس وردهم عن دين الله، والآيات القرآنية خير شاهد على حقد أهل الكفر والظلال على أهل الحق والإيمان قال تعالى (وَدَّ كَثِير مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ)[1] فهم عندما تيقنوا من أن الحق مع أهل الإسلام عملوا على إفساد دينهم بكل الطرق الممكنة حتى لو وصل الأمر إلى القتال قال تعالى (وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟) [2] فهم لا يرضيهم أي نوع من المهادنة وإن أظهروا نوع من الملاطفة أو التسامح ولكن حقدهم على الإسلام وأهلة معروف قال تعالى (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [3] وقال تعالى (هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) [4]، وكل هذه الآيات تدل على حسد الكفار ومن شاكلهم على أهل

---

(١) سورة البقرة الآية:١٠٩

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٧

(٣) سورة البقرة الآية: ١٢٠

(٤) سورة آل عمران الآية: ١١٩

الإسلام ورغبتهم في إخراجهم من دينهم الذي هو سبب عزهم وقوتهم إلى ذل عبودية أهل الكفر والظلال، ولا طريق لهم إلى ذلك إلا بتحريف القرآن الكريم.

ولقد تضرر أهل الإسلام بوجود من وجود المنافقين والزنادقة ومن سار على نهجهم في ادعائهم الإسلام ثم بعد ذلك قيامهم بدس الدسائس له وتحريف معانيه بما يوافق أهوائهم وآرائهم وبما يفسد على الإسلام نقائه وصفائه؛ مثل ما فعل عبدالله ابن سبأ اليهودي الذي كان السبب في تأسيس مبدأ الرفض عند الشيعة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–" وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق: عبد الله بن سبأ؛ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديا في إفساد دين النصارى"(١).

ب– التعصب الفكري والمذهبي

يعد التعصب الفكري والمذهبي من الآفات التي أصيب بها المسلمون وخاصة ممن ينتسبون إلى العلم الشرعي، كون الواحد منهم يتعصب لرأي شيخة أو مذهبة من دون النظر إلى الدليل الشرعي والذي هو عليه مدار الأحكام الشرعية قال تعالى (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٢) فمتى ما صح الدليل فهو الواجب في حق المسلم أن يتبعه، فروي عن مجاهد قال: «ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي صلى الله عليه وسلم»(٣)، ومتى ما لم يعرف دليل في المسألة كان الاجتهاد في هذا الباب واسع.

وأما التعصب لأحد من الأئمة مع جلالة قدرهم –رحمهم الله – فهو مذموم في الشريعة يقول شيخ الإسلام "ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين. كالرافضين الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة. وكالخارجي

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤٨٣/٢٨.

(٢) سورة آلنساء، الآية: ٥٩

(٣) قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط١، ص٧٣.

الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما. فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم. فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء سواء تعصب لمالك، أو الشافعي، أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم"(١)

وأما التعصب الفكري لبعض المعتقدات الباطلة فهذا ظلال أعظم على المسلم كونه جمع بين ظلالتين ظلالة أتباع المذاهب الباطلة، وظلالة التعصب لها ولي أعناق النصوص الشرعية لتكون موافقة مذهبة الباطل أو المنحرف بل البعض يفسر القرآن الكريم على طريقة مذهبة ويحرف معاني الآيات لتوافق معتقدة ومعتقد أصحابه في المذهب ومنهم الزمخشري(٢) الذي يقول في سبب وضع تفسيره "ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملى عليهم (الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)"(٣).

ج- الجهل بأصول التفسير

إن لكل علم أصول وقواعد إذا حاد عنها الشخص انحرف عن جادة الصواب، وكذلك علم التفسير فله أصول وقواعد، ولا يقبل أن يخوض في تفسير كتاب الله إلى من أتقن هذه القواعد والأصول، فمن أتقنها يسر الله له التفسير، ومن أهم هذه الأصول سلامة العقيدة وصفائها من أي بدع أو انحرافات توثر في منهج المفسر عند التفسير. كما أن القرآن الكريم يفسر بالقرآن ثم بعد ذلك بالسنة ثم بعد ذلك بأقوال سلف الأمة ممن شاهدوا نزول القرآن وعرفوا حقيقة معانيه لقربهم من رسول الله

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٥٢/٢

(٢) يعد الزمخشري من علماء المعتزلة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسيره" فتفسيره محشو بالبدعة وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة" مجموع الفتوى، ابن تيمية، ٣٨٦/١٣.

(٣) الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، ص٣.

ﷺ،[١] قال أبو عبد الرحمن السلمي "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا"[٢]

وأما الأخذ من كتب أهل الظلال وكتب وُضاع الحديث ممن يكذبون على الله ورسولهﷺ فليس هذا من أصول التفسير، بل هذا الأمر هو من اسباب الانحراف عند كثير من المفسرين فالاعتماد على المصادر الصحيحة سبباً في السلامة من الانحراف.

ومن الأصول الهامة في التفسير عدم الاعتماد على المعنى اللغوي للكلمة فقط من دون النظر إلى الدليل الصحيح الموضح لعنى الآية أو سياق الآيات ولذلك يقول شيخ الإسلام "وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين؛ لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية. فإن هؤلاء أكثر غلطا من المفسرين المشهورين؛ فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون"[٣].

د- تقديم العقل على النقل

إن من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان أن منحة نعمة العقل حيث ميزه بذلك عن سائر المخلوقات فبه يعرف الخير من الشر والجيد من السيء، ولكن لا يستغني العقل عن الدليل الشرعي، بل الدليل الشرعي هو المسيطر على العقل والمنظم له في جميع أعماله، ولذلك وقع أهل الضلال في فتنه تقديم العقل على النقل حيث وضعوا العقل فوق كلام الله المنزل الذي وهب للإنسان العقل وفهمه.

ووضعت هذه الفئة (قانون) يسيرون عليه في المسائل التي يعتقدون فيها وقوع تعارض بين النقل والعقل فيقولون" إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين

(١)أنظر، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٦٣/١٣.

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، ابن تيمية، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ٢٢٧/٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٩٤/١٥

النقيضين، وإما أن يردا جميعاً، وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول، وإما أن يفوض"[١]

وهذا الكلام باطل إذ لا تعارض بين صريح العقل وصحيح النقل بل الاعتقاد بهذا الأمر قدح في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[٢] وقال تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [٣] وهذه الأدلة وغيرها الكثير تؤكد أن القرآن الكريم لا اختلاف أو تعارض فيه مما يعني أن الاختلاف والتعارض هو في ذهن القارئ وهو في الحقيقة متوهم وليس حقيقة، يقول ابن ابي العز "فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول"[٤]

كما أن مسألة تقديم العقل على النقل قد أوقعت أصحابها في إشكالات كبيرة حيث أصبحوا يخوضون في مسائل استأثر الله بعلمها لنفسه[٥]، فأصبحوا يخوضون في مسائل الغيبيات ومسائل الأسماء والصفات بغير دليل، وإنما بقياسات عقليه فتجدهم مضطربين ليس لهم دليل يهتدون إليه، وكل من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ٤/١

(٢) سورة فصلت الآية:٤٢.

(٣) سورة النساء الآية:٨٢.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين أبي العز، وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، ط١، ص١٦٦.

(٥) أنظر، تحريف معاني الألفاظ القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة-، عميرة بنت حمد الرشيدي، رسالة ماجستير في قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ، ص١٧١.

أدعى علم الغيب بالمكاشفات والرؤى وغيرها من الأوهام فهو كاذب قال تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا)[١].

ولقد نهى الشارع الحكيم عن الخوض في المسائل التي أستأثرها الله ﷻ بعلمه فقد سأل رسول الله ﷺ عن الروح فجاءت الآية ببيان أنها من علم الغيب قال تعالى (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا) [٢] ولقد جاءت عدد من الآيات التي تبين وتؤكد بأن الله ﷻ وحدة عنده مفاتيح الغيب وليس لغيره الاطلاع عليها.

هـ- الحصول على حظوظ الدنيا.

إن العلم بكتاب الله ومعرفة معانيه أمانته عظيمه يوجب على صاحبها أن يؤدي حقها وأن لا يخون هذه الأمانة لغرض من أغراض الدنيا، وأن يحرف كلام الله ليتوافق مع شهواته ورغباته، وليحصل على ما يريد من مال وجاه فيشابه بذلك أهل الكتاب عندما حرفوا في كتبهم ليحصلوا على المال لقاء ذلك قال تعالى (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنا قَلِيلاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) [٣] فأهل الكتاب حرفوا كتبهم ليحصلوا على حظ من الدنيا، وأما من شابههم من المسلمين فلن يستطيعوا تحريف كتاب الله ولكن حرفوا معانيه ووضعوها على غير مراد الله لها ليحصلوا على حظوظ الدنيا، يقول الإمام الطبري $ في تفسير هذه الآية "يعني بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جهال بما في كتب الله - لطلب عرض من الدنيا خسيس"[٤].

---

(١) سورة الجن الآية: ٢٦.

(٢) سورة الإسراء الآية:٨٥.

(٣) سورة البقرة الآية: ٧٩.

(٤) جامع البيان في تأويل للقرآن، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢/٢٧٠.

وحظوظ الدنيا لا تقتصر على المال فقط بل تكون بالرغبة في تصدر المجالس وحب الشهرة وأن يقال عنه أنه عالم عارف بالواقع، فيحاول أن يخفف عن الناس الأحكام الشرعية ويحرف معانيها حتى يكسب ود الناس ومحبتهم؛ لكونه خفف عنهم ما أوجب الله عليهم من تكاليف شرعية، كما يهون عليهم أمر المحرمات ويفتح لهم درب الشهوات لينال رضى الناس ويكسب الشهرة والمكانة وكثرة الأتباع من جهال الناس ومحبي الشهوات.

فمحب الشهرة والجاه جمع بين سوءتين تحريف كتاب الله، والرياء حيث يظهر العلم ويريد أن يبرز بين الناس ويتصدر المجالس رغبة فيما عند الناس ومدحهم وثنائهم وليس ما عند الله من أجر ومثوبة لمعلم الناس الخير.

د- تأثير الثقافات الأخرى

يعد تأثر المسلمين بالثقافات الأخرى من أسباب تحريف القرآن الكريم فإنه مع أتساع رقعة الإسلام وانتشار الإسلام في البلاد المعمورة دخل الناس فيه أفواجاً مقبلين عليه، ولكن أثار الكفر وثقافاتهم لازالت راسخة عند البعض منهم، فحاولوا حمل هذه الأفكار إلى الإسلام وسعوا إلى المزج بين عقائد الإسلام وعقائدهم النصرانية أو الوثنية السابقة، فحصل بذلك الخلل ووقع منهم التحريف في كتاب الله حتى يتوافق مع معتقداتهم السابقة، فأصبحوا بذلك يثيرون الفتن والأقاويل في كتاب الله وسنه نبيه ﷺ ويدخلون على دين الإسلام الخرافات والخزعبلات وغيرها من المعتقدات الباطلة فلبسوا على المسلمين دينهم وشوهوا صفاء عقائدهم، ولذلك تجدهم في كثر من الأحيان هم أساس كل فتنه يقول الأوزاعي " أول من نطق بالقدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، وكان نصرانيا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد"(١).

(١) الشريعة، أبي بكر محمد الآجري، دار الوطن، ط٢، ٩٥٩/٢.

كما أن الثقافات الأخرى قد انتشرت بين المسلمين بسبب حركة الترجمة والتي نقلت العديد من الثقافات الأخرى والمعتقدات المخالفة مثل كتب اليونان والإغريق وغيرهم(١)، كما أن ترجمة كتب الفلاسفة مثل أرسطو وطاليس كان له أثر على المسلمين، وخصوصاً أثناء أنتشار حركة الترجمة في عهد المأمون حيث ترجم عدد كبير من كتب الفلاسفة فكان له الأثر الكبير في إدخال معتقدات هؤلاء المتفلسفة على المسلمين يقول الإمام السفاريني "قال العلماء: إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى – أظنه صاحب جزيرة قبرس – طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا مطران واحد، فإنه قال: جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها"(٢)

ولذلك هذه الكتب والفلسفات زادت في إفساد ديانه أهل الكتاب وحاولوا إفساد دين الإسلام، كون هذه الكتب تمجد العقل والمحسوسات ولا تقيم للنصوص الشرعية أي اعتبار، كما أنها أوجدت الفتنه بين المسلمين بإدخال بعض المعتقدات الباطلة مثل القول بخلق القرآن وغيرها من الفتن.

كما أن التأثر بالثقافات الأخرى كان سبب في إثارة الجدل وكثرة الكلام بين المسلمين في مسائل الاعتقاد، فتصدر لهذا الأمر عدد من الجهال الذين يحاولون أن يدافعوا عن الحق بالباطل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –" وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة؛ لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر مسلما مبتدعا"(٣) فدخول مثل هذه الثقافات والمعتقدات الفاسدة كان سبباً في نشوء عدد من المذاهب الباطلة أو ساهمت في نشوء بعض منها.

---

(١) أنظر، تحريف معاني الألفاظ القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة-، عميرة بنت حمد الرشيدي، ص ١٦٣.

(٢) لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ٩/١.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٩٧/١٣.

المطلب الثاني: نتائج تحريف القرآن الكريم

إن من المصائب التي أبتلي فيها المسلمون تحريف معاني كتاب الله فلقد كان هذا الأمر سبباً في وقوع الفتن والمحن على المسلمين عامة وعلى علمائها خاصة كونهم هم المناط بهم الدفاع عن هذا الدين فهم من حمل أمانه العلم، فهم أعرف الناس بمآلاته وخطرة على المسلمين ولذلك ذكر ابن القيم – رحمه الله – كلام نفيساً للغاية عن ماجره التأويل المنحرف على المسلمين من نتائج وخيمه فيقول " ومن جنايات التأويل ما وقع في الإسلام من الحوادث بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا بل في حياته صلوات الله وسلامه عليه فإن خالد بن الوليد قتل بني جذيمة بالتأويل ولهذا تبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنعه وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" ومنع الزكاة من منعها من العرب بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأويل ... ثم جرت الفتنة التي جرت قتل عثمان بالتأويل ولم يزل التأويل يأخذ مأخذه حتى قتل به عثمان فأخذ بالزيادة والتولد حتى قتل به بين علي ومعاوية بصفين سبعين ألفا أو أكثر من المسلمين وقتل أهل الحرة بالتأويل وقتل يوم الجمل بالتأويل من قتل ثم كان قتل ابن الزبير ونصب المنجنيق على البيت بالتأويل ثم كانت فتنة ابن الأشعث وقتل من قتل من المسلمين بدير الجماجم بالتأويل ثم كانت فتنة الخوارج وما لقي المسلمون من حروبهم وأذاهم بالتأويل ثم خروج أبي مسلم وقتله بني أمية وتلك الحروب العظام بالتأويل ثم خروج العلويين وقتلهم وحبسهم ونفيهم بالتأويل إلى ضعاف أضعاف ما ذكرنا من حوادث الإسلام التي جرها التأويل وما ضرب مالك بالسياط وطيف به إلا بالتأويل ولا ضرب الإمام أحمد بالسياط وطلب قتله إلا بالتأويل ولا قتل أحمد بن نصر الخزاعي إلا بالتأويل ولا جرى على نعيم بن حماد الخزاعي ما جرى وتوجع أهل الإسلام لمصابه إلا بالتأويل ولا جرى على محمد بن إسماعيل البخاري ما جرى ونفى وأخرج من بلده إلا بالتأويل ولا قتل من قتل خلفاء الإسلام وملوكه إلا بالتأويل ولا جرى على شيخ الإسلام عبد الله أبي إسماعيل الأنصاري ما جرى وطلب قتله بضعة وعشرين مرة إلا بالتأويل ولا جرى على أئمة السنة والحديث ما جرى حين حبسوا وشردوا وأخرجوا من ديارهم إلا بالتأويل ولا جرى على شيخ الإسلام

ابن تيمية ما جرى من خصومه بالسجن وطلب قتله أكثر من عشرين مرة إلا بالتأويل فقاتل الله التأويل الباطل وأهله"[١].

وإن من أبرز نتائج تحريف القرآن الكريم الآتي:

أ- فساد عقائد المسلمين

إن من أخطر نتائج تحريف القرآن بالتأويل الباطل بدون دليل فساد عقائد الناس وهي أهم ما يجب على المسلم أن يحافظ عليه والاختلاف حولها غير مقبول حيث إن الاصل فيها أنها توقيفيه فنثبت ما أثبته الله ورسوله في كتابه وسنه نبيه، ولا مجال فيها للتأويل أو الخواطر والمنامات، والاختلاف في هذه المسائل هو سبب الشقاق بين المسلمين يقول ابن رجب" وهذه المسائل – أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق – مسائل عظيمة جدا، فإن الله علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم"[٢] ولذلك كان التأويل الباطل من أخطر ما يكون على عقائد الناس، فالعقيدة الصحيحة السليمة هي المنجية- بإذن الله- من الوقوع في النار، ووجود مثل هذا الخلل هو قدح في عقيدة المسلم ويخشى عليه من الوقوع في الكفر –والعياذ بالله- فإذا فقد الإيمان فلا خير في الإنسان وعاش حياة شقيه في الدنيا والأخرة.

كما أن فساد عقائد الناس يكون سبب في تفرق المسلمين وضعف قوتهم وذهاب عزيمتهم فيكون المسلمين منشغلين في إطفاء الفتن بين أنفسهم مما يغري أعدائهم بالتدخل في شؤونهم وقتالهم واستباحة أموالهم وأعراضهم ولذلك نهى الله في كتابة العزيز عن التفرق قال تعالى (وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[٣] ففي هذه الآية حذر الله من التفرق وأنه سبب

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، ٣٨١/١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١١٤/١.

(٣) سورة الأنفال الآية:٤٦.

في ضعف المسلمين وذهاب قوتهم، ومخالفة الله ولرسوله لأنهم لم يأمروا الناس بالتفرق، بل التفرق من صفات غير المسلمين من أهل الظلال وغيرهم قال تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ) (١).

ب- تعطيل العمل بالأحكام الشرعية

كما هو معلوم ومتقرر بأن القرآن الكريم هو المصدر الأول للمسلمين في تلقي الأحكام الشرعية، وأن أي تحريف أو تغيير في هذا المصدر يمكن أن يؤدي إلى تعطيل أو تحريف العمل به، والله ﷻ قد أمرنا بتطبيق شرعة والقيام بأوامره ومن خالف ذلك أو حرف أمر الله فما طبق أمر الله قال تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (٢) وقال تعالى في الآية التي تليها (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٣) وهذه الآيات وغيرها من الآيات كلها تدل على أن تطبيق واجب على جميع الناس وأن مخالفة ذلك من الظلم والكفر، بل يجب التسليم لحكم الله ورسوله والقبول بذلك قال تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)(٤).

ولا يمكن الوصول إلى تطبيق شرع الله إلى بالوصول إلى المعنى الصحيح والمراد من الله، فتحريف الآيات وصرفها عن معناها تعطيل لحدود الله وتعبد لله بما لم يأمر به، فقد يكون التحريف بتعطيل حكم من أحكام الشريعة أو يكون بالزيادة على أحكامها وإجاد عبادات ومعاني غير مقصودة في شرع الله.

ومن نتائج تعطيل أحكام الشريعة أن يجد أهل الظلال بغيتهم في تعطيل ما لا يريدون من الأحكام الشرعية فيتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويوقفون الحدود والجهاد ويبيحون التبرج والسفور تحت ذرائع مختلفة وتأويلات باطلة يقلبون فيها الحق باطلاً والباطل حق، فلا حد يمكن أن

---

(١) سورة الانعام الآية:١٥٩

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٤

(٣) سورة المائدة الآية :٤٥

(٤) سورة النساء الآية :٦٥

يقف عنده أهل الظلال إذا ترك لهم الأمر في تأويل القرآن، والقول على الله بغير حق، بل قد يقولون هذا أمر الله ومن خالف ذلك أستحق العقوبة في الدنيا والآخرة.

ولقد حذرنا الله ﷻ من أهل التأويل والتحريف فقال تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [(١)] فأهل الظلال يتبعون المتشابه من القرآن ويتركون المحكم من الآيات ساعين لأن يجدوا لهم طريقاً في تأويل هذه الآيات المتشابه لتحقيق أهدافهم في تعطيل أحكام الشرع.

ولقد قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب ، أي : بينات واضحات الدلالة ، لا التباس فيها على أحد من الناس ، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم ، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه ، وحكم محكمه على متشابهه عنده ، فقد اهتدى . ومن عكس انعكس"[(٢)] ،كما أكد على ذلك نبيه الكريم ﷺ حين تلا هذه الآيات فقال (فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ)[(٣)].

كما حذرنا أهل العلم من طريقة أهل البدع والتأويل في اتباع المتشابه فيقول الإمام أحمد رحمه الله "الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم"[(٤)]، فكل هذا التحذير دلالة على خطر هذه الفئة فيما يسلكونه من طريق في إظلال الناس

---

(١) سورة آل عمران الآية:٧

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٢٦/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (منه آيات محكمات)، (٤٥٤٧).

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل، دار القبس للنشر والتوزيع، ط١، ص١٧٠-١٧٣.

واتباع المتشابه من أبرز خصائص أهل الظلال والتأويل حيث يسعون من ذلك إلى تحقيق مآربهم من خلال تفسير الآيات المتشابه وعدم ردها إلى المحكم، مخالفين بذلك أمر الله حين أمرهم بردها إلى المحكم، ولكن لأن ما تكنه صدورهم من رغبات منحرفه وأفكار ضالة هي ما دفعهم إلى ذلك.

ج- تأثر الدعوة إلى الله

لقد بعث الله الرسل بالدعوة إلى التوحيد ودعوة الناس إليه وتحذيرهم من الشرك وخطر الوقوع فيه ويقيم الحجة عليهم قال تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[1] ، ولما كان القرآن الكريم هو الكتاب الذي بعث الله رسوله الكريم ﷺ به، فأي تحريف فيه سيكون له الأثر بالغ على الدعوة إلى دينه، فكيف يكون الإسلام دين توحيد الله وكتاب الله يؤول بأنه يدعو إلى الشرك بالله، وهذا أمر متناقض متضارب يشوه صورة الإسلام عند غير المسلمين.

كما أن أهل التحريف والتأويل لا يرون حاجة إلى الدعوة إلى الله لما لهم من تقارب وتلاقي بينهم وبين أهل البدع والضلالات، بل قد يكونوا هم من رؤوس هذه فرق وشيوخها، فتتعطل الدعوة إلى الله بهذا السبب. كما أن الحجج التي سيقيمها أهل التحريف على من خالفهم من أهل الباطل قد يشتركون معهم في جنس المخالفة سواء كانت غلو في أشخاص، أو التعصب لفرق ومذاهب وغيرها من الأمور التي تجعل حججهم باطلة لموافقتها لباطلهم.

كما أن أهل الشرك والظلال سيستغلون وجود مثل هذا التحريف في كتاب الله لصرف غير المسلمين عن الإسلام ولتشويه صورته، وسوف يبرزون الاختلاف والتضاد بين معاني آياته، وسوف يثيرون أسئلة لن يستطيع أهل التحريف أن يجيبوا عليها، فيكون الإسلام حين إذ موضع تندر من الأعداء وأنه دين من عمل البشر وليس منزل من الله كما تدعون. وبذلك تتضرر الدعوة إلى الله ويزيد الحمل على دعاة التوحيد الصحيح في الدعوة إلى الله، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تسبب بها أهل التحريف وإصلاح ما تسببوا به من نفرة عن دين الله.

---

(١) سورة النساء الآية:١٦٥

وغير المسلمين لن يقبلوا الدخول في دين الإسلام مع وجود مثل هذا التضارب في تفسير معانيه وتضاربها، فهو لن يترك دينه الذي فيه شك وحيرة وتضارب ليدخل في دين يوجد به ما هرب منه، ولذلك أهل التحريف خطرهم كبير وضررهم عظيم، فكتاب الله حق لا يأتيه الباطل قال تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[1] .

د. تضارب معاني القرآن الكريم

إن لتضارب معاني القرآن الكريم الأثر بالغ في عدم فهم القرآن، وعدم تطبيق أحكامه وتعطيل شرائعه فأي قول يقدم وأي نص يعتمد لدى الناس، وخطر هذا التضارب يمتد على الفرد وعلى المجتمع، فأثرة متعدي وضرره مركب، فلا يكون لكتاب الله أي قيمة في نفوس الناس إذا كان الحال كذلك.

فضرر تضارب معاني الآيات على الفرد كبير حيث يسبب للفرد الشك في كتاب الله ويثير في ذهنه الأسئلة المختلفة حول صحة وموثوقية كتاب الله[2]، فيزرع في قلبه الشك فيما عنده من الحق وقد يقع –والعياذ بالله– في كفر الشك ففي الحديث عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، فأَمَّا المُؤْمِنُ –أوِ المُسْلِمُ لا أدْرِي أيَّ ذلكَ قالَتْ أسْمَاءُ– فيَقولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بالبَيِّنَاتِ، فأجَبْنَاهُ وآمَنَّا، فيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا عَلِمْنَا أنَّكَ مُوقِنٌ، وأَمَّا المُنَافِقُ أوِ المُرْتَابُ لا أدْرِي أيَّ ذلكَ قالَتْ أسْمَاءُ– فيَقولُ: لا أدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يقولونَ شيئًا فَقُلْتُهُ)[3] فقرن رسول الله ﷺ بين المنافق والمرتاب وذلك لعظم خطر الشك في أصول الدين، ويقول القاضي عياض " واعلم أن من استخف بالقرآن، أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفا منه، أو آية أو كذب به، أو بشيء منه.. أو بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه،

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢

(٢) أنظر، تحريف المصطلحات القرآنية وأثرة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ١٤٢٤هـ، ص٨٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، (٨٦)

أو نفى ما أثبته.. على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع"[١] وهذا الضرر والخطر ما يكون إلى بسبب وجود أهل التحريف وما يفعلونه من تضليل لعامة الناس.

ومن نتائج تحريف معاني الآيات أنه يفتح الباب لكل ضال ولكل صاحب فتنه وهوى أن يقول في كتاب الله ما يريد، وأن يؤول الآيات على هواه بدون دليل، تقليداً لأهل التحريف وسيراً على منهجهم، فيفتح على الناس باب فتنه ويتصدر للفتيا أهل الخسة، فيجد أصحاب الضلالات في هذا الحال بغيتهم، فيفتنون الناس عن دين الله ويصدون عن طريقه قاصديه بهذه التأويلات الواهية.

هـ- تعطيل العمل بالسنة وظهور البدعة

إن من أخطر ما يمكن أن يجر إليه تحريف القرآن الكريم هو تعطيل السنه وإقامة البدعة، وقد أمرنا الله ﷻ بإتباع رسوله ﷺ فقال تعالى (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [٢] كما أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك بسنته فقال (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)[٣].

والتمسك بالسنة والعمل بها والإيمان بأنها من عند الله واجب على كل مسلم قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) [٤] فكل ما جاء عن النبي ﷺ هو حق ووحي من الله ففي الحديث عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: كنتُ أكتُبُ كلَّ شيءٍ أسمَعُهُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ، أُريدُ حِفْظَهُ، فنهَتْني قريشٌ، وقالوا: أتكتُبُ كلَّ شيءٍ تسمَعُهُ ورسولُ اللهِ ﷺ بشَرٌ يتكلَّمُ في الغضبِ

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى السبتي، دار الفيحاء، ط٢، ٦٤٦/٢.

(٢) سورة الحشر الآية :٧.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤٦٠٧). وصححه الالباني، سنن أبي داوود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢، ص٨٣٢.

(٤) سورة النجم الآية: ٣-٤.

والرِّضا؟! فأمسَكْتُ عَنِ الكِتابِ، فذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأَوْمأَ بإِصْبَعِهِ إلى فِيهِ، فقال: (اكتُبْ؛ فوالذي نفْسي بيدِهِ، ما يخرُجُ منه إلَّا حقٌّ).(١)

وهذه الأدلة تؤكد بأن كل من حاول أن يؤول القرآن الكريم ليثبت بأن السنة النبوية ليست وحي من الله فكلامة باطل فالسنة النبوية موضحة ومفسرة لمعاني القرآن الكريم يقول ابن القيم – رحمه الله – " أنَّ الله سبحانه أنزل على رسوله وَحْيَين، وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتابُ والحكمةُ؛ كما قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)(٢) وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)(٣) وقال تعالى: (وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ)(٤) والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة، باتفاق السلف. وما أخبر به الرسول عن الله، فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أَخبرَ به الربُّ تعالى على لسان رسوله. هذا أصلٌ متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم"(٥)

وهم يريدون بذلك أن يستطيعوا رد ما جاء في السنة المفسرة لمعاني القرآن الكريم حتى يفسح لهم المجال في تأويل القرآن كما يشتهون وفق عقائدهم الباطلة.

المبحث الثاني: منهج احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم وصوره

المطلب الأول :منهج احتساب العلماء على تحريف القرآن

يقوم منهج العلماء رحمهم الله على عدد من الأصول والضوابط التي تسيير عملية الرد والاحتساب على المخالفين لهم وهذه الأصول والضوابط كلها مستمدة من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ممن قاموا بالاحتساب على مخالفيهم من أهل البدع والتأويل.

---

(١)سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب كتابة العلم، (٣٦٤٦)، وصححه الالباني، سنن أبي داوود، ص٦٥٦.

(٢) سورة النساء الآية:١١٣

(٣) سورة الجمعة الآية:٢

(٤) سورة الاحزاب الآية: ٣٤

(٥) الروح، ابن القيم الجوزية، دار الحديث، ط١٤٢٤، ص١٠٠.

وقسم هذا المطلب إلى فرعين: الفرع الأول: أصول منهج العلماء في التفسير، والفرع الثاني: ضوابط منهج العلماء في الاحتساب، وسيتم بيانها على النحو الآتي:

الفرع الأول: أصول منهجهم في التفسير

من الأهمية بما كان معرفة أصول منهج العلماء في التفسير حتى يستبين المنهج الذي ينطلقون منه، وأن لا يكون احتسابهم على غيرهم، إلا عن علم ومعرفة وبصيرة بمنهج السلف الصالح في التفسير، وإلا أصبحوا كمخالفيهم بلا منهج مستقيم يتأولون كتاب الله بغير علم.

ويقوم منهج العلماء في التفسير على عدد من الأصول وهي كالآتي:

١-تفسير القرآن بالقرآن:

إن خير ما يفسر به كتاب الله هو كتاب الله فما كان في موضع مجمل كان في موضع أخر مفصل فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، ولقد جاء القرآن الكريم سهل البيان واضح المعاني قال تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [(١)] فيمكن لمريد الحق أن يدرك معانيه، ولقد بين الإمام السيوطي بأن العلماء قالوا "من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه"[(٢)] كما حكى الشيخ محمد الامين الشنقيطي في مقدمة تفسيره أضواء البيان على إجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله وأنه لا أحد أعرف بمقصود الله إلا الله ﷻ [(٣)].

٢- تفسير القرآن بالسنة النبوية

تعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع في الإسلام وهي من أشرف المصادر التي يفسر بها القرآن كونها من كلام رسول الله ﷺ وهو لا يبلغ عن الله إلا الحق، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية حكى عن إجماع الصحابة والتابعين على أن السنة تفسر القرآن "وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم

---

(١) سورة القمر الآية:١٧.

(٢) الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط ١٣٩٤، ٢٠٠/٤.

(٣) أنظر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، دار عطاءات العلم،ط٥، ٨/١.

بإحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عن مجمله وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر"[١].

وتبرز أهمية التأكيد على هذا الأصل وهو التفسير بالسنة في الرد على عدد من أصحاب الأهواء والطرق المختلفة مثل القرآنيين وغيرهم الذين يفسرون القرآن على هواهم وحسب طريقتهم، نابذين لسنة رسول الله ﷺ بحجج واهية وأنهم بعقولهم وأهوائهم وأذواقهم أعرف بمعاني كلام الله من رسول الله ﷺ، وهذا الأمر باطل بالكلية، فالمفسر للقرآن الكريم لا يمكن أن يستغنى عن السنة النبوية فهي شارحة موضحة ومفسرة لكثير من معاني القرآن.

ومن أبرز ما تفيد به السنة النبوية في تفسير القرآن الكريم أن علم أسباب النزول نجده في السنة النبوية ولا يمكن أن يفهم كثير من معاني القرآن إلى بمعرفة السنة النبوية يقول ابن حجر" بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز هو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا"[٢] كما أن السنة النبوية بينت معاني الآيات المجملة في القرآن الكريم مثل الصلاة والزكاة والحج وهي من أركان الإسلام مع ذلك نحتاج إلى السنة النبوية لبيان معانيها وفهم مراد الله منها. وتفيد السنة النبوية في تخصيص اللفظة العامة في القرآن بأمور محددة في السنة، كما ان السنة النبوية تحدد المطلق في القرآن الكريم ولا سبيل إلى ذلك إلى بالسنة النبوية كونها وحي من الله على رسوله ﷺ، وتفيد السنة في إيضاح الآيات المشكلة والمبهمة من القرآن الكريم، فلقد بين رسول الله ﷺ من هم المغضوب عليهم ومن هم الضالين في سورة الفاتحة في السنة النبوية وهذه من الأمور التي لا يتوصل إلى معانيها إلا بالسنة.[٣]

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

يعد تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين من أهم الأصول التي يعتمدها أهل السنة والجماعة في بيان معاني القرآن الكريم، وقد أنحرف عن هذا الأصل عدد كبير من الطوائف التي لا تقيم للصحابة

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤٣٢/١٧.

(٢) العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، دار ابن الجوزي، ٩٤/١.

(٣) أنظر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال محمد هاجر، دار التفسير، ط١، ص٣٧٦-٣٨٣.

الكرام أي مكانة واحترام فأصبحوا يقدمون آرائهم وأقوالهم على أقوال صحابة رسول الله ﷺ الذين شاهدوا تنزيل القرآن بأعينهم وتطبيق السنة أمامهم، بل هنالك من وصلوا إلى أبعد من ذلك فسبوا صحابة رسول اللهﷺ وانتقصوا من قدرهم وحطوا من مقامهم الشريف حتى وقعوا في تكفيرهم، فهم بذلك يحجبون كل طريق لتفسير القرآن بالسنة أو بأقوال الصحابة فلا يمكن أن يقبلوا بكلام من كفروهم، وجعلوا لعلمائهم مقاماً كبيراً في تفسير القرآن بأهوائهم وأمزجتهم فيقولون على الله مالم يقله ويتأولون القرآن بما لم يرد في كتاب أو سنة، فتعدوا بذلك مكانه الصحابة رضوان الله عليهم بل إن بعضهم تعدى ذلك إلى رسول الله ﷺ.

والصحابة الكرام ومن بعدهم من التابعين هم أعرف الناس بكلام الله وأفقههم بمراد الله كونهم عاشوا مع رسول الله ﷺ وعرفوا معاني السنة ورأوها تطبق أمامهم فهم أعظم الناس علماً وأنقاهم سريره وأفصحهم لساناً يقول ابن القيم –رحمه الله– فيما تميز به السلف الصالح من الصحابة والتابعين "هذا فيما انفردوا به عنا، أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة فلا ريب أنهم كانوا أَبرَّ قلوبًا، وأعمق علمًا وأقل تكلّفًا وأقرب إلى أن يوفَّقوا فيها لما لم نوفق له نحن، لما خصَّهم اللَّه به من توقّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلّة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران: أحدهما: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، والثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما"[1] فهم بذلك أحق من يتبع ومن يؤخذ برأيه لما وصلوا له من العلم والمعرفة، وأما من خالفهم فقد وقعوا في الزلل والقول على الله بغير علم.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، دار ابن الجوزي، ط١، ٦/٢١-٢٢.

٤- معرفة اللغة العربية وعلومها

تعد معرفة اللغة العربية من الأصول الهامة في تفسير القرآن الكريم حين نزل القرآن بالغة العربية على العرب قال تعالى (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [١] وقال تعالى (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[٢] فأبهرهم ببلاغته وإعجازة وهذا الإعجاز والبلاغة كان لوقوعها على العرب أثر كبير حيث إنهم أعرف الناس بالعربية وقواعدها لذلك تأثروا به وانقاد إليه بعضهم من أول سماعهم له لقوة تأثيره عليهم، وأما من أتى بعدهم واختلطت عليه الأعجمية قل أثرة عليهم لعدم فهمهم الكامل والشامل لمعاني القرآن وبلاغته وفصاحته، ولذلك كان لزاماً على كل من أراد أن يفسر القرآن الكريم أن يعرف اللغة العربية وأن يعرف معانيها وقواعدها حتى لا يقول على الله إلا الحق، يقول الإمام الشافعي – رحمه الله –" " القُرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم مِن إيضاح جُمَل عِلْم الكتاب أحد، جهِل سَعَة لسان العرب، وكثرةَ وجوهه، وجِماعَ معانيه، وتفرقَها. ومن علِمه انتفَتْ عنه الشُّبَه التي دخلَتْ على من جهِل لسانَها"[٣]

ولقد أكد العلماء –رحمهم الله– على ضرورة معرفة اللغة العربية لمن أراد أن يفسر القرآن الكريم فقد نقل عن مجاهد قوله" لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[٤] ويقول الزركشي "وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين"[٥].

فكل من جهل بالعربية ولم يعرف قواعدها ومعانيها ولغة العرب قديماً فليس له أن يقول في كتاب الله أي شيء، فإن خطأه سيكون أكثر من صوابه لفقده الأداة التي يفهم بها معاني القرآن الكريم.

---

(١) سورة يوسف الآية: ٢

(٢) سورة الزمر، الآية ٢٨.

(٣) الرسالة، الامام الشافعي، مكتبة الحلبي، ط١، ٤٧/١.

(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ٢٩٢/١

(٥) المرجع السابق، ١٦٥/٢.

٥-سلامة الاعتقاد والمنهج

انه من الأمور التي لا تخفى على كل ذي بصيرة بأن سلامة المعتقد والمنهج من أهم ما يجب أن يتحلى به المفسر لكتاب الله، وإلا أصبح كتاب الله يؤول على حسب معتقد كل مفسر. فمنحرف العقيدة والمنهج لا يؤتمن على تفسير كتاب الله والكذب في تفسيره، ومن ذلك نجد بأن عدد من علماء الجرح والتعديل لا يقبلون رواية من به شبهة في عقيدته أو صاحب بدعة[١] وهذا في حديث رسول ﷺ فكيف يكون الأمر في كلام الله إذ أن أهل الأهواء سيعملون على إيجاد الذرائع لتأويل كلام الله لتوافق منهجهم وتؤيد معتقدهم.

وقد قال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره: القول في أدوات المفسر: "اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فإن من كان مغموصًا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغر الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة وإن كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصودة منه الإيضاح الساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى"[٢]

وحال أمثال هؤلاء أنهم يعتقدون بأمر أو يدعون إلى بدعة ثم يحاولون لي أعناق النصوص لتوافق قولهم، ففاسد العقيدة لا يؤتمن في الكذب على الله في تأويل القرآن أو وضع الدسائس أو خلق الشبة التي تفتن الناس عن دينهم ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفاسيرهم "والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا

---

(١) فصل العلماء في مسألة الأخذ من صاحب البدعة للاستزادة. أنظر، مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، دار الفكر، ط١، ص١١٤-١١٥.

(٢) الاتقان في علوم القرآن، ٤/٢٠٠.

من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة"[١]

الفرع الثاني: ضوابط منهج العلماء في الاحتساب

يقوم منهج العلماء في الاحتساب على عدد من الأسس الهامة التي استقاها العلماء من الكتاب والسنة مراعين فيها الضوابط الشرعية حتى يكون احتسابهم وفق المنهج الصحيح الذين يحقق المصالح الشرعية لجميع الناس.

ومن أهم الضوابط التي سار عليها العلماء في منهجهم للرد على تحريف القرآن هي كالآتي:

١- العدل مع المخالف:

إن من أهم الضوابط التي يجب أن يتحلى بها المحتسب أو العالم عند التعامل مع المخالف هو العدل معهم وعدم ظلمهم والكذب عليهم فالله أمر بالعدل قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**)[٢] والحكم على أقوال الرجال يتطلب العدل والإنصاف، كما آمر الله نبيه ﷺ بالعدل بين المدعوين عند دعوتهم وتوجيههم قال تعالى (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[٣]

ومن العدل مع المخالف عدم التأويل عليهم وإلزام كلامهم مالا يلزم أو اختيار ما نشاء من كلامه وإغفال غيره مما يوضح اللبس أو يبين مقصود المفسر، فهذه انتقائية لا يجب أن يتحلى بها أي محتسب فمقصود المحتسب الأول أن يصحح الخطأ ويبين الصواب بأفضل طريقة لا أن يتصيد الأخطاء ويتتبع الزلات على العلماء حتى يرد عليهم، فهذا الأمر مخالف لمنهج الرسول ﷺ (ففي الحديث أقيلوا

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٥٨/١٣.

(٢) سورة النحل الآية: ٩٠

(٣) سورة الشورى الآية: ١٥

ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[1] فالأصل أن العلماء ممن عرف سلامة منهجهم وحسن سيرتهم أن يصحح خطأهم بدون الطعن في ديانتهم أو مقصدهم فهم مجتهدون، فالعلماء يجتهدون في استنباط الاحكام الشرعية حسب قدرتهم ووسعهم وطاقتهم وهم مثابون على عملهم حتى وإن لم يوفقوا للصواب.

وأما من عرف عنه الشر والخبث والدعوة إلى الباطل وفتنه الناس في دينهم ويعمل على نشر باطلة فهذا يحذر منه ومن شره على الناس حتى لا يفتنهم في دينهم ويحتسب على باطله وتأويله المنحرف لكتاب الله لأنه أصبح داعية إلى الباطل وجب الحذر منه.

ويكون الاحتساب عليه بالعدل وعدم الكذب عليه وتأليف القصص عنه فهذا مسلك الظلال، ويضر بالحسبة ولا ينفعها إذا تبينت حقيقة ما يتهم به بأنه كذب، وإنما الواجب أن تدحض الحجة بالحجة، وبيان ما فيها من باطل حتى يتضح الحق ويكون جلياً لدى الناس.

٢- الأخذ من مصادرهم

إن من الأمور الهامة التي أنتهجها العلماء -رحمهم الله- عند الرد على أصحاب الأهواء والتحريف أن يأخذوا كلامهم من مصادرهم وليس ما ينقل عنهم من عامة الناس إذ إن من أساسيات منهجهم التثبت من أي نقل حتى لو كان من ينقل عنه من أصحاب الضلال فلا يؤمن من أن يكذب عليه أو من أن ينقل عنه كلام لم يقله ليجعل العلماء يردون عليه في أمر لم يقله فيوقعهم في حرج من ذلك وهم بذلك يتبعون منهج القرآن الكريم في التثبت والتبين من الكلام قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ) [٢] ولذلك كان منهج العلماء التثبت من مصادر أهل الضلال وما كتبوه في كتبهم وما ألفه شيوخهم من أهل الظلال للرد عليهم.

---

(١) سنن ابي داوود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه (٤٣٧٥)، وصححه الألباني، سنن أبي داوود، ص٧٨٤.

(٢) سورة الحجرات الآية:٦

ويعد الأخذ من مصادر أهل الظلال للرد عليهم من أهم سمات منهج العلماء في الرد على آهل الظلال حيث إن النقل عنهم قد يكون غير منضبط أو فيه نقص أو قد تراجع عن كلامه أو قد يؤول كلامه على غير مقصودة أو أن ينقله السامع بناء على ما فهمه من كلام المفسر وهذا كله من المواضع التي يرد أن يحدث فيها سقط في الكلام أو تحريفه أو تبديله إذ إن موضع الخلاف في بعض الآيات قد يكون لفظة أو كلمة هي موضع النزاع، ولذلك كان الأخذ من مصادرهم أقوى في الحجة ويمكن العالم من الرد عليهم ومعرفة مقصودهم وهدفهم.

٣-مراعاة الأوليات

إن من الأهمية بما كان عند الرد على أهل التحريف والتأويل مراعاة الأوليات في الرد عليهم، حيث إن كتب أهل التحريف قد تشتمل على عدد من المخالفات العقدية والشرعية والأخلاقية والأسلوبية والنحوية واللغوية، وهذا الأمر وارد من في كتب من يدعون معرفة مراد الله ويتصدون لتفسير بدون علم وبصيرة؛ فهم أضعف الناس علماً واخبثهم طويه وأبعد الناس عن مراد الله، ولذلك كان من المتوقع أن تجد مثل هذه المخالفات لديهم، كونهم يسعون إلى لي أعناق النصوص القرآنية وتحريف ما اتفقت عليه العرب من علم اللغة حتى يحققوا مرادهم.

ولذلك كان العلماء -رحمهم الله- قد صبوا جل اهتمامهم على المخالفات العقدية[١] كونها هي الفيصل بين أهل السنة وأهل البدعة، ولذلك تميزت كتبهم في بيان المخالفات العقدية لدى غيرهم من أهل التحريف، وإن كان من باب الاستطراد ذكر مخالفاتهم في الجوانب الأخرى، حيث إن مبدأ مراعاة الأولويات حاضر في ذهن العلماء -رحمهم الله- إذ إنه لا فائدة كبيرة ترجى من الاحتساب في الأمور الفقهية وكتب المحتسب عليه تتضمن الشرك بالله والدعوة إلى ما يخالف التوحيد الصحيح.

---

(١) صنف عدد من العلماء كتب في الرد على أهل التحريف والاهواء حيث تضمنت هذه الكتب الرد على تحريفهم لآيات القرآن الكريم أو الرد على مناهجهم وعقائدهم الباطلة حيث تضمنت بيان تحريفهم لبعض الآيات في عدد من المواضع، ومن أمثلة ذلك كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الاعتصام للإمام الشاطبي، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم، وغيرها من الكتب التي بين فيها العلماء ضلال أهل التأويل من المنحرفين وغيرهم.

ومراعاة الأولويات عند العلماء هو منهج نبوي وصى عليه نبينا ﷺ لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه حينما بعثة إلى اليمن ففي الحديث (إنَّكَ تَأْتي قَوْمًا مِن أهْلِ الكِتابِ، فادْعُهُمْ إلى شَهادَةِ أنَّ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللهِ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فإيَّاكَ وكَرائِمَ أمْوالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّه ليسَ بيْنَها وبيْنَ اللهِ حِجابٌ)[1] وهذا التدرج ومراعاة الأولويات هام عند التعامل مع المخالفين يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث "ولأنه صلى الله عليه وسلم رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم ألا تراه بدأ صلى الله عليه وسلم بالصلاة قبل الزكاة"[2]

٤- استخدام الحجة العقلية والنقلية

إن من أساسيات منهج العلماء -رحمهم الله- في الرد على أهل التأويل الباطل أن يستخدموا جميع الوسائل المشروعة في بيان الحق ودحض الباطل سواء بالحجة العقلية أو النقلية وكل ما يندرج تحتها من براهين حسية ومعنوية أو أساليب خطابية وبلاغية حتى يتبين الحق، فالرد على أهل الباطل في بعض الأحيان يحتاج إلى تنوع في الأساليب حتى يعي أهل التأويل الباطل ومن تابعهم ما وقعوا فيه من خطأ، وبذلك يقطع دابر أهل الظلال.

واستخدام الحجج العقلية والنقلية هو من باب تنويع الاساليب حتى يستطيع العالم أن يبين ظلال أهل التأويل، فقد يكون أهل الباطل لا يصدقون أو يصححون بعض الأحاديث التي ترد على باطلهم أو أن خطأهم من بعض الكلمات التي تحمل أكثر من معنى فيحملونه على معنى غير المقصود فيكون مناسباً في هذه الحالة، ضرب الأمثلة العقلية أو ذكر أشعار العرب التي تدلل على مقصود آيات القرآن وغيرها من الأساليب التي من خلالها يتضح مراد الله وتدحض شبة أهل الباطل، فكل رد ناقص أو لا يدحض حجة أهل الظلال فضرره أقد يكون أكبر من نفعه حيث قد يفهم منه بأن أهل الحق

(١) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم الحجاج، الامام النووي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨/١.

انقطعت حجتهم وليس لديهم ما يقدموه ليثبت قولهم ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية$ " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"(١).

واستخدام الحجة العقلية والنقلية قد ينفع في نشر الحق وتأثر في أكبر عدد من الناس الذين قد ضللوا بادعاءات أهل الباطل فبعض الناس تؤثر فيه الحجج العقلية أكثر من الحجج النقلية، والبعض الآخر قد توثر فيه الحجج النقلية أكثر من الحجج العقلية فتنوع الأساليب يدحض كل الشبة التي يوردها أهل الباطل ويقطع عليهم الطريق في خلق أي فتنه.

المطلب الثاني: صور من احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم

أجتهد العلماء –رحمهم الله– في الذب عن دين الله من كل ضال ومن كل صاحب هوى يريد أن يحرف دين الله، فوضعوا المؤلفات وكتبوا الرسائل وناظروا أهل الباطل حتى دحضوا حجتهم وأقاموا الحق على رؤوس الأشهاد.

وفي هذا المطلب نبين صور من مواقفهم الاحتسابية التي أقاموا فيها الحق ودحضوا الباطل وقطعوا حجة أهل الظلال، فكان احتسابهم –رحمهم الله– منهجاً لمن بعدهم يسيرون عليه ويستفيدون منه كونهم جعلوا الكتاب الله والسنة نبيه ﷺ أساس احتسابهم.

١– احتساب الامام أحمد بن حنبل على تحريف القرآن

احتسب الأمام أحمد ابن حنبل على الجهمية في ادعائهم بخلق القرآن، إذ يقول الجهم بأن القرآن مخلوق بدلالة قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٢) وأستدل الجهمي بكلمة جعل بأنها تعني خلق فاحتسب على الأمام أحمد بقوله "وزعم أن :جعل، بمعنى :خلق، فكل مجعول هو مخلوق، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزليه، ويبتغي الفتنة في تأويلها، وذلك أن :جعل، في القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية، وعلى معنى فعل

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ٣٥٧/١

(٢) سورة الزخرف الآية:٣

من أفعالهم وقوله: (ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ)[١] قالوا: هو شعر وأنباء الأولين، وأضغاث أحلام، فهذا على معنى التسمية، و قال تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ)[٢] يعني أنهم سموهم إناثًا ثم ذكر: جعل، على معنى التسمية فقال تعالى: (يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم) [٣] فهذا على معنى فعل من أفعالهم وقال تعالى (حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ)[٤] هذا على معنى فعل"[٥] واستمر الأمام أحمد في سرد الأدلة على بطلان كلام الجهمي وأن كلمة (جعل) وردة على عدة معاني مختلفة في القرآن الكريم، وأن الجهمي ممن يتبعون المتشابه من القرآن ابتغاء فتنه الناس وإضلالهم عن دينهم، حيث يريد أن يصرف معنا كلمة جعل إلى المعنى الذي يريده بدون النظر إلى المعاني الأخرى التي بينها القرآن.[٦]

وأحتسب الامام أحمد على تلبيس الجهمية في أن القرآن مخلوق في سؤالهم هل القرآن شيء؟ فكان جواب الإمام نعم هو شيء، فقال الجهمي إن الله خالق كل شيء، فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة وقد أقررتم أنه شيء؟[٧].

فكان جواب الأمام أحمد "إن الله في القرآن لم يسم كلامه شيئًا إنما سمى شيئًا الذي كان بقوله ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٨] ، فالشيء ليس قوله إنما الشيء الذي كان بقوله، وفي آية أخرى: (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)[٩] فالشيء ليس هو أمره، إنما الشيء الذي كان بأمره"[١٠]

---

(١) سورة الحجر الآية:٩١

(٢) سورة الزخرف الآية:١٩

(٣) سورة البقرة الآية:١٩

(٤) سورة الكهف الآية: ٩٦

(٥) الرد على الزنادقة والجهمية، الأمام أحمد بن حنبل، دار القبس، ط١، ص٢١٥-٢١٦.

(٦) أنظر، الرد على الزنادقة والجهمية، الأمام أحمد، ص٢١٥-٢٢٠.

(٧)أنظر، الرد على الزنادقة والجهمية، الأمام أحمد، ص ٢٣٢.

(٨) سورة النحل الآية:٤٠

(٩) سورة يس الآية: ٨٢

(١٠)الرد على الزنادقة والجهمية، الأمام أحمد، ص ٢٣٢-٢٣٣.

وهنا نرى كيف أحتسب الامام أحمد على قول الجهمي وتلبيسه على عامة الناس بأن القرآن شيء وهو يدخل في عموم الآية (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[١] فبين الامام بأن المقصود من ذلك أن الله لا يعني نفسه عزوجل ولا علمه ولا كلامه مع الاشياء المخلوقة وهذا الامر يدل عليه العقل الصحيح والأدلة الشرعية من الكتاب والسنه،[٢] ولكن رغبة الجهمي في تحريف كتاب الله وإضلال الناس عن الحق هو ما يدفعه إلى قول ما يقول.

٢-احتساب العالم عبيد الله بن بطه الحنبلي – رحمه الله – على تحريف القرآن

وقد احتسب ابن بطه على تحريف القرآن من الجهمية وإنكارهم بأن الله يرونه المؤمنين يوم القيامة حيث حرفوا معنى الآية (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾)[٣] بأنها منتظرة ثواب ربها فكان رد ابن بطه " ولكن الجهمي عدو الله إنما ينزع إلى المتشابه ليفتن الجاهل. قالت الجهمية: إنما معنى قوله: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ، إنما أراد بذلك الانتظار، فخالفت في ذلك بهذا التأويل جميع لغات العرب، وما يعرفه الفصحاء من كلامها؛ لأن القرآن إنما نزل بلسان العرب، ... فليس يجوز عند أحد ممن يعرف لغات العرب، وكلامها أن يكون معنى قوله: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) الانتظار، ألا ترى أنه لا يقول أحد: إني أنظر إليك يعني أنتظرك، وإنما يقول: أنتظرك، فإذا دخل في الكلام إلى، فليس يجوز أن يعني به غير النظر، يقول: أنظر إليك، وكذلك قوله: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ، ولو أراد الانتظار لقال: لربها منتظرة، ولربها ناظرة، وذلك كله واضح بين عند أهل العلم، ممن وهب الله له علما في كتابه، وبصرا في دينه، فاعلم أن كل شيء معناه الانتظار فإنه لا يكون بالتخفيف، ولا يكون إلا بالتثقيل"[٤]

ونرى كيف احتسب ابن بطة على الجهمية في تحريفهم لمعاني القرآن حيث يتبعون المتشابه منه ويتركون المحكم؛ بغيه الفتنه وتضليل الناس عن الحق، بل يخالفون كلام رسول الله ﷺ ويخالفون الصحيح

---

(١) سورة الزمر الآية:٦٢.

(٢)أنظر، الرد على الزنادقة والجهمية، الأمام أحمد، ص٢٣٤-٢٣٥

(٣) سورة القيامة الآية:٢٢-٢٣

(٤) الإبانة الكبرى، عبيدالله ابن بطه، دار الراية للنشر والتوزيع، ط٢، ٦٣/٧

من كلام العرب، بل إنهم يخالفون المعقول بكلامهم على كتاب الله وكل ذلك لما تضمره أنفسهم من شر وحقد على الإسلام وأهله.

٣- احتساب شيخ الإسلام ابن تيمية على تحريف القرآن الكريم

احتسب شيخ الإسلام ابن تيمية على بدع الجهمية وتحريفهم وتأويلهم لمعاني القرآن الكريم ليفسروا القرآن على هواهم وبما يتوافق مع حججهم؛ حيث أنكرت الجهمية استواى الله عزوجل على العرش وقالوا بأن الله في كل مكان فقالوا ولا يخلو مكان من دون الله واستدلوا على باطلهم بقوله تعالى (وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ) (١).

فكان رد الامام عليهم" قد عرف المسلمون أماكن كثيرة، وليس فيها من عظمة الله شيء. فقالوا: أي مكان؟ فقلنا: أحشاؤكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة، ليس فيها من عظمة الرب سبحانه شيء، وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال سبحانه (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ) (٢)...ولكن إنما معنى قوله تبارك وتعالى (وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ) قول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط بعلمه ما دون العرش، لا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان"(٣)

وبذلك أحتسب شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم ببيان بطلان كلامهم وأنه باطل ويزم من ذلك أمراً لا يليق به ﷻ كما بين المعنى الصحيح لهذه الآية بما يقطع الحجة عليهم.

---

(١) سورة الانعام الآية: ٣

(٢) سورة الملك الآية: ١٦-١٧

(٣) تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ٣٨-٣٧/١

٤- احتساب ابن القيم على تحريف القرآن

احتسب ابن القيم رحمه الله على تحريف الجهمية لمعاني القرآن وتأويلهم الباطل له بما يتوافق مع ما لديهم من إنكار صفات الله ﷻ فكان بذلك مشابهين لإخوانهم من اليهود في تحريفهم لكلام الله ومن ذلك تحريفهم لقوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)[١] فيقول ابن قيم "فمِن تأويل التحريف والإلحاد تأويل الجهمية قوله تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) أي: جرَّحَ قلبَه بالحِكم والمعارف تجريحًا.

ومن تحريف اللفظ تحريف إعراب قوله: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) من الرفع إلى النصب، وقال :وكلم اللهَ، أي :موسى كلم الله، ولم يكلمه اللهُ. وهذا من جنس تحريف اليهود، بل أقبح منه، واليهود في هذا الموضع أولى بالحق منهم . ولما حرَّفها بعض الجهمية هذا التحريفَ قال له بعض أهل التوحيد :فكيف تصنع بقوله) :وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ)[٢] ؟! فبُهت المحرِّف[3]"

فبين كيف أن حجتهم باطلة من حيث المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، وأن تأويلهم لكلام الله محرف يقصدون به تأسيس مذهبهم الباطل وإضلال الناس.

٥- احتساب الامام الشاطبي على تحريف القرآن

احتسب الامام الشاطبي -رحمه الله- على أهل البدع وبين باطلهم وأنهم من أجهل الناس بعلوم الشريعة ومعاني اللغة العربية، ويسعون إلى تحريف القرآن الكريم بهواهم بدون دليل فيقول " ومنها: تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين مع العرو عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله: فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك:... وفي قوله سبحانه (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ)[٤] ؛ أي: " ألقينا فيها "؛ كأنه عندهم من قول العرب: ذرته الريح، وذلك

---

(١) سورة النساء الآية: ١٦٤

(٢) سورة الاعراف الآية: ١٤٣.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، ١/٥٤.

(٤) سورة الأعراف الآية: ١٧٩

لا يجوز؛ لأن ذرأنا مهموز، وذرته غير مهموز، وكذلك إذا كان من: أذرته الدابة عن ظهرها؛ لعدم الهمزة، ولكنه رباعي، وذرأنا ثلاثي".[1]

فبين رحمه الله كيف أن جهل أهل البدع بعلوم اللغة أوقعهم في هذا الخطأ في التأويل واعتمادهم على فهمهم القاصر دون الرجوع للعلماء الربانيين كان سبباً في انحرافهم عن الطريق الصحيح حيث إن معرفة علوم اللغة العربية من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها كل من يفسر كتاب الله.

٦- احتساب الشيخ المجدد محمد ابن عبدالوهاب على تحريف القرآن

احتسب الشيخ محمد ابن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى - على ادعاءات الرافضة وأقوالهم الباطلة في كتاب الله حيث حرفوا معاني الآيات بما يتوافق مع هواهم ومبدأ إمامة علي ﷺ وتقديمه على سائر الصحابة رضوان الله عليهم، حيث عمدوا إلى وضع الأحاديث المكذوبة ليفسروا بها معاني القرآن بما يوافق هواهم فيقول الشيخ نقلاً عن شيخهم" إن مفيدهم ابن المعلم قال في كتابه روضة الواعظين: "إن الله أنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد توجهه إلى المدينة في الطريق في حجة الوداع فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام، ويقول لك: انصب عليا للإمامة ونبه أمتك على خلافته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أخي جبريل، إن الله بغض أصحابي لعلي، إني أخاف منهم أن يجتمعوا على إضراري، فاستعف لي ربي. فصعد جبريل وعرض جوابه على الله تعالى، فأنزله الله تعالى مرة أخرى، وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلما قال أولا، فاستعفى النبي صلى الله عليه وسلم كما في المرة الأولى. ثم صعد جبريل فكرر جواب النبي صلى الله عليه وسلم فأمره الله بتكرير نزوله معاتبا له مشددا عليه بقوله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [٢]. فجمع أصحابه وقال: يا أيها الناس إن عليا أمير المؤمنين،

(١) الاعتصام، الامام الشاطبي، دار الغد الجديد، ط١، ص ١٧٦.

(٢) سورة المائدة الآية:٦٧.

وخليفة رب العالمين، ليس لأحد أن يكون خليفة بعدي سواه٢، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"[1]

فهنا نرى كيف أن الرافضة قد حرفوا معاني القرآن الكريم وصرفوها عن معناها الصحيح ليتوافق مع معتقدهم الباطل وهو ولاية علي ﷺ وتشكيك في أمانة رسول ﷺ حيث رد عليهم الشيخ بقوله" فانظر يا أيها المؤمن إلى حديث هؤلاء الكذبة، الذي يدل على اختلاقه ركاكة ألفاظه وبطلان أغراضه، ولا يصح منه إلا "من كنت مولاه ") ومن اعتقد منهم صحة هذا فقد هلك؛ إذ فيه اتهام المعصوم قطعا من المخالفة بعدم امتثال أمر ربه ابتداء وهو نقص، ونقص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفر، وأن الله تعالى اختار لصحبته من يبغض أجل أهل بيته، وفي ذلك ازدراء بالنبي ﷺ ... ولو كان نصا لادعاها علي رضي الله عنه لأنه أعلم بالمراد، ودعوى ادعائها باطل ضرورة، ودعوى علمه يكون نصا على خلافته، وترك ادعائها تقيه أبطل من أن يبطل ما أقبح ملة قوم يرمون إمامهم بالجبن والخور والضعف في الدين، مع أنه من أشجع الناس وأقواهم."[٢]

فبين الشيخ – رحمه الله – بطلان دعواهم وأنها من أساسها باطلة لا يقبلها عقل لتناقضها ولا يقبلها دين لعدم صحتها فهم جمعوا بذلك بين الكذب والتناقض وهذا حال الرافضة في كثير من ادعاءاتهم.

٧– احتساب العلماء المعاصرين على تحريف القرآن

احتسب العلماء المعاصرين على تحريف القرآن الكريم من خلال الفتاوى الفردية أو المجمعات الفقهية أو اللجان الدائمة للفتوى، وهنا سنبين بعض النماذج لفتاوى اللجنة :

١– عندما سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء عن حكم صيام ليلة النصف من شعبان والاحاديث الواردة حولها، اجابت اللجنة حول من يغالون في ليلة النصف من شعبان حيث قالت " بل قال بعضهم لفرط تعظيمه لليلة النصف من شعبان: إنها الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن، وأنها يفرق فيها كل أمر حكيم، وجعل ذلك تفسيرا لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ

(١) رسالة في الرد على الرافضة، محمد بن عبدالوهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٥–٦

(٢) رسالة في الرد على الرافضة، محمد بن عبدالوهاب، ص ٦–٧.

أَمْرٍ حَكِيمٍ) [١] وهذا من الخطأ البين، ومن تحريف القرآن عن مواضعه، فإن المراد بالليلة المباركة في الآية ليلة القدر، لقوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ القَدرِ)[٢] وليلة القدر في شهر رمضان للأحاديث الواردة في ذلك؛ لقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰت مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ)[٣] "[٤]

وهنى نرى كيف احتسب اللجنة على تحريف القرآن ممن لديهم غلوا في العبادة من غير تفقه في دين الله.

٢- احتسبت اللجنة على تحريف الدروز لمعاني القرآن الكريم لإثبات مسألة تناسخ الارواح لديهم وانها تنتقل من جسد إلى أخر بدلالة قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ) [٥] فقالت اللجنة" لا شك أن تأويلهم للقيامة بخروج إمامهم تحريف للكلم عن مواضعه وخروج بالقرآن عن معناه في لغة العرب التي بها نزل، ومخالف لصريح آياته، ومعارض لنصوص الأخبار المتواترة الصريحة الدالة على البعث والنشور والحساب والجزاء بجنة أو نار. فتأويلهم ذلك ضلال مبين وكفر صريح، وقولهم بتقمص الأرواح للأبدان على ما سبق بيانه محض خرص وتخمين لا أساس له من الصحة ولا مستند له من عقل ولا نقل، ودعواهم أن القرآن دل على ذلك كذب وافتراء"[٦] وهنا نرى احتساب اللجنة على دعاوى هذه الفرقة الضالة في تأويل كلام الله بما يتوافق مع هواهم ورغباتهم ومعتقداتهم، تاركين المنهج الصحيح سائرين خلف علمائهم من أهل الظلال.

---

(١) سورة الدخان الآية ٣-٤

(٢) سورة القدر الآية:١

(٣) سورة البقرة الآية :١٨٥

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، المجموعة الأولى ،ط ٥، ٣/٦٢-٦٣.

(٥) سورة النساء الآية:٥٦

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة، ٢/٤١٢-٤١٣

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ إمام الدعاة أجمعين، وآله وأصحابه إلى يوم الدين، وبعد:

وفي ختام هذا البحث أشير إلى أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بفضل الله تعالى، وهي على النحو الآتي:

أ- النتائج:

١- تعدد أسباب تحريف القرآن وأن منها ما يكون بسبب دنيوي أو سبب عقدي أو عن جهل ومكابرة.

٢-أن نتائج تحريف القرآن الكريم خطيرة على عقيدة المسلم ودينه، كما أنها تضر بالدعوة إلى الإسلام وصورته لدى غير المسلمين.

٣- وجدت هذه الدراسة أن منهج العلماء في الاحتساب يقوم على معرفتهم بأصول التفسير المستمدة من الكتاب والسنة.

٤- كما توصلت هذه الدراسة إلى أن منهج العلماء في الاحتساب قائم على مبادى شرعية مستمدة من الكتاب والسنة.

٥- استعرضت الدراسة صور من احتساب العلماء على تحريف القرآن الكريم وبينت، كيف كشف العلماء ضلال أصحاب التأويل الباطلة.

ب- التوصيات:

١- يوصي الباحث بأهمية العناية ببيان منهج العلماء في الاحتساب على تحريف القرآن.

٢- يوصي الباحث بأهمية مراجعة التفاسير الحديثة والتي قد يطرى عليها بعض الافكار الدخيلة و المنحرفة من أهل الظلال والجهل.

٣- يوصي الباحث بأهمية نشر معاني القرآن الكريم بين الناس، لقطع الطريق على أهل الأهواء في إظلال الناس عن الحق.

فهرس المصادر والمراجع

١- سنن النسائي، النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢

٢- كتابة البحث العلمي، عبد الوهاب أبو سليمان، مكتبة الرشد، ط١٤٢٦هـ.

٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، ط١٣٩٩.

٤- الأحكام السلطانية، الإمام الماوردي، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٣٢هـ.

٥-الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٤.

٦- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال

٧- تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، ط١

٨- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣

٩- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

١٠- كتاب التعريفات، على الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط١

١١- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، دار العاصمة، ط١،

١٢- شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط٦

١٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار النهضة العربية، ط٥

١٤- قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط١

١٥- الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣

١٦- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، ابن تيمية، مؤسسة علوم القرآن، ط٢.

١٧- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢،

١٨- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين أبي العز، وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، ط١

١٩- تحريف معاني الألفاظ القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة-، عميرة بنت حمد الرشيدي، رسالة ماجستير في قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ،

٢٠- جامع البيان في تأويل للقرآن، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١،

٢١- الشريعة، أبي بكر محمد الآجري، دار الوطن، ط٢

٢٢- أنظر، تحريف معاني الألفاظ القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة-، عميرة بنت حمد الرشيدي،

٢٣- لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢،

٢٤- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، ط٧.

٢٥- صحيح البخاري، الامام البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع.

٢٦- الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل، دار القبس للنشر والتوزيع، ط١

٢٧- تحريف المصطلحات القرآنية وأثرة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ١٤٢٤هـ،

٢٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى السبتي، دار الفيحاء، ط٢،

٢٩- سنن أبي داوود، ابي داوود السجستاني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٣٠- الروح، ابن القيم الجوزية، دار الحديث، ط١٤٢٤

٣١- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط ١٣٩٤

٣٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، دار عطاءات العلم، ط٥

٣٣- العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، دار ابن الجوزي

٣٤- القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير، جمال محمد هاجر، دار التفسير، ط١.

٣٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، دار ابن الجوزي، ط١

٣٦- الرسالة، الامام الشافعي، مكتبة الحلبي، ط١

٣٧- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط١

٣٨- مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، دار الفكر، ط١.

٣٩- صحيح مسلم، الامام مسلم، دار المغني.

٤٠- المنهاج شرح صحيح مسلم الحجاج، الامام النووي، دار إحياء التراث العربي، ط٢

٤١- الإبانة الكبرى، عبيد الله ابن بطه، دار الراية للنشر والتوزيع، ط٢،

٤٢- تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١

٤٣- الاعتصام، الامام الشاطبي، دار الغد الجديد، ط١

٤٤- رسالة في الرد على الرافضة، محمد بن عبد الوهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية

٤٥- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، المجموعة الأولى، ط٥.

البحث رقم (٦)

دور الدعاة إلى الله في تحقيق حقوق ولاة الأمر
الحسن البصري أنموذجاً
دراسة استقرائية تحليلية دعوية

إعداد

د. عبدالرحمن بن سيف الحارثي

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الشريعة و أصول الدين

جامعة نجران

الملخص

ضمنت الشريعة المطهرة لولاة الأمر حقوقاً يجب على الرعية القيام بها والدعاة إلى الله من أولى الناس بتحقيق هذه الحقوق وقد قام الحسن البصري –رحمه الله– بتحقيق هذه الحقوق وكان مثالاً لمن يبتغي الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة وقد اتخذ الحسن البصري –رحمه الله – منهجاً واضحاً قائماً على الكتاب والسنة بفهم الصحابة –رضوان الله – وقد جاء هذا البحث مبنياً هذا المنهج من التحذير من الفتن وتوجيه الناس بالتمسك بعدم الخروج على ولاة الأمر و إقامة الشرائع الدينية مع الولاة و العمل على إصلاح المجتمع و المساعدة والمشاركة من خلال تولي المناصب الدينية وقد استخدم الإمام الحسن البصري وسائل وأساليب في تحقيق هذه الحقوق من الخطبة والإفتاء والتدريس والرسائل ومن الأساليب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وقد خرج الباحث بعدة نتائج من أهمها أن منهج السلف منهج معصوم واضح جلي وكذلك أن معالجة الفتن تحتاج إلى قوة علمية وعملية وحكمة .

ومن أبرز نقاط أهمية البحث هو الرجوع إلى منهج السلف عند وقوع الفتن ومن أهم أهداف البحث نشر الوعي وكشف زيف الشبهات والأقاويل الباطلة التي يروج لها دعاة الفتن الداعين إلى الخروج على ولاة الأمر.

الكلمات المفتاحية : الدعاة – ولاة الأمر – حقوق – الحسن البصري .

Summary

The pure Sharia guaranteed to the rulers rights that the subjects must fulfill, and the callers to God are among the first people to fulfill these rights. Al-Hasan Al-Basri - may God have mercy on him - achieved these rights and was an example for those who seek success and salvation in this world and the hereafter. Al-Hasan Al-Basri - may God have mercy on him - took a clear approach. Based on the Qur'an and Sunnah with the understanding of the Companions - may God be pleased with them - these papers came based on this approach of warning against temptations and directing people to adhere to not rebelling against the rulers, establishing religious laws with the rulers, and working to reform society and help Participation by assuming religious positions. Imam Hasan al-Basri used means and methods to achieve these rights, including sermon, fatwa, teaching, and messages. Among the methods are wisdom, good preaching, and argumentation in the best way. The researcher came up with several results, the most important of which is that the approach of the Salaf is an infallible and clear approach, and also that dealing with temptations requires to scientific, practical power and wisdom.

Opening words – Preachers- Rulers – rights - Hassan Al-Basri

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال تعالى :[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] {آل عمران:١٠٢} ، وقال تعالى :[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] {النساء:١} ، وقال تعالى :[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] {الأحزاب:٧٠} أما بعد :

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة –من وجهة نظر الباحث– في أن المتابع والناظر في أوضاع الأمة الإسلامية اليوم يجد أفكار المنهج الخارجي واضحة وجلية وكذلك الفكر المعتزلي القائم والداعي إلى التمرد والعصيان والخروج على الحاكم المسلم أو التهيئة لذلك وبذل الأسباب والذرائع المؤدية إلى ذلك فلزم على الدعاة إلى الله ﷻ المساهمة الجادة الفعالة في الحد من هذا الخطر العظيم وكبح جماح هذه الفتن العظيمة التي تظهر في كل حين وذلك بتأصيل المسائل العلمية على منهج السلف الصالح.

وتتضح أهمية البحث من خلال هذه النقاط التالية:

١- الوقوف على منهج السلف الصالح في التعامل مع الفتن التي ظهرت في عصرهم واستخراج التأصيل العلمي للحذر من الوقوع في مثل هذه الفتن

٢- التحذير من مناهج الفرق الضالة والجماعات المبتدعة التي تقوم على عصيان ولاة الأمر وطلب الخروج عليهم بوسائل متعددة وأساليب ماكرة.

٣- إبراز حقوق ولاة الأمر وإشهارها في زمن الفتن التي علت فيه الأصوات المنادية بالعصيان والتمرد والخروج على ولاة الأمور.

مشكلة البحث:

تتبين ملامح البحث في التساؤلات العلمية التي توجه إليها فكر الباحث ونظره متأملاً فيها للوصول إلى إجابات علمية لها وهذه التساؤلات هي:

١- ما هو منهج السلف الصالح في التعامل مع الفتن العظيمة مثل الخروج على ولاة الأمر وكيف تعاملوا معها.

٢- من هو الحسن البصري –رحمه الله– وما هي أبزر صفاته الخلقية والخلقية التي أثرت في شخيصته؟

٣- كيف تعامل الحسن البصري–رحمه الله – مع الفتن التي ظهرت في عهده ولم ينزلق في إراقة الدماء أو نشر الفساد بسبب الخروج على ولاة الأمر؟

أسباب اختيار الموضوع:

من أبرز الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع مع أهميته التي ذكرت التالي:

١- الإسهام في تقديم دراسة دعوية تبين كيف حافظ علماء السلف الصالح على تحقيق حقوق ولاة الأمر وأثره على حياتهم وحياة الآخرين.

٢- الحرص على إبراز حقوق ولاة الأمر حرصاً على الحفاظ على الاعتصام والوحدة الإسلامية وعدم الانجراف وراء الشبهات المضللة.

٣- الرغبة في إبراز منهج الإمام الحسن البصري –رحمه الله– في تصديه للفتن وكيف تعامل معها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التالي:

١- بيان المنهج الشرعي في التعامل مع ولاة الأمر وعدم عصيانهم أو الخروج عليهم.

٢- الوقوف على مقاصد الشرع العظمى في التحذير من الخروج على ولاة الأمر وخطورة ذلك على مصالح الناس الدينية والدنيوية.

٣- الحث على لزوم منهج السلف الصالح ولزوم الإمام والجماعة وجادة السنة والنفور من مناهج أهل البدع والضلال.

٤- نشر الوعي وكشف زيف الشبهات والأقاويل الباطلة التي يروج لها دعاة الفتن الداعين إلى الخروج على ولاة الأمر.

الدراسات السابقة:

الإمام الحسن البصري شخصية عظيمة من أبرز علماء المسلمين وقد لاقت هذه الشخصية دراسات كثيرة فقد اهتم الباحثون بدراسته من خلال الحديث النبوي إذ أنه يعتبر من أبرز الرواة للحديث النبوي وكانت الدراسات تعتني بمروياته في الكتب وكذلك مدى سماعه من الصحابة وفقه للحديث وكذلك دراسته من خلال التفسير فكتب التفسير مليئة باختياراته وكذلك في القراءات فهو يعتبر من قراء البصرة وكذلك دراسته من خلال الفقه فهو فقيه مجتهد وكل هذه الدراسات بعيدة عن دراستي، ولكن أقرب الدراسات إلى موضوع بحثي هي التالية:

١- الإمام الحسن البصري حياته، مؤلفاته، مواقفه السياسية، آراؤه الفكرية رسالة ماجستير مقدمة من الباحث: مجد خالد شهاب، جامعة أهل البيت الأردن ورسالته تتحدث عن مواقف سياسية للحسن البصري فقد نظر إليها الباحث نظر سياسياً وبحثي نظرته دعوية مبينة موقف أهل السنة والجماعة من ولاة الأمر وما لهم من حقوق على الأمة.

٢- الحسن البصري واعظاً للباحث جبار عباس نعمه بحث مقدم للجامعة المستنصرية بغداد العراق وقد تحدث الباحث عن مواعظ مختارة للحسن البصري –رحمه الله – والفرق أن هذه الدراسة عامة في وعظ الحسن البصري بينما دراستي عن المنهج في وقت الفتن.

٣- الحسن البصري إماماً وفقهياً ومتصوفاً للباحث محمد حمود من المغرب وقد تكلم الباحث عن سيرة الحسن البصري –رحمه الله – وكذلك أبرز فقه الإمام الحسن البصري وكذلك زهده وورعه. ولم يتعرض لدعوة الحسن البصري أو كيفية مواجهته للفتن وكذلك تحقيقه لحقوق ولاة الأمر التي هي صلب دراستي في هذا البحث.

منهج البحث:

هذه الدراسة سيكون منهج الباحث فيها قائماً على الوصف الاستقرائي التحليلي للوصول إلى تحقيق الفائدة العلمية في الجمع والمقارنة والترجيح.

خطة البحث:

المقدمة وتشتمل على أبرز عناصره البحثية من موضوع البحث وأهميته ومشكلة البحث وأسباب الاختيار والدراسات السابقة والمنهج الذي يلتزم به الباحث وخطة البحث في لمحة ترسم ملامحه الأساسية دون تفاصيله العلمية.

التمهيد وتضمن الآتي:

المطلب الأول: ترجمة للإمام الحسن البصري –رحمه الله–.

المطلب الثاني: أهمية الدعاة ومكانتهم في الإسلام.

المطلب الثاني: تعريف ولاة الأمر وبيان مكانتهم.

المبحث الأول: المنهج الدعوي للحسن البصري في تحقيق حقوق ولاة الأمر وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من الفتن وتوجيه الناس بالتمسك بعدم الخروج على ولاة الأمور

المطلب الثاني: إقامة الشرائع الدينية مع الولاة

المطلب الثالث: العمل على إصلاح المجتمع

المطلب الرابع: المساعدة والمشاركة من خلال تولي المناصب الدينية

المبحث الثاني: الوسائل والأساليب التي استخدمها الحسن البصري في تحقيق حقوق ولاة الأمر، وفيه مطلبان

المطلب الأول: الوسائل التي استخدمها الحسن البصري في تحقيق حقوق ولاة الأمر وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: مراسلة الولاة

المسألة الثانية: الخطابة والإمامة وحلقات التعليم

المسألة الثالثة: الإفتاء

المسألة الرابعة: تولية المناصب بطلب من ولاة الأمر

المبحث الثاني: الأساليب التي استخدمها الحسن البصري في تحقيق حقوق ولاة الأمر وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: الحكمة في تحقيق حقوق ولاة الأمر

المسألة الثانية: الموعظة الحسنة في تحقيق حقوق ولاة الأمر

المسألة الثالثة: المجادلة في تحقيق حقوق ولاة الأمر.

التمهيد:

المطلب الأول: التعريف بشخصية الإمام الحسن البصري

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري: واسم أبي الحسن يسار، مولى الأنصار. وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين سنة. وروي أن أمه كانت خادمة لأم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما بعثتها في حاجة فيبكي الحسن فتناوله ثديها، فرأوا أن تلك الحكم التي رزقها الحسن من بركات ذلك. وروي أن أم سلمة أخرجته إلى عمر ﷺ فدعا له فقال: "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس"(١)، وقد استفاد من الصحابة رضوان الله عيهم الذين أدركهم وأخذ حظاً كبيراً من العلم والعمل حتى فاق الأقران وتصدر للتدريس والخطابة والوعظ والإرشاد وكان أساتذته يجلونه ويعرفون مكانته فقد سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن مسألة فقال:" سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا". (٢)وقال أبو قتادة العدوي:" الزموا هذا الشيخ – يعني الحسن – فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه"(٣). وروى بلال بن أبي بردة قال: سمعت أبي يقول:" والله لقد أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الشيخ – يعني الحسن –"، وقال علي بن زيد:" أدركت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ويحي بن جعدة والقاسم بن محمد وسالماً في آخرين فلم أر مثل الحسن، ولو أن الحسن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه"(٤).

---

(١) أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف (٥/٢) تحقيق، عبد العزيز مصطفى المراغي الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، ط الأولى ١٣٦٦هـ.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص:٨٧) تحقيق إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط الأولى ١٩٧٠م.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٢٥/٣) تحقيق بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ط الأولى ١٤٢٧هـ.

(٤) المعرفة والتاريخ للفسوي (٣٣/٢) تحقيق أكرم ضياء العمري، الناشر: مطبعة الإرشاد – بغداد ط الأولى ١٣٩٣هـ.

الصفات القيادية عند الحسن البصري –رحمه الله –

لقد تميز الحسن البصري بصفات قيادية استثنائية جعلته محبوبًا ومؤثرًا في الناس. من بين هذه الصفات نجد العلم، والزهد، والشجاعة، والفصاحة. وإليك أبرز هذه الصفات:

١– علمه الواسع وفقه الكبير

العلم كان ركيزة أساسية في شخصية الحسن البصري، حيث كان يسعى دائمًا لاكتساب المعارف ونشرها بين الناس. كان علمه واسعًا وعميقًا، مما جعله مرجعًا للكثيرين في أمور الدين والدنيا. فقد اشتغل الحسن البصري–رحمه الله– بطلب العلم على أيدي ثلة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه فقد لازمه في البصرة وأخذ منه علماً كبيراً حتى أن أنس لما كبر وسئل يقول:" اسألوا الحسن". (١)

وقد ظهر نجم الحسن في علوم شتى من العلوم الشرعية والعربية وكان علم الحديث من أبرز هذه العلوم ولهذا العلم طلاب كثير من شتى بلدان المسلمين يأتون لطلب الحديث وكان جلهم يقصد البصرة للقاء الحسن وسماع الحديث منه وقد جاءت مروياته في كتب الحديث المسندة كثيرة. (٢)

ومن العلوم التي بزر فيها الحسن البصري–رحمه الله– علم التفسير فقد آتاه الله فهماً في كتاب الله وكان يعرف التفسير وعلومه من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد وعنده خلفية كبيرة بأقوال الصحابة في التفسير (٣).

---

(١)طبقات الفقهاء للشيرازي (ص:٨٧).

(٢) انظر: تهذيب الكمال للمزرى (٩٥/٦) تحقيق بشار عواد، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ. وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٢٦٣/٢) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ط الأولى ١٣٢٦هـ.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١٥٠/١) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت بدون ذكر الطبعة ولا التاريخ

٢- فصاحته وبيانه

الفصاحة كانت سلاحًا قوياً بيد الحسن البصري، فقد كان بليغًا في كلامه، قادرًا على التأثير في نفوس مستمعيه بكلماته الرنانة ومواعظه البليغة. فصاحته جعلته خطيبًا مفوهًا ومحاضرًا متميزًا، يستمع إليه الناس بشغف ويستفيدون من حكمته. لقد أوتي الحسن لساناً ناطقاً فصحياً يجذب إليه المستمعين ويسحرهم ببيانه وفصاحته كما قال النبي ﷺ ("إن من البيان لسحراً ")(١) وقد سخر الحسن البصري –رحمه الله- هذا البيان في وعظه وإرشاده لذا كان كلامه له وقع في النفوس وكم تأثر به من أناس وتاب في مجلسه أمم ممن أدمن على المعاصي فصاروا عباداً و زهاداً وقد قال بعض العلماء "كلام الحسن يشبه كلام الأنبياء"(٢) ويشهد له الجاحظ بذلك فيقول:" فأما الخطب فأنا لا أعلم أحداً يتقدم الحسن البصري فيها "(٣) وكان الحس لغوياً متقناً ينفر من اللحن، فكان إذا حدث ولحن في خطبه أو في كلامه استغفر الله فعد هذا اللحن خطيئة تحتاج إلى توبة واستغفار. . (٤) وطرق على الحسن البصري –رحمه الله- رجلُ فقال: يا أبو سعيد، فلم يجبه فقال: أبي سعيد فقال الحسن: قل الثالثة وادخل. (٥)

٣- شجاعته في الحق. الشجاعة كانت صفة أخرى تميز بها الحسن البصري، فقد كان جريئًا في قول الحق والدفاع عنه. وكذلك في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله وقد شارك في غزوات كثيرة مع الربيع بن زياد والي خرسان سنة ٥١ للهجرة. (٦)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب إن من البيان لسحرا رقم الحديث (٥٧٦٧).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٧٦/٩) تحقيق علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر ط الأولى ١٤٢١هـ.

(٣) البيان والتبيان للجاحظ (٢٨٥/١) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ط الأولى ،١٤٢٣هـ

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٧/١) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ط الأولى ١٤١٤هـ.

(٥) نفس المصدر السابق (٢٣/١).

(٦) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٢٥٥/٢) تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٥هـ

الشجاعة كانت صفة أخرى تميز بها الحسن البصري، فقد كان جريئًا في قول الحق والدفاع عنه. وكذلك في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله وقد شارك في غزوات كثيرة مع الربيع بن زياد والي خرسان سنة ٥١ للهجرة.

شجاعته في مواجهة الظلم والفساد أكسبته مكانة خاصة في قلوب الناس، الذين رأوا فيه قائدًا لا يخشى في الله لومة لائم. فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في الله حق جهادة وكان يقدم في الجيوش في الجهاد في سبيل الله.

٤- زهده وورعه.

أما الزهد، فقد كان الحسن البصري-رحمه الله- يجسده في حياته اليومية، مبتعدًا عن ملذات الدنيا ومغرياتها، مكتفيًا بالقليل ومكرسًا وقته لعبادة الله والتفكر في خلقه. هذا الزهد الإيجابي -البعيد عن الخرافات والبدع والألفاظ غير المفهومة أو الزهد الذي يراد منه حطام الدنيا - أكسبه احترام الناس وثقتهم، حيث رأوا فيه نموذجًا للعالم السلفي الورع التقي الخفي النقي. لقد كان الحسن البصري —رحمه الله — يُضرب به المثل في الزهد والورع و لم تكن الدنيا تساوي عنده شيئاً فقد انصرف عن المناصب التي تدر على أصحابها وجاهة في المجتمع ومالاً وفيراً فقد رغب عن القضاء وعن مناصب حكومية عرضت عليه من قبل الحكام و سخر جهده في العلم والعبادة. وفيه يقول صاحب الحلية:" ومنهم — أعني من الصوفية- حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن عديم العزم والوشي أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، الفقيه الزاهد المتسمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً ولشهوة النفس وتحدثها واقذاً " (١).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (١٣١/٢) الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط الأولى ١٣٩٤هـ

٥ – جماله الخَلقي والخُلقي.

لقد وصف الناس الحسن البصري –رحمه الله– بأنه كان من أجمل الناس وجهاً وجسماً وكان يلبس أفضل ما عنده ويأكل أفضل ما عنده وهذا لا ينافي الزهد فقد كان النبي ﷺ أزهد الناس ومع ذلك يأكل اللحم ويتزوج النساء ويلبس الثياب الجميلة.

قال موسى بن إسماعيل الرفاش: أخبرتني أمة الحكم قالت:"كان الحسن البصري يجيء إلى حطان بن عبد الله الرقاشي، فما رأيت شاباً قط كان أحسن وجهاً منه "(١). وعن عاصم الأحول قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم إذا أتيت البصرة فاقرىء الحسن مني السلام. قلت: ما أعرفه. قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه في عينيك واهيبه في صدرك فاقرئه مني السلام، قال: فما عدا أن دخلت المسجد فرأيت الحسن والناس حوله جلوس فأتيته فسلمت عليه. (٢)

وأما خُلق الحسن البصري –رحمه الله – فقد كان مثالاً للكرم والشجاعة والصبر والحياء والصدق في القول والمعاملة الحسنة مع الناس والتواضع التام والرحمة للمسلمين.

و كان الحسن البصري –رحمه الله– رجلاً يغلب عليه الحزن والأسى أكثر مما يستسلم للفرح والضحك، وكان صاحب هيبة ووقار ومرؤة وكرم وسخاء ورحمة بالفقراء والمساكين ويحكى عنه أنه كان يبكي ويقول " ولقد رأيت أقواماً يمسى أحدهم و لا يحد عنده إلا قوتاً فيقول: لا أجعل هذا في بطني لأجعل بعضه لله ﷻ "(٣). وقد جعل الحسن البصري–رحمه الله– المال وسيلة لا غاية ويقول " والله ما أعز أحدُ الدرهم إلا ذل "(٤).

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٠٦/٦).

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٢٦٣/٢).

(٣)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (١٣٤/٢).

(٤) نفس المصدر السابق (١٥٢/١).

٦- كثرة الفتن التي حدثت في عهد الحسن البصري.

الابتلاء سنة الله في عباده وما أحد يصل إلى ما وصل إليه العظماء إلا بالصبر على الابتلاء وحسن التعامل معها على منهجية مستخرجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد حدثت فتن عظيمة في عهد الحسن البصري –رحمه الله– منها:

أ- مقتل عثمان بن عفان –رضي الله عنها– لما ثار عليه الخوارج فقتلوا الخليفة الراشد وإمام المسلمين وقد فتحوا على المسلمين باباً عظيماً من البلاء. (١)

ب- معركة الجمل بين الصحابة –رضوان الله عيهم – وكانت فتنة عظيمة وقع فيها كثير من الناس وكلهم مجتهد فيها له مقصد من الشريعة مبرر والله العاصم وقد أدرك الحسن البصري –رحمه الله– هذه الفتنة ولم يشارك فيها، ولكنها جعلت له فقهاً كبيراً في كيفية التعامل مع الفتن. (٢)

ت- مقتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– على يد الخوارج (٣)وما كان بعد ذلك من فتن عظيمة كخروج الخوارج وكذلك نشأة الشيعة وما صار بعد ذلك من صراعات كثيرة.

ث- الصراعات على الحكم بين الأمويين والزبيريين وكان معظمها خلافات سياسية للوصول إلى الحكم (٤).

ج- بعد استقرار الحكم للأمويين وتوليتهم الخلافة حدثت فتن عظيمة في العراق كان من أعظمها فتنة ابن الأشعث عندما على خرج على الحجاج بن يوسف والي العراق من قبل عبدالملك بن مروان، وقد أثر ابن الأشعث على كثير من الفقهاء والعلماء والزهاد في الخروج ولكنه لم يستطع على الحسن

---

(١) للاطلاع على قصة مقتل عثمان ﷺ راجع كتاب الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الأسدي تحقيق أحمد راتب عرموش، الناشر: دار النفائس ط السابعة ١٤١٧هـ وكذلك تاريخ ابن جرير الطبري (٣/٣٤٣).

(٢) انظر: الفتنة وموقعة الجمل لسيف بن عمر الأسدي، تحقيق أحمد راتب عرموش، الناشر: دار النفائس ط السابعة ١٤١٣هـ

(٣) انظر: المعرفة والتاريخ للفسوي تحقيق أكرم ضياء العمري (١/٥٢٢)، الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف، بالجمهورية العراقية ط الأولى ١٣٩٧هـ.

(٤) انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٥/٥٤٠).

البصري –رحمه الله– (١) وكذلك فتنة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وخروجه على الأمويين، فلم يؤيد الحسن البصري يزيد بن المهلب على هذه الحرب ونصحه بأن يعود عن فعلته ويرجع عن خروجه. (٢)

هذه الصفات القيادية للحسن البصري، من علم وزهد وشجاعة وفصاحة، جعلته محبوبًا بين الناس ومؤثرًا فيهم. فقد اجتمع فيه العلم والعمل، القول والفعل، مما جعله مثالاً يُحتذى به وقائدًا روحيًا واجتماعيًا بارزًا.

توفي هذا الإمام سنة ١١٠هـ وقد ناهز من العمر ثمان وثمانين عاماً قضاها في العلم والتعليم والزهد والعبادة والجهاد والتوجيه، والدعوة، والوعظ، والإرشاد. (٣)

المطلب الثاني: أهمية الدعاة ومكانتهم:

للدعاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهم ورثة الأنبياء، وحملة لواء العلم والمعرفة. لقد حثنا ديننا الحنيف على الدعوة وتبليغ الإسلام، وتقدير الدعاة إلى الله، والعمل بما جاءوا به من حقائق وأدلة. وقد وردت آيات من القرآن تبين فضل الدعاة إلى الله قال تعالى ومن [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المسْلِمِينَ] {فصّلت:٣٣} . قال الحسن البصري –رحمه الله–: "هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله. أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين؛ فهذا خليفة الله"(٤).

وقال تعالى: [لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا] {النساء:١١٤}

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق بشار عواد (٩٠٦/٢) الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ.

(٢)انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٥٧٨/٦).

(٣) انظر ترجمته: طبقات ابن سعد (٧ / ١٥٦)، طبقات خليفة (ت: ١٧٢٦)، الزهد لأحمد بن أحمد (ص: ٢٥٨)، دار ابن رجب. ط الأولى بدون ذكر سنة الطبع، تاريخ البخاري (٢٨٩/٢)، التاريخ الكبير. (د. ط). حيدر آباد- الدكن: دائرة المعارف العثمانية.، الحلية لأبي نعيم (١٣١/٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٢٨/١).

وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد فضل الدعاة إلى الله قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ :("والله لأن يهدي بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم)"[(١)]، وقال ﷺ :("من دعا إلى هدى كان من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)"[(٢)]

وقد اتفق جميع المسلمين على مكانة الدعاة إلى الله، وأهميتهم للمجتمع.

وتبرز أهمية الدعاة في النقاط التالية:

١- **نشر تعاليم الإسلام**: فلهم دور كبير في نشر تعاليم الإسلام فهم يشرحون تعاليم الدين، ويفسّرون آيات القرآن الكريم، ويشرحون الأحكام الشرعية، مما يساهم في نشر الوعي الديني بين الناس، وتوجيههم إلى الطريق الصحيح.

٢- **حفظ الدين من الضلال**: يقف الدعاة سداً منيعاً أمام البدع والخرافات، ويحافظون على الدين من التحريف والتأويل الخاطئ قال الإمام أحمد –رحمه الله–" الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين؛ وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة؛ فهم مختلفون في الكتاب؛ مخالفون للكتاب؛ متفقون على مخالفة الكتاب؛ يقولون على الله؛ وفي الله؛

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم الحديث (٣٠٠٩)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ رقم الحديث (٢٤٠٦).

(٢)أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة؛ ومن دعا إلى هدى أو ضلالة رقم الحديث (٢٦٧٤).

وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين"[١].

٣- **تقدم المجتمعات:** يساهم الدعاة في تقدم المجتمعات في شتى المجالات، فالعلم نور يضيء الدروب، ويفتح آفاقاً جديدة، ويساعد على حل المشكلات التي تواجه البشرية وخصوصاً الفكرية التي تنطلق من الإلحاد والكفر والبدع والضلال مثل الاشتراكية والعلمانية واللبرالية والنسوية وغيرها مما كان ويكون له أثر سيء على الأمة الإسلامية.

٤- **قدوة حسنة:** يعتبر الدعاة إلى الله قدوة حسنة للمجتمع، فهم يقتدون بهم في الأخلاق والعمل الصالح، ويستمعون إلى نصائحهم وتوجيهاتهم.

ختاماً: الدعاة إلى الله هم عماد الأمة، وركيزة المجتمع، وهم الذين يحملون الأمانة في نشر العلم والمعرفة، وحفظ الدين، وتوجيه الناس إلى الطريق الصحيح.

قال علي بن أبي طالَب -رضي الله عنه- في حديث كُمَيْل بن زياد: "لن تَخلُوَ الأرضُ مِن قائمٍ لله بحجةٍ، لئلاّ تَبْطُلَ حُجَجُ الله وبيِّناتُه، أولئك الأقلون عددًا والأعظمون عند الله قدرًا"[٢]

المطلب الثالث: – التعريف بولاة الأمر وبيان مكانتهم:

الفرع الأول: تعريف ولي الأمر لغة واصطلاحاً:

أ- ولي الأمر لغة: – مركب إضافي من كلمتين: ولي، وأمر

الولي من ولي الشيء وولي عليه، والولاية: بالكسر معنى الخطة والإمارة والسلطان.

وبالفتح الولاية بمعنى: النصرة والنسب، وأوليته الأمر: ولّيته إياه.

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل (ص٥٥) تحقيق صبري بن سلامة شاهين، الناشر : دار الثبات للنشر والتوزيع ط الأولى .

(٢)أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٧٩ – ٨٠) والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/ ٤٩ – ٥٠) ضمن حديث طويل. قال الخطيب: هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظًا. وشرحه ابن القيم شرحًا وافيًا في كتابه "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٢٣ – ١٥٣).

والولي: ولي اليتم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته' ويقال فلان أولى بهذا الأمر من فلان أي أحق منه[١].

والأمر: ضد النهي كالإمار والإيمار بكسرهما، وهو مصدر أمر علينا مثلثة: إذا ولي، والاسم الإمر بالكسر، ويأمره أمراً وإماراً فأتمر: أي قبل أمره، يقال: أمر فلان مستقيم، وأموره مستقيمة. [٢]

ب- **تعريف ولي الأمر في الاصطلاح الشرعي:**

أولياء الأمر هم: "أصحاب التصرف في شأن الأمة الذي يملكون زمام الأمر وبيدهم قيادتها "[٣] فهم الأمراء والحكام ومن ولوهم من القضاة والمسؤولين.

الفرع الثاني: – مكانة ولاة الأمر في الإسلام

لأولياء الأمر مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة ، وهبها الله إياهم ،وأمر بطاعتهم بعد طاعته فقال [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] {النساء:٥٩} وهذه المكانة المستمدة من وحي النصوص الشرعية تبين المنزلة الدينية العظيمة لولاة الامر وأن الله تعالى هو الذي جعل لهم هذا المقام وأولاهم هذه المنزلة وما ذاك إلا لعظم ما أنيط بهم من تكاليف شرعية عظيمة ووجبات دينية جسيمة والساعي لإسقاط هيبتهم من نفوس الناس بالتهوين من شأنهم والتقليل من مكانتهم يقع في أعظم البدع وأكبرها ، لمعارضته النصوص الشرعية الكثيرة التي وردت في بيان مكانة ولاة الأمر.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، (٣٢٣/١٥) مادة ولي ، ولسان العرب لابن منظور (٤٠٧/١٥) مادة ولي والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص:١٣٤٤) مادة الولي .

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي (ص:٢١) ولسان العرب (٢٦/٤) مادة أمر والقاموس المحيط لفيروز آبادي (٨/٢) مادة الأمر.

(٣) الإشاعة وخطرها على ولاة الأمر، للدكتورة عفاف بنت حسن مختار، مجلة البحوث الإسلامية العدد (٩٦) ربيع الأول إلى جمادى الثانية ١٤٣٣هـ

واختلف في المراد ب" أولي الأمر " هنا فقيل : إنهم الأمراء وقيل: أنهم العلماء والفقهاء[١] والظاهر أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء [٢] فأمر الناس الديني منوط بالعلماء وأمورهم الدنيوية منوطة بالأمراء ، ومن جمع بين العلم الشرعي والسلطة النافذة فقد جمع بين الوصفين، إذا كان حال الخلفاء الراشدين على ذلك إمامة دينية ودنيوية ولكن تعاقبت العصور وأنفك هذا الوصف عن المتأخرين ولا يمنع ذلك من مزاولة السلطة مادام الحاكم يستشير أهل العلم ويدنيهم منه . يقول ابن القيم –رحمه الله– :"والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية ، والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً، فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله فإن العلماء ولاته حفظاً وبياناً وذب عنه ورداً على من ألحد فيه وزاغ عنه .

والأمراء ولاته قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به وأخذهم على يد من خرج عنه وهذا الصنفان هما الناس وسائر النوع الإنساني تبع لهم ورعية."[٣]

وفي الآية السابقة دلالة واضحة على مكانة ولاة الأمر وأنه لابد من وجود ولاة أمر للمسلمين يحكمونهم لأن الله تعالى أوجب طاعتهم والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولاة الأمر للمسلمين تتوجب علينا طاعتهم لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة لا وجود لها، قال الماوردي:" وعقدها–أي الإمامة – لمن يقوم بها وجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم ". [٤] وقد نقل الإجماع عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم غير واحد من أهل العلم. [٥]

وروي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: "إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة ". [٦]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٠٢/٨)، الرسالة للشافعي (ص:٧٩)

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٤٥/٢).

(٣) الرسالة التبوكية لابن القيم الجوزية (ص:٤١).

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي (ص:١٥).

(٥) كالنووي في شرحه على مسلم (٢٠٥/١٢) وابن خلدون في مقدمته (ص:٩١).

(٦) أخرجه الدارمي في سننه رقم (٢٥٧) وإسناده ضعيف

وتظافرت نصوص التشريع في دلالتها على أهمية ومكانة ولاة الأمر إذ إن جميع الأحكام من حدود وقصاص وتعزيزات وحماية الثغور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجباية الزكاة ونشر العدل وغيرها يتوقف امتثالها وتنفيذها على وجود ولاة أمر المسلمين وقيامهم بوظائفهم ومسؤوليتهم ولزوم انتظام الناس تحت ولايتهم لتستقر الحياة ولا تفسد البلاد وتذهب مصالح العباد.

يقول ابن حزم-رحمه الله- :" وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أَن قيام النَّاس بِمَا أوجبه الله تَعَالَى من الْأَحْكَام عَلَيْهِم فِي الْأَمْوَال والجنايات والدماء وَالنِّكَاح وَالطَّلَاق وَسَائِر الْأَحْكَام كلهَا وَمنع الظَّالِم وإنصاف الْمَظْلُوم وَأَخذ الْقصاص على تبَاعد أقطارهم وشواغلهم وَاخْتِلَاف آرائهم وَامْتِنَاع من تحرى فِي كل ذَلِك مُمْتَنع غير مُمكن" إلى أن قال :" وَهَذَا الَّذِي لَا بُد مِنْهُ ضَرُورَة وَهَذَا مشَاهد فِي الْبِلَاد الَّتِي لَا رَئِيس لَهَا فَإِنَّهُ لَا يُقَام هُنَاكَ حكم حق وَلَا حد حَتَّى قد ذهب الدّين فِي أَكْثَرهَا فَلَا تصح إِقَامَة الدّين إِلَّا بِالْإِسْنَادِ إِلَى وَاحِد أَو إِلَى أَكثر من وَاحِد"(١)

وقال القلعي :" نظام أَمر الدّين وَالدُّنْيَا مَقْصُود وَلَا يحصل ذَلِك إِلَّا بِإِمَام مَوْجُود لَو نقل بِوُجُوب الْإِمَامَة لَأَدَّى ذَلِك إِلَى دوَام الِاخْتِلَاف والهرج إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ، لَو لم يكن للنَّاس إِمَام مُطَاع لانثلم شرف الْإِسْلَام وَضاع ، لَو لم يكن للْأمة إِمَام قاهر لتعطلت المحاريب والمناظر وانقطعت السبل للوارد والصادر ، لَو خلا عصر من إِمَام لتعطلت فِيهِ الْأَحْكَام وضاعت الْأَيْتَام وَلم يحجّ الْبَيْت الْحَرَام ، لَوْلَا الْأَئِمَّة والقضاة والسلاطين والولاة لما نكحت الْأَيَامَى وَلَا كفلت الْيَتَامَى ، لَوْلَا السُّلْطَان لكَانَتْ النَّاس فوضى ولأكل بَعضهم بَعْضًا"(٢) ولكعب الأحبار كلام مختصر يغني عن مجلدات "مثل الإسلام والسلطان والناس: مثل الفسطاط والعمود والأوتاد. فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأوتاد الناس. ولا يصلح بعضهم إلا ببعض"(٣)

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٧٢)

(٢)تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعي (ص:٩٤) تحقيق إبراهيم يوسف، الناشر: مكتبة المنار، الأردن، ط الأولى.

(٣) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي (١/١١)، الناشر: در الكتب العلمية –بيروت- ط الأولى ١٤٠٤هـ.

قال الأفوه الأودي: لا يصلح النَّاس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهَّالهم سادوا [١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض"[٢] ويقول معللاً ذلك: "لأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة"[٣] ويقول أيضاً : "كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا جمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، وللناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه، فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين، فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم. مصيبين تارة ومخطئين أخرى"[٤]

فطاعة ولي الأمر تضمن حفظ الأمن والاستقرار، وتوفر بيئة مناسبة للعلم وللعبادة والعمل الصالح. وقد عمل السلف الصالح على حفظ حقوق ولاة الأمر ومن أهمها السمع والطاعة في المعروف وعدم الخروج عليهم والنصيحة لهم سراً والدعاء لهم بظهر الغيب بصلاحهم وهدايتهم وإقامة الشعائر الدينية معهم.

---

(١) ديوان الأفوه الأودي (ص:٦٦) تحقيق: محمد ألتونجي، الناشر: دار صادر –بيروت– و الأمالي لعلي بن إسماعيل القالي (٢/٢٢٥)، الناشر: دار الكتب المصرية ط الثانية، ١٣٤٤هـ.

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية (ص:١٦١)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ط الأولى ١٤١٨هـ

(٣) نفس المصدر السابق (ص:١٦٢).

(٤) الحسبة لابن تيمية (ص:٨) الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت – ط الأولى ١٤١٢هـ

المبحث الأول:المنهج الدعوي للحسن البصري في تحقيق حقوق ولاة الأمر:

المطلب الأول: التحذير من الفتن وتوجيه الناس بالتمسك بعدم الخروج على ولاة الأمور:

لقد كان الإمام الحسن البصري من الأئمة الربانيين، والعلماء العاملين، ممن يمتازون ببعد النظر، وصحة الفكر، ومعرفة مآلات الحوادث، ولوازم الأفعال، حتى وُصف -رحمه الله- بأنه: "من رءوس العلماء في الفتن والدماء"(١).

وقد كان له في هذا المضمار السبق الواضح، والسهم الوافر، والنصح الجزيل، ومن أقواله ومواقفه في هذا المجال ما يأتي:

أولاً: التحذير من الفتن:

كان من دلائل رسوخه في العلم، وتمكنه في الفقه، وإخلاصه في القول والعمل، مدركاً لعواقب الأمور، ومآلات الأفعال، وما يترتب عليها من الضرر والشرور، فقد كان -رحمه الله- يقول: "إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"(٢).

وهذا ما عرفه أهل العلم من بعده، وشهدوا له بذلك، فقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: "ما أشبه الحسن إلا برجل يحذر الناس السيل ويقوم لسببه"(٣).

ومما ساعد الإمام في بلوغ هذه المرتبة، ونيل تلك المنقبة؛ معاصرته الأحداث العظام الواقعة في تاريخ الإسلام منذ أول وقوعها، وأوان نشأتها، حيث ولد في المدينة المنورة لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه (٤)، حيث ولد في سنة (٢١هـ) (٥).

---

(١)الطبقات الكبير لمحمد بن سعد الزهري (٩/١٦٤) تحقيق د محمد علي عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الأولى ١٤٢١هـ

(٢) التاريخ الكبير للبخاري (٥/٥٥٥) تحقيق محمد صالح الدباسي، الناشر: الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (٢/ ٢٠٤).

(٤) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٥٧)، أخبار القضاة، لوكيع (٢/ ٣).

(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٢٦).

وكان للإمام يوم قتل عثمان رضي الله عنه في سنة (٣٥هـ): أربع عشرة سنة، وكان قد رآه وسمع منه[١].

وعن عبد الأعلى بن الهيثم قال: حدثني أبي قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: "لا، كانوا أعلاجا من أهل مصر"[٢].

وقال أيضا: "ما علمت أحدا أشرك في دم عثمان رضي الله عنه ولا أعان عليه إلا قتل"[٣].

وقال أيضا: "لم يدع الله الفسقة قتلة عثمان حتى قتلهم بكل أرض"[٤].

وهذه الرؤية الثاقبة كانت خصيصاً له دون أقرانه من أهل العلم، وقد كان -رحمه الله- يتعجب من بعض أهل العلم في زمانه من الدخول في هذه الفتن، فعن أيوب السختياني قال: قال الحسن: "ألا تعجب من سعيد بن جبير، دخل يسألني عن قتال الحجاج، ومعه بعض الرؤساء من أصحاب ابن الأشعث"[٥].

وهذا مما يوجب على الدعاة أن يأخذوا الحكم الشرعي في الفتن من مجموع أقوال العلماء، لا من قول عالم واحد، ولا من خلال موقف وحيد نادر، ولذلك كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يجمع كبار الصحابة للوقائع النازلة مع علمه وفضله وسعة أفقه.

فعن المبارك بن فضالة، قال: سمعت الحسن، يقول: "دركت عثمان رضي الله عنه، وأنا يومئذ قد راهقت الحلم، فسمعته يخطب، وشهدته يقول: "يا أيها الناس، ما تنقمون علي؟" قال: وما من يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرا، يقول: "يا معشر الناس، اغدوا على عطياتكم"، فيغدون فيأخذونها وافرة،

---

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٥٨)، التاريخ الكبير، للبخاري (٢/ ٢٨٩).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٧٦).

قال في فتنة مقتل عثمان بن عفان، لمحمد الصبحي (١/ ٥٣١- ٥٣٢): "لكن في الإسناد تصحيف، فليس في شيوخ (خليفة) أحد بهذا الاسم، وليس في الرواة عن الحسن أحد بهذا الاسم. وفي الرواة عن الحسن البصري، عبيد الصيد وله ابن يسمى الهيثم... فبذلك يكون الإسناد كالتالي: "عبد الأعلى عن الهيثم قال: حدثني أبي".

(٣) تاريخ المدينة، لابن شبة (٤/ ١٢٥٢).

(٤) التاريخ الأوسط، للبخاري (١/ ٧٩).

(٥) العلل ومعرفة الرجال لأحمد، رواية عبد الله (٢/ ٣٩٠).

ثم يقال: "يا معشر المسلمين اغدوا على كسوتكم"، فيجاء بالحلل فتقسم بينهم قال الحسن: "والعدو منفي، والعطيات دارة، وذات البين حسن، والخير كثير، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا، من لقي من أي الأحياء كان فهو أخوه ومودته ونصرته، والفتنة أن يسل عليه سيفا"(١).

وقال أيضا: "فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنهم لم يصبروا، وسلوا السيف مع من سل، فصار عن الكفار مغمدا، وعلى المسلمين مسلولا إلى يوم القيامة"(٢).

وقد قال- رحمه الله- في التحذير من الفتن: "لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط"، ثم تلا: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ] {الأعراف:١٣٧} (٣).

وهذه المقولة جاءت من عند الإمام في فتنة يزيد بن المهلب، والتي كانت في عام (١٠١-١٠٢هـ)، حيث إنه خرج على الخليفة، وشق عصا الطاعة (٤).

وكان -رحمه الله- يرى أن دفع البلاء لا يكون بالقتال والخروج، فعن سليمان بن علي الربعي قال: "لما كانت الفتنة فتنة ابن الأشعث(٥) إذ قاتل الحجاج ابن يوسف انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذى سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادى عقوبة

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني (١/ ٨٧)، رقم (١٣١).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٥/ ٣٩٩).

(٣) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٥)، الشريعة، للآجري (١/ ٣٧٤).

(٤) أنساب الأشراف، للبلاذري (٨/ ٣٠٩). تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر -بيروت- ط الأولى١٤١٧هـ

(٥) وكان ذلك سنة (٨١هـ). تاريخ الرسل والملوك، الطبري (٦/ ٣٣٤).

الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج! قال: وهم قوم عرب، قال: وخرجوا مع ابن الأشعث، قال: فقتلوا جميعا"(١).

وعن أبي التياح قال: "شهدت الحسن وسعيد بن أبى الحسن حين أقبل ابن الأشعث فكان الحسن ينهى عن الخروج على الحجاج ويأمر بالكف وكان سعيد بن أبي الحسن يحضض، ثم قال سعيد فيما يقول: ما ظنك بأهل الشام إذا لقيناهم غدا؟ فقلنا: والله ما خلعنا أمير المؤمنين ولا نريد خلعه، ولكنا نقمنا عليه استعماله الحجاج فاعزله عنا، فلما فرغ سعيد من كلامه تكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إنه والله ما سلط الله الحجاج عليكم إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم السكينة والتضرع، وأما ما ذكرت من ظني بأهل الشأم فإن ظني بهم أن لو جاءوا فألقمهم الحجاج دنياه لم يحملهم على أمر إلا ركبوه، هذا ظني بهم"(٢).

وقال أيضا عن بعض من خرج: "المسكين رأى منكرا فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه"(٣).

وهذا التوجيه الحكيم من الإمام –رحمه الله– لم ينفرد به، بل وافقه فيه غيره من أهل العلم.

فعن بكر بن عبد الله قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب: "اتقوها بالتقوى"، قال بكر: أجمل لنا التقوى، قال: "التقوى عمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله، خيفة عقاب الله"(٤).

والمنكر لا يغير بمنكر أكبر منه وقد فصل العلامة ابن القيم –رحمه الله– أربعة أحوال لزوال النكر عند إنكاره وهي":

١- أن يزول المنكر ويخلفه ضده من المعروف.

---

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٤).

(٢) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٥).

(٣) الشريعة، للآجري (٤/ ١٧٠٩). صححه وعلق عليه إسماعيل بن حماد الأنصاري، الناشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ط الأولى ١٤٣١هـ

(٤) الزهد والرقائق، لابن المبارك (ص٤٧٣)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت– ط الأولى ١٤١٩هـ

٢- أن يزول المنكر وإن لم يزل بجملته.

٣- أن يخلف المنكر ما هو مثله.

٤- أن يخلف المنكر ما هو شر منه.

ثم يقول: فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة" .[١] فالإمام الحسن البصري –رحمه الله – عندما نهى عن الخروج على الحجاج ،رأى ذلك بمفهوم الميزان الفقهي المقاصدي الذي ينبغي للدعاة أن يزنوا به أقوالهم وأفعالهم في زمن الفتن، ولا يتحمسوا ويستعجلوا في إصدار أقوالهم وأفعالهم مجرده من الفقه والعلم والشرع والنظر في مآلات الأمور .

ويتوجب على من يوجه الناس معرفة ما يؤوله كلامه فإن كان فيه مفسدة أكبر فليتوقف عن القول في هذه الفتنة ويبحث جيداً هذه المسألة ويقدم ما مصلحته راجحة وما هو الأصلح للأمة والمسلمين يقول العز بن عبدالسلام :"اعلم أن تقديم الصالح على الأصلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد نظراً لهم من رب الأرباب ....لا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح ، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفات "[٢] وهذا التوجيه من العز بن عبدالسلام يؤيده شيخ الإسلام ويؤصله تأصيلاً علمياً فيقول –رحمه الله- " فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريما منه لم ينه عنه ولم يبحه أيضا. ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب وإذا كان قوم على بدعة أو فجور

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية (١٢/٣) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (٧/١) راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ودار أم القرى – القاهرة، ط الأولى ١٤٣١هـ

ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه"[١]

ومن الأمور التي كان يحرص عليها الإمام الحسن البصري- رحمه الله-، ويبينها للناس، حتى لا يقعوا ضحية أناس، وخدمة لمآربهم الشخصية: التنبيه على ألا يكون الفرد وقودا في معركة لا ناقة له فيها ولا جمل.

ومن ذلك: أنه أتى رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، إن هؤلاء استنفروني لأقاتل الخوارج فما ترى؟ فقال: إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء، وإن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم، فلا تكن القتيل منهم، فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة"[٢].

ومن ذلك أيضا: التنبيه على أن من مقاصد الخوارج هو طلب الدنيا، وليس طلب الدين ولا العلم، ولا العبادة، فقد أتى رجل من الخوارج الحسن البصري فقال له: ما تقول في الخوارج؟ قال: "هم أصحاب دنيا"، قال: ومن أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه ويخرج من أهله وولده؟ قال الحسن: "حدثني عن السلطان: أيمنعك من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والعمرة؟"، قال: لا، قال: "فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها"[٣].

وهذا التحذير القولي، قارنه التطبيق العملي، وذلك أن ابن الأشعث حينما خرج على الخلافة، واجتمع حوله الناس بالبصرة، قيل له: "إن سرك أن يقتلوا حولك كما قتلوا حول جمل عائشة فأخرج الحسن"، فأرسل إليه فأكرهه على الخروج معه [٤].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٧٢/١٤). جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤١٦ هـ

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطى (ص١٨١). الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر ط الأولى ١٣٩٨هـ

(٣) البصائر والذخائر، لأبي حيان (١/ ١٥٦).المحقق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م

(٤) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٤).

لكن الإمام -رحمه الله- لم يتعذر بإكراهه، بل كان ينتهز الفرص لمفارقة الخارجين، وتحيين الوقت للخروج من هذا المأزق، فعن عبد الله بن عون قال: "استبطأ الناس أيام ابن الأشعث فقالوا له: أخرج هذا الشيخ -يعني الحسن- قال ابن عون: فنظرت إليه بين الجسرين وعليه عمامة سوداء، قال: فغفلوا عنه، فألقى نفسه في بعض تلك الأنهار حتى نجا منهم وكاد يهلك يومئذ"(١).

فالعبد الورع الزاهد قد يودي بنفسه إلى التهلكة مراغما، لكنه لا يعين ظالماً على غيره، ولا يكون أداة بيد المنتهزين، ولا ألعوبة عند المستهترين.

وهذا ما كان الإمام يدعو إليه صراحة، فعن كلثوم بن جبر قال: "قلت للحسن: إن أكرهني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمل عليَّ رجل؟ قال: تناشده، قلت: فإن أبى؟ قال: فكن عبد الله المقتول، قال: فخرجت إلى مكة فسألت مجاهدا، فقال لي مثل قول الحسن"(٢).

وهذا التوجيه المبارك خارج من مشكاة النبوة، ومقتبس من أنوار الشريعة المحمدية، فعن عبد الله بن خباب عن أبيه رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: "فإن أدركت ذاك، فكن عبد الله المقتول"(٣).

وهذا الرسوخ في العلم، والثبات في المواقف، هو ما يمتاز به أئمة الدين عن غيرهم من عوام الناس ورعاعهم، وهو ما يثبته وقائع الأيام، وحوادث الدهور، فعن مالك بن دينار قال: "لقيني معبد الجهني وأنا على، ظهر وهو على ظهر قال: فقال: يا مالك، إني قد طفت الأمصار ورأيت الناس فلم أر مثل الحسن بن أبي الحسن، يا ليتنا كنا أطعناه يا ليتنا كنا أطعناه"(٤).

---

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٤).

(٢) أنساب الأشراف، للبلاذري (٨/ ٣١٣).

(٣) مسند أحمد (٣٤/ ٥٤٢)، رقم (٢١٠٦٤). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٠٣).

(٤) الزهد، لأحمد بن حنبل (ص٢٢٧).

وفي لفظ آخر عن مالك بن دينار قال: "لقيت معبدا بمكة بعد ابن الأشعث وهو جريح، وقد قاتل الحجاج في المواطن كلها، فقال: لقيت الفقهاء والناس، وإذا كأنه نادم على قتاله الحجاج"(١).

المطلب الثاني: التوجيه بعدم الخروج على ولاة الأمر:

منهج أهل السنة والجماعة، هو الطاعة في المعروف، والصبر على المكروه، وعدم نزع اليد عن الطاعة، ولا مفارقة الجماعة، وهذا ما قررته جملة من الأحاديث النبوية:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية"(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه"(٣).

ففي هذين الحديثين بيان أنه إذا اتفقت الجماعة على حاكم؛ عُلم أن تلك الجماعة المعصومة الظاهرة بالحق فيها، وأن ما خالفها وعارضها، كان الخطأ وخلاف الصواب (٤).

وقد اتفق العلماء على ذلك، وقرروا وجوب صبر الرعية على ولاة الأمور، وهذا ما نص عليه ابن المنذر بقوله: "وهذا يقول عوام أهل العلم إن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله وأهله، إذا أريد

---

(١) التاريخ الكبير، للبخاري (٧/ ٣٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سترون بعدي أمورا تنكرونها"، (٩/ ٤٦)، رقم (٧٠٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (٣/ ١٤٧٥)، رقم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (٣/ ١٤٧٥)، رقم (١٨٤٨).

(٤) مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك (ص: ٣٢٤). تحقيق: موسى محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت ط الأولى ١٩٨٥م.

ظلماً، للأخبار التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم تخص وقتا دون وقت، ولا حالا دون حال؟ إلا السلطان، فإن جماعة أهل الحديث كالمجمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته: أنه لا يحاربه، ولا يخرج عليه؛ للأخبار الدالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي فيها الأمر بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم، وترك قتالهم، والخروج عليهم ما أقاموا الصلاة"(١).

ولم يقتصر الإمام الحسن البصري –رحمه الله –على النصح بترك الفتن، وعدم الخوض فيها، والمشاركة بالقول أو الفعل في أحداثها، بل كان ينصح بالتمسك بالجماعة، ويحث على التزام الصف، وجمع الكلمة.

ومن مواقفه في ذلك: أنه كان –رحمه الله– يحث الناس بالاعتزال في فتنة يزيد بن المهلب (١٠١– ١٠٢هـ)، وقام في الناس بالبصرة فقال:" كفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض، إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي، فمن كان منكم خفيا فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفا، وكفى له بها من الدنيا خلفا، ومن كان منكم معروفا شريفا، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فواها لهذا! ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله! فهذا غدا– يعني يوم القيامة– القرير عينا، الكريم عند الله مآبا"(٢).

وقال ابن كثير: "وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة، وينهاهم أشد النهي، وذلك لما وقع من الشر الطويل العريض في أيام ابن الأشعث، وما قتل بسبب ذلك من النفوس العديدة، وجعل الحسن يخطب الناس، ويعظهم في ذلك، ويحرضهم على

(١) الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٧/ ٢٤٨). بدون ذكر الناشر ط الأولى ١٤٣١هـ

(٢) تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٦/ ٥٩٤).

الكف"[١]. ولم يعجب هذا الموقف أصحاب الفتنة، فقاموا بتهديده ووعيده، فما كان منه –رحمه الله– إلا التمسك بالحق، والدعوة إلى السبيل الواضح والمنهج الصريح"[٢]. بل إنه –رحمه الله– كان ينتهز الفرصة ويبادر بالنصيحة في كل موضع، فحين بلغه خروج الناس للانضمام إلى يزيد بن المهلب، رقى سطح بيت، وقال: "كلما نعق بهم ناعق أخذوا سيوفهم وخرجوا يقاتلون معه؛ كفعل هذا الفاسق يعني ابن المهلب"[٣].

وقد بلغت خبر هذه الفتنة الآفاق، ومرج فيها الناس، واختلفت فيها العقول، واضطربت الأفكار، فأصبح الناس يبحثون عن أهل العلم والفكر المستنير، كي يدلوهم على المنهج السوي، والصراط المستقيم، ومن الشواهد الدالة على شدة وقع هذه الفتنة على المجتمع الإسلامي في ذاك الوقت، ما رواه مرحوم العطار، عن أبيه، قال: "لما كانت فتنة يزيد بن المهلب اختلف الناس فيه، قال: فانطلقنا إلى محمد بن سفيان فقلنا له: ما ترى في أمر هذا الرجل، وقلنا له: كيف تريد أن تصنع أنت؟ فقال: انظروا أسعد الناس حين قتل عثمان رضي الله عنه فاقتدوا به، قال: فقلنا: هذا ابن عمر، كف يده"[٤].

وعن عبد المجيد العقيلي، فقال: "انطلقنا حجاجا ليالي خرج يزيد بن المهلب، وقد ذكر لنا أن ماءً بالعالية يقال له: الزجيج، فلما قضينا مناسكنا جئنا حتى أتينا الزجيج، فأنخنا رواحلنا، قال: فانطلقنا حتى أتينا على بئر عليه أشياخ مخضبون يتحدثون، قال: قلنا هذا الذي صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أين بيته؟ قالوا: نعم صحبه، وهذاك بيته، فانطلقنا حتى أتينا البيت، فسلمنا، قال: فأذن لنا فإذا شيخ كبير مضطجع يقال له: العداء بن خالد الكلابي، قلت: أنت الذي صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، ولولا أنه الليل لأقرأتكم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي، قال:

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٧٢٥).

(٢) المصدر السابق.(٧٢٨/١٢)

(٣) أخبار القضاة، لوكيع (١/ ٣٠٨).

(٤) الفتن، لنعيم بن حماد (١/ ١٦٢). تحقيق: سمير أمين الزهيري الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة – ط الأولى ١٤١٢هـ

فمن أنتم؟ قلنا: من أهل البصرة، قال: مرحبا بكم، ما فعل يزيد بن المهلب؟ قلنا: هو هناك يدعو إلى كتاب الله تبارك وتعالى وإلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فيما هو من ذلك؟"[(١)].

ولم يكن موقف الإمام الحسن البصري-رحمه الله- بعيدا عن منهج أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من جهوده -رحمه الله- أن يكشف للناس عن شبهات أهل الفتنة، ويرد عليها، ويُبين خللها العلمي، وشررها المآلي، وذلك أن صاحب الفتنة يزيد بن المهلب كان يغرر بالعوام بقوله: "أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز"، فما كان من الإمام إلا أن يفزع فيخطب في الناس بقوله: "اللهم اصرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا، يا عجبا لفاسق غير برهة من دهره، ينتهك المحارم، يأكل معهم ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منع شيئا، قال: إني غضبان فاغضبوا، فنصب قصبا عليها خرق، فاتبعه رجرجة ورعاع، يقول: أطلب بسنة عمر، إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر"[(٢)].

ويشير الإمام في آخر مقولته بعبارته: "إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر"، إلى خُبث دعوى صاحب الفتنة، حيث إنه كان يدَّعي الدعوة إلى سنة عمر بن عبد العزيز، في حين أن عمر بن عبد العزيز هو الذي كان قد حبسه، وقد فرّ من حبسه في حياة عمر بن عبد العزيز [(٣)].

---

(١) مسند أحمد (٣٣/ ٤٤٥- ٤٤٦)، (٢٠٣٣٦). وقال شعيب الأرناؤوط: "حديث صحيح".

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٥٠٦). تحقيق، شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ط الأولى ١٤٠١هـ

(٣) بل إن عمر بن عبد العزيز قد اشتف منه سوء قصده وسريرته، حيث إنه لما أمر بحبسه، قيل له: إنه شريف له موضع. فقال: "إنه صاحب فتك، وليس له خير من السجن". أنساب الأشراف، للبلاذري (٨/ ١٣٦).
وقد قال مهنأ: سألت أحمد عن يزيد بن المهلب، قال: بصري، قلت: كيف هو؟ قال: كان صاحب فتنة. السنة، لأبي بكر بن الخلال (٣/ ٥٢٤). وينظر: المنتخب من علل الخلال (١/ ٢٣٨).

المطلب الثاني: إقامة الشرائع الدينية مع الولاة:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بالتوكيد على مبدأ السمع للحاكم، والطاعة في المعروف، والصبر وعدم الخروج عليهم.

ومن لوازم ذلك: الصلاة خلفهم، والجهاد بأمرهم، على ما هو مقرر في مذهب أهل السنة والجماعة [١].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الإمام جنة، يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل، كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه"[٢].

قال النووي: "(جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته"[٣].

وللإمام الحسن البصري- رحمه الله- في هذا المجال تقرير موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، فقد قال رجل للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في أمرائنا هؤلاء؟ فقال الحسن: "ما عسى أن أقول فيهم، هم لحجنا، وهم لغزونا، وهم لقسم فيئنا، وهم لإقامة حدودنا، والله إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر، وما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد"[٤].

---

(١) ينظر: متن العقيدة الطحاوية (ص٦٧)، بتعليق الشيخ الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي –بيروت- ط الثانية ١٤١٤هـ ، وانظر: شرح السنة للبربهاري (ص١٢٩). تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، دار السلف ودار الصميعي، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، (٤/ ٥٠)، رقم (٢٩٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب في الإمام إذا أمر بتقوى الله وعدل كان له أجر، (٣/ ١٤٧١)، رقم (١٨٤١)، واللفظ لمسلم.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٠).

(٤) الشريعة، للآجري (٤/ ١٧٠٩).

وقد سئل رحمه الله عن الغزو، مع أئمة السوء فقال: "لك شرفه وأجره وفضله، وعليهم إثمهم"[١].وقال أيضاً :"لا تضر المؤمن صلاته خلف المنافق ، ولا تنفع المنافق صلاته خلف المؤمن .[٢] وهذا هو حال الصحابة والتابعون لهم بإحسان فقد صلوا خلف كل بر وفاجر من الحكام قال ابن حزم –رحمه الله– "وكان ابن عمر يصلي خلف الحجاج ونجدة ، أحدهما خارجي ، والثاني : أفسق البرية ، وكان ابن عمر يقول: الصلاة حسنة ما أبالي من شركني فيها ، وعن ابن جريج قلت لعطاء: أرأيت إماماً يؤخر الصلاة حتى يصليها مفرطاً فيها قال : أصلي مع الجماعة أحب إلي ..... وعن أبي الأشعث قال: ظهرت الخوارج علينا فسألت يحيى بن أبي كثير فقلت: يا أبا نصر كيف ترى في الصلاة خلف هؤلاء؟ قال: القرآن أمامك صل معهم ما صلوها !، ... وعن قتادة قلت لسعيد بن المسيب: أنصلي خلف الحجاج ؟ قال: إنا لنصلي خلف من هو شر منه .

ثم يعلق ابن حزم على هذه الأقوال التي نقلها في كتابه المحلى فيقول: ما نعلم أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ، امتنع من الصلاة خلف المختار، وعبيد الله بن زياد، والحجاج، ولا فاسق أفسق من هؤلاء، وقد قال الله ﷻ [وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ] {المائدة:٢}[٣]

المطلب الثالث: العمل على إصلاح المجتمع:

حيث إن الإصلاح الحقيقي يبدأ من الأفراد، ويكون من طريق نشر العلم، وتوعية المجتمع، والتماسك حول ولي الأمر، فالإصلاح الذي يرفع الأمة إلى منزلة تجلها القلوب، وتهابها العيون، وتجعلها في مأمن من أن تتداعى على أركانها، وتسقط إلى خمول واستكانة، هو الإصلاح الذي يرشد إليه الدين الحق. وذلك لا يكون إلا باتباع التوجيهات الربانية، والإرشادات النبوية في التعامل مع مختلف الظروف، وشتى الأحوال.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٠٨)، رقم (٣٣٣٧٩).

(٢) المحلى لابن حزم (٢١٣/٤)

(٣) نفس المصدر السابق (٢١٣/٤) بتصرف يسير

قال ابن عثيمين –رحمه الله–: "يرى أهل السنة والجماعة أن المجتمع الإسلامي لا يكمل صلاحه إلا إذا تمشى مع ما شرعه الله سبحانه وتعالى له"(١). وقد قال ابن الجوزي–رحمه الله–: "لقد بلغني: أن رجلاً كتب إلى بعض الصالحين يشكو إليه جور العمال، فكتب إليه: يا أخي! وصلني كتابك تذكر ما أنتم فيه من جور العمال، وأنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أظن الذي أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب، والسلام"(٢).

وهذا يعني: أن كل ما يقع في المجتمع إنما هو صورة منعكسة لأخلاق أفراده، ومعاملات مجتمعه. وقد كان الإمام الحسن البصري – رحمه الله– مستحضرا لهذا المبدأ، فقد سمع –رحمه الله– رجلاً يدعو على الحجاج، فقال: "لا تفعل رحمك الله إنكم من أنفسكم أتيتم، إنما نخاف إن عزل الحجاج، أو مات، أن يليكم القردة والخنازير"(٣). وسئل الحسن البصري–رحمه الله– أيضا عن الحجاج، فقال: "يتلو كتاب الله، ويعظ وعظ الأبرار، ويطعم الطعام، ويؤثر الصدق، ويبطش بطش الجبارين". قالوا: فما ترى في القيام عليه؟ فقال: "اتقوا الله، وتوبوا إليه يكفكم جوره، واعلموا أن عند الله حجاجين كثيرا"(٤).

ومما يستفاد من هذا النص: أن صلاح الوالي لا يكون بالانشقاق والخروج، والمنابذة والمطارحة، وإنما يكون من خلال إصلاح النفس، وبث الخير والأخلاق الرفيعة، والتعامل بالآداب الشرعية، ومتى لم يقع الإصلاح على هذا المنهج، فإن تبدل الحاكم لا يفيد ولا يصلح، بل يكون أشد ضررا، وأسوء عاقبة. وقد قيل كما تكونون يول عليكم(٥) وقال تعالى: [وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] {الأنعام:١٢٩} أورد القرطبي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٢٠٧). الناشر: دار الوطن – دار الثريا، المملكة العربية السعودية، (د.م)

(٢) آداب الحسن البصري، لابن الجوزي (ص: ١١٧). الناشر: دار النوادر بيروت. ط الثالثة

(٣) آداب الحسن البصري، لابن الجوزي (ص: ١١٦).

(٤) آداب الحسن البصري، لابن الجوزي (ص: ١١٨).

(٥) رواه القضاعي في مسنده تحقيق حمدي بن عبد الحميد السلفي رقم الحديث (٥٧٧) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ ورواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ (كما تكونون يؤمر عليكم)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح رقم الحديث (٣٧١٧).

خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم وفي الخبر عن النبي ﷺ :(من أعان ظالماً سلطه الله عليه)[١] وإلى هذا ذهب الألوسي –رحمه الله– فقال :"إن الرعية إذا كانوا ظالمين سلط الله عليهم ظالماً مثلهم "[٢]

المطلب الرابع: المساعدة والمشاركة من خلال تولي المناصب الدينية:

إن الناظر في سيرة الإمام الحسن البصري –رحمه الله– ليجده مشاركاً فعالاً في مجتمعه، فلم يكن ممن يستكفي بالقول، ويقتصر بالحث على الخير والإرشاد، أو انصرف إلى اعتزال الناس كبعض التابعين مثل مطرف بن عبد الله بن الشخير–رحمه الله – [٣] بل كان –رحمه الله– مدليا بدلوه ما استطاع، باذلاً عمله في سبيل نشر العلم، وتعليم الناس.

وقد سئل تلميذه يونس بن عبيد: أتعلم أحدا يعمل بعمل الحسن؟ قال: "والله ما أعرف أحدا يقول بقوله، فكيف يعمل بمثل عمله؟!"[٤].

ولم يكن مقتصرا في تعامله مع الولاة على مجرد التقرير والقول، بل إنه تولى مناصب دينية رفيعة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٥/٧) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة– ط الثانية ١٣٨٤هـ. والحديث الذي استدل به القرطبي حكم عليه المحدثون بأنه موضوع مثل الألباني في السلسلة الضعيفة رقم الحديث (١٩٣٧).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (٤٧٢) الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت– ط الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامرى، أبو عبد الله، من كبار التابعين، ثقة عابد فاضل، مات سنة ٩٥هـ. له ترجمة فى: تقريب التهذيب لابن حجر (١٨٨/٢)، ومشاهير علماء الأمصار (ص:١١٣)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٦٤/١).

(٤) البيان والتبيين، للجاحظ (٣/ ١١٨). الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت (د.ط) ١٤٢٣هـ.

ومن تلك المناصب:

١- الكتابة، فقد كان -رحمه الله- كاتب الربيع بن زياد الحارثي بخراسان [١]، وقد تولى الربيع إمارة خراسان في عهد معاوية رضي الله عنه [٢].

٢- القضاء، فقد تولى رحمه الله منصب القاضي بالبصرة في عهد واليها عدي بن أرطأة، وقد تولى عدي إمارة البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز [٣].

وتولى -رحمه الله- القضاء على كُره منه، وعدم رغبة، فعن سلام بن مسكين، قال: "كنا ننتظر الحسن، وهو عند عدي بن أرطاة، وخرج علينا، وهو كئيب حزين، خبيث النفس، فقال: إن هذا الرجل أجلسني للناس قاضيا فأعلمته كبر سني، وضعفي، فإنه لا طاقة لي بالقضاء، فقال: أعني أياما حتى أقعد مكانك رجلا"[٤].

وكان -رحمه الله- متعففا عن أخذ مال مقابل وظيفته من أجل عدم حاجته للمال، فعن غسان بن مضر قال: "حدثنا بعض أشياخنا، وسعيد بن يزيد فيهم، قالوا: استعمل عدي بن أرطاة الحسن على القضاء، فبعث إليه برزقه، فرده الحسن، قال: فزاد عدي عليه فردها إلى الحسن؛ فقال: الحسن: إني لم أستقل ما بعثت إلي، ولكني أكره أن آخذ على القضاء أجرا"[٥].

---

(١) المعارف، لابن قتيبة (١/ ٤٤١). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة- ط الثانية

وخراسان: كلمة مركبة من (خور)، ومعناها: شمس، و(أسان)، ومعناها: مشرق، وقد كانت مقاطعة كبيرة من البلاد الإسلامية، وتتقاسمها اليوم كلًا من إيران الشرقية: نيسابور، وأفغانستان الشمالية: هراة وبلخ، ومقاطعة تركمانستان السوفيتية: مرو. ينظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب (ص: ١٠٨).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٢٠٥).

(٣) الطبقات الكبير، لابن سعد (٧/ ٣٣٥).

(٤) أخبار القضاة، لوكيع (٢/ ٧).

(٥) أخبار القضاة، لوكيع (٢/ ١١).

٣- إمامة الناس في الصلاة، فقد أخرج عبد الرزاق عن معمر: أن عدي بن أرطأة أمر الحسن أن يصلي بالناس، فكبر هذا التكبير حين يخفض، وحين يرفع، فغلط الناس، فكبر بهم تكبير الأئمة يومئذ [١].

المبحث الثاني الوسائل والأساليب التي اتخذها الحسن البصري –رحمه الله– في تحقيق حقوق ولاة الأمر.

المطلب الأول الوسائل الدعوية التي اتخذها الحسن البصري –رحمه الله– في تحقيق حقوق ولاة الأمر.

المسألة الأولى: مراسلة الولاة:

لقد جاء الإسلام بالتوكيد على رابطة المجتمع الدينية، وتكاتف الناس فيما بينهم، وسد خلل بعضهم، من خلال المشاركة والنصح، والعمل الفعال في بناء المجتمع.

فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[٢]، وعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٣].

قال القاضي عياض: "ونصيحة أئمة المسلمين: طاعتهم في الحق ومعونتهم عليه، وأمرهم به، وتذكيرهم إياه على أحسن الوجوه، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من أمور المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم. والنصح لعامة المسلمين: إرشادهم لمصالحهم، ومعونتهم في أمر دينهم

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢/ ٦٥)، رقم (٢٥٠٨).تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي- الهند، توزيع المكتب الإسلامي – بيروت ط الثانية ١٤٠٣هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، رقم (٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

ودنياهم بالقول والعمل، وتنبيه غافلهم وتعليم جاهلهم، ورفد محتاجهم، وستر عورتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع في الدين والدنيا إليهم"[١].

وقد ظهر هذا المسألة عند الإمام الحسن البصري- رحمه الله- من خلال جانبين مهمين، وهما:

مراسلة الولاة:

كان الحسن البصري —رحمه الله — يتخذ من المراسلة فرصة لتذكير ولاة الأمر فكانت له رسائل عديدة ذكرت بعض كتب التاريخ شيئاً منها فمن ذلك مراسلته لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ﷺ يقول فيها " أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين ينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ".[٢] ومن خلال هذه الرسالة نرى توجيه لطيف للوالي بأن يرحم رعاياه كما كان النبي ﷺ يفعل، وهكذا ينبغي مخاطبة الولاة ومراسلتهم بدون جفاء أو غلظة كما قال تعالى لموسى عليه السلام عندما يخاطب فرعون ويدعوه إلى الله [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] {طه:٤٤} وكذلك راسل الحسن البصري-رحمه الله- عمر بن عبدالعزيز —رحمه الله- وكان بينها مودة وعلاقة حب في الله، فعن عون بن المعمر قال: كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: "أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات، فكتب إليه عمر: أما بعد فكأنك بالدنيا وكأنها لم تكن، وكأنك بالآخرة وكأنها لم تزل، والسلام"[٣]. وكان الحسن البصري-رحمه الله- إذا رأى منكراً راسل إمام المسلمين طالباً منه النظر في هذا الأمر ومن ذلك : "أن عدي بن أرطاة خطب فشتم علياً ولعنه، فكتب الحسن بذلك إلى عمر، فكتب عمر إلى عدي: بلغني عنك أنك شتمت عليا ولعنته، ولبئس الرجل أنت، إن فعلت ذلك، وأقدمت عليه، فقبحك الله وترحك، وأنا أقسم لئن عدت لمثلها لأنهكنك عقوبة، ثم لأسيئن عزلك. فأمسك عدي"[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٠٧)، تحقيق يحي إسماعيل، نشر دار الوفاء بمصر،ط الأولى ١٤١٩ هـ

(٢)صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي القلقشندي (١/٢٣٠) الناشر: دار الكتب العلمية —بيروت- ط الأولى ١٤٠٧هـ

(٣) أنساب الأشراف، للبلاذري (٨/ ١٣٨).

(٤) أنساب الأشراف، للبلاذري (٨/ ١٥٨- ١٥٩).

المسألة الثانية: – الخطابة والإمامة وحلقات التعليم

تعبر الخطابة من أكثر الوسائل فاعلية في مخاطبة مختلف فئات الناس وطبقاتهم ومستوياتهم ولذا فقد كانت أحد الوسائل الدعوية المهمة للدعاة إلى الله ولقد كان الحسن البصري –رحمه الله– خطيباً وإماماً لجامع البصرة وكان الجامع مقصد الزهاد والعباد و طلاب العلم وكانت حلقات العلم تملأ جوانب الجامع من جميع أصناف العلم كالحديث والفقه والتفسير والمغازي والسير وكانت خطب الإمام الحسن البصري–رحمه الله – لها وقع عظيم في نفوس الناس ، وتأثير كبير ، وقد مر علينا أن يزيد بن المهلب خرج على الدولة الأموية ودعا إلى سنة عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– فقام الحسن البصري–رحمه الله– خطيباً وقال في خطبته :" اللهم اصرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا، يا عجبا لفاسق غير برهة من دهره، ينتهك المحارم، يأكل معهم ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منع شيئا، قال: إني غضبان فاغضبوا، فنصب قصبا عليها خرق، فاتبعه رجرجة ورعاع، يقول: أطلب بسنة عمر، إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر"[(١)].

المسألة الثالثة:– الإفتاء

لقد عظمت الشريعة الإسلامية أمر الإفتاء فالإفتاء مسؤولية عظيمة وأمانة ثقيلة كما أنه منصب جليل ومن أشرف الوظائف الدينية وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع واضحة جلية لا يستغنى عنها فالحاجة إليه ماسة، بل هو من الضرورات التي لا يستغنى عنها.

وقد تولى عدد من الصحابة –رضي الله عنهم– الإفتاء مثل عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وغيرهم ومن التابعين سعيد بن المسيب وطاووس بن كيسان وعكرمة مولى ابن عباس و الحسن البصري –رحمهم الله–[(٢)] وقد توجه إليه الناس في الفتن يسألونه عن حكم الخروج فمن ذلك: أنه أتى رجلٌ إلى الحسن البصري –رحمه الله– فقال: يا أبا سعيد، إن هؤلاء استنفروني لأقاتل الخوارج فما ترى؟ فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٥٠٦).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية،(١٨/١) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء، وإن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم، فلا تكن القتيل منهم، فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة"[١].وسئل ذات مرة أيأخذ أحدنا عطاء من الدولة أم يدعه ليتقاضاه من حسنات بني أمية يوم القيامة فقال له: قم ويحك خذ عطاءك فإن القوم مفاليس في الحسنات يوم القيامة.[٢] ومن الفتاوى الحكيمة القائمة على الكتاب والسنة ما أفتى به الحسن البصري –رحمه الله– أحد المستفتيين حين قال له كلثوم بن جبر:" إن أكرهني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمل عليَّ رجل؟ قال: تناشده، قلت: فإن أبى؟ قال: فكن عبد الله المقتول، قال: فخرجت إلى مكة فسألت مجاهدا، فقال لي مثل قول الحسن"[٣].

المسألة الرابعة: تولي المناصب والقضاء

الحرص على تولي المناصب والسعي الشديد لها مزلق عظيم وأمر خطير قد يمنع الداعية من خير الدنيا ونعيم الآخرة وقل من يحرص ويسعى للمناصب من التوفيق والتسديد ولذلك قال النبي ﷺ لأحد الصحابة –رضي الله عنه– ("يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها من مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة وكلت إليها ")[٤] ، والحسن البصري–رحمه الله – لم يحرص عليها ولم يفرح بها بل كان مكرهاً ولكن من النصيحة لولي الأمر الاستجابة في تولية بعض المناصب ومنها القضاء كما فعل الحسن البصري–رحمه الله– وخير للمسلمين أن يولى الصالحون للمناصب المهمة في الدولة .قال تعالى [قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ] {القصص:٢٦} ولما علم يوسف عليه السلام قدرته على إدارة شؤون البلاد طلب من والي مصر أن يوليه شؤون ادارة البلاد فصار عزيز مصر قال تعالى [قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ] {يوسف:٥٥} قال صاحب

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (ص١٨١).

(٢)غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، (١٥٩) تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ط الأولى ١٣٧٣هـ

(٣) أنساب الأشراف، للبلاذري (٨/ ٣١٣).

(٤) صحيح البخاري كتاب الأحكام باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله ٨ /١٠٦، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب النعي عن طلب الإمارة والحرص عليها ٣ /١٤٥٦ ح ١٦٥٢.

الكشاف :" وصف يوسف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه ، وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى – وإقامة الحق ، وبسط العدل ، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، فطلب التولية ابتغاء وجه الله – لا لحب الملك والدنيا "(١)

وهل هناك تعارض بين الحديث النبوي الناهي عن طلب الإمارة والآية القرآنية التي طلب فيها يوسف تولي منصب الوزارة يجيب على هذا الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– :" نجيب بأحد جوابين : أولا: إما أن يقال إن الشرع من قبلنا إذا خالفه شرعنا فالعمدة على شرعنا بناء على القاعدة المعروفة عند الأصوليين شرع من قبلنا ما لم يرد شرعنا بخلافة وقد ورد شرعنا بخلافه أننا لا نولى الأمر أحدا طلب الولاية عليه ثانيا أو يقال إن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أن المال ضائع وأنه يفرط فيه ويلعب فيه فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب ومثل هذا يكون الغرض منه إزالة سوء التدبير وسوء العمل ويكون هذا لا بأس به فمثلا إذا رأينا أميرا في ناحية لكنه قد أضاع الإمرة وأفسد الخلق فللصالح لهذا الأمر إذا لم يجد أحدا غيره أن يطلب من ولي الأمر أن يوليه على هذه الناحية فيقول له ولني هذه البلدة لأجل دفع الشر الذي فيها ويكون هذا لا بأس به متفقا مع القواعد."(٢)

المطلب الثاني : الأساليب الدعوية التي اتخذها الحسن البصري –رحمه الله– في تحقيق حقوق ولاة الأمر .

استخدم الإمام الحسن البصري–رحمه الله– عدة أساليب في دعوته وكانت متنوعة ومتميزة لاختلاف المدعوين فمن المدعوين من يقتنع بالأسلوب الترغيبي ومنهم من يخاف فيحتاج إلى ترهيب حتى يقلع عن المعاصي والجرأة على حدود الله ومنهم من يقتنع بالحوار والمجادلة فمن هذه الأساليب:

(١) الكشاف للزمخشري (٤٨٢/٢) ضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت ، ط الثالثة ،١٤٠٧هـ

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢١/٤) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ط الأولى ١٤٢٦هـ

المسألة الأولى: أسلوب الحكمة:

الحكمة هي :" الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه ".[1] قال تعالى [يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ] {البقرة:٢٦٩} وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يدعو إلى الله بالحكمة فقال تعالى [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ] {النحل:١٢٥} ويوضح الشيخ السعدي –رحمه الله– كيفية الحكمة في الدعوة إلى الله فيقول:" ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين ".[2]

وقد أوتي الإمام الحسن البصري –رحمه الله– حكمة في قوله وفي فعله و تظهر هذه الحكمة في وقت الفتنة عندما تطيش عقول المتحمسين بغير فقه ولا دراية بالفتن وقد كان الحسن البصري يرى الفتنة فيعرف لونها وشكلها ومآلها فينزل فيها حكم الله وحكم رسوله ﷺ لا يخاف في الله لومة لائم وقد ظهر ذلك جلياً وواضحاً في فتنة ابن الأشعث ويزيد بن المهلب وفند شبهاتهم وكانت شبهة ابن المهلب العودة إلى سنة عمر بن عبدالعزيز في العدل بين الرعية وقد سُجن يزيد بن المهلب في عهد عمر بن العزيز عندما كان والياً بسبب فساد مالي فقال الحسن البصري –رحمه الله–"اللهم اصرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا، يا عجبا لفاسق غير برهة من دهره، ينتهك المحارم، يأكل معهم ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منع شيئا، قال: إني غضبان فاغضبوا، فنصب قصبا عليها خرق، فاتبعه رجرجة ورعاع، يقول: أطلب بسنة عمر، إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر"[3]

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن وهف القحطاني (ص:٢٦)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ط الأولى ، ١٤٢٣هـ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص:٤٥٢)، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ،ط الأولى ، ١٤٢٠هـ

(٣)سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٥٠٦).

فلم يغتر الحسن البصري –رحمه الله – بدعوة يزيد في الإصلاح وهكذا ينبغي لكل داعية أن لا يغتر بدعاة الإصلاح الذين يريدون تدمير الأوطان وزعزعة الأمن و الاستقرار بدعاوي كاذبة خادعة.

ومن حكمته تفنيد شبهات الخارجين المارقين ولو أكثروا الصلاة والصيام فمن ذلك أنه أتى رجل من الخوارج الحسن البصري فقال له: ما تقول في الخوارج؟ قال: "هم أصحاب دنيا"، قال: ومن أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه ويخرج من أهله وولده؟ قال الحسن: "حدثني عن السلطان: أيمنعك من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والعمرة؟"، قال: لا، قال: "فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها"(١).

المسألة الثانية: أسلوب الموعظة الحسنة :

أسلوب الحسن البصري –رحمه الله– في الوعظ مأخوذ من سنة النبي ﷺ معتمدا عليها في القول الحسن ومراعاة الأحوال والتخول بالموعظة واغتنام الفرص والمناسبات والتعميم و الإيجاز والاختصار، والأصل في هذا الأسلوب أنه الأسلوب الذي به يستطيع الداعية والواعظ أن يلين نفس المدعو ويجعله مستعداً للعمل الصالح أو الابتعاد عن العمل السيء .(٢)

وعند ظهور الفتن تجد المدعوين ينظرون إلى العلماء ما يصدر منهم وما هو رأيهم وقد كان الحس البصري –رحمه الله– قبلة الناس عند الفتن يسألونه عن المنهج الصحيح في هذه الفتن فيجدون عنده ما يقوي إيمانهم ويحفظهم من الزيغ والضلال فمن مواعظه في الفتن قوله –رحمه الله –"لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط"، ثم تلا: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ] {الأعراف:١٣٧} (٣).

---

(١) البصائر والذخائر، لأبي حيان (١/ ١٥٦).

(٢) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله ، صالح بن حميد (ص:١٠) الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ط الأولى ١٤٢٢هـ

(٣) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٥)، الشريعة، للآجري (١/ ٣٧٤).

ولم يكن وعظه قاصراً على رواد الجامع أو مجالس الحسن البصري –رحمه الله– الخاصة بل كان يوعظ الولاة والحكام بالموعظة الحسنة الصادرة من النصح وحب الخير للأئمة وللمسلمين إذ بصلاح الأئمة تصلح أمور الناس فقد كان يزور الحكام وولاة الأمر فينصحهم برفق ولين.

ومن ذلك: أن عمر بن هبيرة والي العراق كتب إلى الحسن ومحمد بن سيرين وعامر الشعبي فقدم بهم عليه، فقال لهم: إن أمير المؤمنين (يزيد بن عبدالملك) يكتب إليَّ في الأمر، إن فعلته خفت على ديني، وإن لم أفعله خفت على نفسي؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولا رققا فيه، وقال له الحسن: يا ابن هبيرة، إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، يا ابن هبيرة، إنه يوشك أن يبعث الله إليك ملكا فينزلك عن سريرك إلى سعة قصرك، ثم يخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بألفين؛ فقالا:رفقنا فرقق لنا[1]. فهذه موعظة بليغة ونصيحة مشفق لا يداهن ولا يرائي ولا يطلب من حطام الدنيا شيئاً. وقد تأثر بطريقته أدباء كبار مثل عبد الحميد الكاتب فالحسن يقتدر على تصريف الكلام بدون كلفة أو تعقيد في الألفاظ.

المسألة الثالثة: أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن

يعرف الجرجاني المجادلة بأنها " دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة "[2] وأصل الجدل " الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه، فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها ." [3] وهذا الأسلوب الدعوي من أنجح الأساليب في إقامة الحجة ودعوة الناس إلى الحق وقد أمر الله نبيه ﷺ بالقيام بها فقال تعالى [وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] {النحل:١٢٥} واتخذ هذا الأسلوب الحسن البصري –رحمه الله– هذا الأسلوب في إقناع الناس بالبعد

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة (٢/ ٣٧١)، بيروت: دار الكتب العلمية.و مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي (١٠/ ٤٦٨)،الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق ط الأولى.

(٢) التعريفات للجرجاني (ص:٧٤) ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط الأولى ١٤٠٣هـ.

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله ، صالح بن حميد (ص:١٢) .

عن الفتن وجادل من يدعو الناس إلى الخروج على ولاة الأمر فعن سليمان بن علي الربعي قال: "لما كانت الفتنة فتنة ابن الأشعث إذ قاتل الحجاج ابن يوسف انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذى سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل و فعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادى عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج! قال: وهم قوم عرب، قال: وخرجوا مع ابن الأشعث، قال: فقتلوا جميعا"[1].

ومن خلال هذا المقطع يظهر جلياً كيف استطاع الحسن أن يدعو أهل الفتنة إلى ترك الخروج على الحجاج بجدال مؤدب بدون سب أو شتم أو تحقير للآخرين و لكن بأسلوب المشفق على إخوانه المسلمين . ويأمرهم بالصبر و عدم الاستعجال وهذا ما ذكره شيخ الإسلام علاجاً للفتن فقال –رحمه الله–:" عامة الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها قلة الصبر، إذ الفتنة لها سببان: إما ضعف العلم، وإما ضعف الصبر، فإن الجهل والظلم أصل الشر، وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر، ولكون نفسه تريده، فبالعلم يزول الجهل، وبالصبر يحبس الهوى والشهوة، فتزول الفتنة".[2]

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد (٩/ ١٦٤).

(٢) الفروع لابن مقلح (١١١/١٠)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال ما سبق يمكن أن نبرز أهم النتائج:

١- مكانة الحسن البصري-رحمه الله – العلمية والعملية أكسبته قبولاً لدى الناس.

٢- أهمية الرجوع إلى العلماء الربانين وخصوصاً في الفتن والاسترشاد بفتواهم ونصائحهم.

٣- منهج السلف الصالح في الفتن منهج معصوم ومبني على الكتاب والسنة.

٤- حقق الحسن البصري –رحمه الله – حقوق ولاة الأمر مبتغياً بذلك وجه الله ولم يحصل على شيء من متاع الدنيا.

٥- الخروج على ولاة الأمر قديماً وحديثاً كلف المسلمين خسائر فادحة في الأرواح والأموال.

٦- في الفتن تطيش عقول كثير من الناس وبعض أهل العلم كما حدث في فتنة ابن الأشعث.

٧- استخدم الحسن البصري –رحمه الله- أساليب ووسائل في إقناع الناس بتحقيق حقوق ولاة الأمر وهذه الأساليب والوسائل ينبغي لكل داعية أن يحسن استخدامها.

٨- الفتن لا تختلف قديماًوحديثاً في نوعها وأساليبها ووسائلها، ولكن تختلف في الأسماء والشخصيات.

٩- من السلامة لزوم الطاعة وعدم مفارقة الجماعة كما فعل السلف الصالح.

١٠- في الفتن يحتاج الداعية إلى العلم والصبر والحكمة في القول والعمل.

١١- ينبغي للدعاة استشعار مسؤولية الكلمة في الفتن وأنها تحتاج إلى تفكير وتمهل وعدم الاستعجال.

التوصيات:

١- يوصي الباحث الدعاة إلى الله أن يقرؤوا في سير السلف الصالح وكيفية واجهوا الفتن والاستفادة من منهجهم في هذه الفتن.

٢- المنبر وسيلة قديمة حديثة ومهمة ومن خلالها يوصي الباحث الدعاة أن يستغلوها في بيان منهج السلف الصالح في تطبيق حقوق ولاة الأمر.

٣- دراسة سير السلف الصالح وبيان منهجهم في التعامل مع الفتن وذلك من خلال الأطروحات العلمية – الماجستير والدكتوراه- وتشجيع الجامعات لمثل هذه الدراسات المفيدة.

المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية للماوردي، الناشر: دار الحديث – القاهرة بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
- أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف تحقيق، عبد العزيز مصطفى المراغي الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، ط الأولى ١٣٦٦هـ
- آداب الحسن البصري، لابن الجوزي الناشر: دار النوادر بيروت. ط الثالثة.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني. ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود الناشر: الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٥هـ
- الاستيعاب ابن عبد البر، يوسف. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ط١. مصر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- الإشاعة وخطرها على ولاة الأمر، د/ عفاف بنت حسن مختار مجلة البحوث الإسلامية العدد (٩٦) ربيع الأول إلى جمادى الثانية ١٤٣٣هـ
- الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر. ط١. قطر: إحياء التراث الإسلامي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء بمصر،ط الأولى ١٤١٩ هـ
- الأمالي لعلي بن إسماعيل القالي، الناشر: دار الكتب المصرية ط الثانية، ١٣٤٤هـ .
- أنساب الأشراف، للبلاذري.تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر –بيروت– ط الأولى١٤١٧هـ
- البداية والنهاية ابن كثير، إسماعيل. مصر: دار هجر للطباعة، والنشر، والتوزيع، والإعلان.
- البصائر والذخائر، لأبي حيان. المحقق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م
- البيان والتبيان للجاحظ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ط الأولى ،١٤٢٣هـ
- التاريخ الأوسط، محمد بن إسماعيل البخاري. ط١. حلب: دار الوعي، مكتبة دار التراث.

- التاريخ لخليفة بن خياط. التاريخ. ط٢. دمشق: دار القلم، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق بشار عواد الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ.
- تاريخ الرسل والملوك للطبري. ط٢. بيروت: دار التراث.
- التاريخ الكبير للبخاري تحقيق محمد صالح الدباسي، الناشر: الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ
- تاريخ المدينة ابن شبة، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، دار التراث والدار الإسلامية: بيروت.
- تذكرة الحفاظ للذهبي تحقيق/ عبد الرحمن المعلمي، الطبعة الأولى، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن، تصوير دار الكتب العلمية: بيروت.
- التعريفات للجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ، دار المعرفة: بيروت
- تقريب التهذيب لابن حجر دار نشر الكتب الإسلامية –كوجرا نواله – باكستان – الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي. الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر ط الأولى ١٣٩٨هـ
- تهذيب التهذيب لابن حجر الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ط الأولى ١٣٢٦هـ.
- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعي تحقيق إبراهيم يوسف، الناشر: مكتبة المنار، الأردن، ط الأولى.
- تهذيب الكمال للمزري تحقيق بشار عواد، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- تهذيب اللغة للأزهري المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق الناشر:مؤسسة الرسالة ،ط الأولى ، ١٤٢٠هـ

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة– ط الثانية ١٣٨٤هـ.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري تحقيق أحمد ومحمود محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف: بمصر

- الحسبة لابن تيمية الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت – ط الأولى ١٤١٢هـ

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم. ط. مصر: السعادة - بجوار محافظة مصر.

- الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن وهف القحطاني، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

- الحكمة في الدعوة إلى الله، صالح بن حميد الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ط الأولى ١٤٢٢هـ

- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل تحقيق صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع ط الأولى.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت– ط الأولى ١٤١٥هـ.

- الرسالة التبوكية لابن القيم المحقق: محمد غازي الناشر:مكتبة المدني –جدة – ط الأولى ١٤٣١هـ

- الرسالة للإمام الشافعي، ت. أحمد شاكر، ط. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

- الزهد لأحمد بن أحمد، دار ابن رجب.ط الأولى بدون ذكر سنة الطبع،

- الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

- الزهد والرقائق، لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر:دار الكتب العلمية –بيروت– ط الأولى ١٤١٩هـ

- السلسلة الضعيفة للألباني، المكتب الإسلامي –بيروت– ط الرابعة ١٣٨٩هـ.

- السنة للخلال، الناشر: دار الراية، الرياض، ط١ ،١٤١٥هـ.

- سنن الدارمي بعناية محمد أحمد دهمان - المطبعة الحديثة - دمشق عام ١٣٤٩هـ
- سير أعلام النبلاء، للذهبي.تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون ،الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت ط الأولى ١٤٠١هـ
- السياسة الشرعية لابن تيمية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط الأولى ١٤١٨هـ
- الشريعة، للآجري.صححه وعلق عليه إسماعيل بن حماد الأنصاري، الناش: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ط الأولى ١٤٣١هـ
- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ط الأولى ١٤٢٦هـ
- شرح السنة للبربهاري. تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، دار السلف ودار الصميعي، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي القلقشندي الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت– ط الأولى ١٤٠٧هـ
- صحيح البخاري المعروف بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. ط١. بيروت: دار طوق النجاة.
- صحيح مسلم المعروف المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. النيسابوري، مسلم. (د. ت)، (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- طبقات الفقهاء للشيرازي، تحقيق إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٩٧٠م.
- الطبقات الكبير لمحمد بن سعد الزهري، تحقيق د محمد علي عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الأولى ١٤٢١هـ
- عيون الأخبار لابن قتيبة، (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي، الناشر: در الكتب العلمية –بيروت– ط الأولى ١٤٠٤هـ.

- العقيدة الطحاوية- شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني. ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي.

- العلل ومعرفة الرجال أحمد بن حنبل. - رواية عبد الله. ط٢. الرياض: دار الخاني.

- غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ط الأولى ١٣٧٣هـ

- فتنة مقتل عثمان بن عفان الصبحي، محمد. فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. ط٢. المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

- الفتن، لنعيم بن حماد. تحقيق : سمير أمين الزهيري الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة – ط الأولى ١٤١٢هـ

- الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الأسدي تحقيق أحمد راتب عرموش، الناشر: دار النفائس ط السابعة ١٤١٧هـ

- الفروع لابن مقلح، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت- ط الأولى ١٤٢٤هـ

- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى – القاهرة، ط الأولى ١٤٣١هـ

- الكشاف للزمخشري ضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط الثالثة ،١٤٠٧هـ

- مجموع الفتاوى لابن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤١٦ هـ

- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين.الناشر:دار الوطن – دار الثريا، المملكة العربية السعودية، (د.م)

- المحلى لابن حزم تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري الناشر: دار الفكر – بيروت- بدون ذكر الطبعة والتاريخ

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق ط الأولى.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- مسند القضاعي تحقيق حمدي بن عبد الحميد السلفي رقم الحديث (٥٧٧) الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت– ط الثانية ١٤٠٧هـ
- مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك.تحقيق: موسى محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب –بيروت– ط الأولى ١٩٨٥م.
- المصنف ابن أبي شيبة، عبد الله، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض. ط١.
- مصنف عبد الرزاق. تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي– الهند، توزيع المكتب الإسلامي – بيروت ط الثانية ١٤٠٣هـ.
- المعارف، لابن قتيبة. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة– ط الثانية
- معجم الأدباء لياقوت الحموي تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ط الأولى ١٤١٤هـ .
- المعجم الكبير الطبراني، سليمان.. ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- المعرفة والتاريخ للفسوي تحقيق أكرم ضياء العمري الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف، بالجمهورية العراقية ط الأولى ١٣٩٧هـ.
- المنتخب من علل الخلال ابن قدامة، عبد الله. (د. ت). المنتخب من علل الخلال. (د. ط). (د. م). دار الراية للنشر والتوزيع.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، ت إحسان عباس، دار الفكر.